الإعجاز النفسي في القرآن الكريم



الدكتور
مصطفى رجب

دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع

الإعجاز النفسي
في
القــــرآن الكريــــم

الأستاذ الدكتور
مصطفــى رجــب

دار العلم والإيمان
للنشر والتوزيع
٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ — ٠١٢٣٣٢٣٦٣٣٥

٢٢٩,٧
ر . م

رجب ، مصطفى .

الإعجاز النفسي في القرآن الكريم / مصطفى رجب .- ط١.- كفر الشيخ : العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩.

٣٣٨ ص ؛ ٢٤سم . ٥

تدمك: 6 – 280 – 308 – 977

١. القرآن - إعجاز.

أ - العنوان

رقم الإيداع : ٣٩٣٨ / ٢٠٠٩.

الناشر : العلم والايمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

الطبعة الأولى 2009

الطبعة الثانية 2013

مقدمة

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم لهداية الناس، ودعاهم إلى التوحيد وعلمهم قيما وأساليب جديدة في التفكير والحياة، وأرشدهم إلى السلوك السوي المستقيم ووجههم نحو الطرائق الصحيحة في تربية النفس وتنشئتها تنشئة سليمة حتى تبلغ الكمال الإنساني.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧] والقرآن الكريم غير في نفوس الناس وفي أخلاقهم وفي انفعالاتهم وتعلمهم ولا شك أن في القرآن الكريم طاقة روحية ذات تأثير في الإنسان تهز وجدانه وتصقل روحه بل توقظ تفكيره وإدراكه.

والدراسات النفسية الحديثة من أهم ميادين الدراسة والبحث، ذلك أن موضوعها الإنسان وهي تسعى لتشكيله على نمط يحقق له الخير ولمجتمعه.

وكتابنا هذا محاولة لسبر أغوار ما في القرآن الكريم من إعجاز نفسي، لأن القران الكريم وضع أسس حياة الإنسان التي تضمن له مسيرة طيبة في الحياة ووضع له منهجا متكاملا شاملا لجميع نواحي حياته بهدف بناء الإنسان بناء سويًا متوازنا في كل سلوك وتصرف، فالقرآن الكريم يعنى بنمو الإنسان وسلوكه وعواطفه وانفعالاته وصحته النفسية حتى يكون عنصرا إيجابيا في بناء المجتمع قادرا على تحمل تكاليف الحياة.

فالناظر في كتاب الله سبحانه وتعالى يجد الكم الهائل من المعلومات والأفكار والآراء حول السلوك الإنساني والنفس الإنسانية – وهل علم النفس

في نهاية المطاف إلا بحث في السلوك الإنساني والنفس الإنسانية ؟ – ولكن هذه الأفكار مبثوثة بطرق غير مباشرة، مما يدعو الباحث المسلم للعمل من اجل تجميع النصوص وبلورتها وتحليلها.

-. فالدراسات النفسية في مجاله التوجه الإسلامي لعلم النفس من أهم الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة معاصرة سواء أكانت هذه الدراسة بالوصف أم بالتحليل والمقارنة أم يتقصى القواعد والمبادئ النفسية التي أصلها القرآن الكريم لعلم النفس.

والدعوة إلى إجراء الدراسات النفسية من منظور قرآني، هي دعوة إلى بيان العلاقة القائمة بين الدراسات النفسية الغربية والدراسات النفسية الإسلامية، بل هي دعوة للمقارنة من أجل فتح مجالات جديدة للبحث العلمي الجاد، وتحديد هذه العلاقة بالتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية أي بناء هذه الدراسات على أساس الإسلام ومبادئه.

وإذ يسعدني أن أقدّم هذا الكتاب للقارئ، لا يفوتني أن أشكر جهود طلابي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه بكلية الشريعة جامعة اليرموك بالأردن الذين كنت أدرس لهم مقررات التخصص في التربية الإسلامية، الذي ساعدوني في جمع كثير من المادة العلمية لموضوع هذا الكتاب.

والله تعالى ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل

أ.د. مصطفى رجب
أستاذ التربية الإسلامية
رئيس قسم أصول التربية
كلية التربية – جامعة سوهاج
سوهاج – صعيد مصر
المحرم ١٤٣٠ – يناير ٢٠٠٩

الفصل الأول

نموُّ الإنسان في ضوء القرآن الكريم

حديث القرآن عن مراحل النمو الإنساني

خلق آدم عليه السلام ومراحل أعداده التربوية.

مراحل خلق الإنسان ومتطلباتها التربوية والنفسية.

بعض الآيات الكريمة
التي تحدثت عن مراحل النمو الإنساني

قال تعالى:

١) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر:٦٧]

قال الإمام الطبري:

خلق أباكم آدم ﴿ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ ﴾ خلقكم ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ بعد أن كنتم نطفا ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ من بطون أمهاتكم صغارا، ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ﴾، فتتكامل قواكم، ويتناهى شبابكم، وتمام خلقكم شيوخا ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾ أن يبلغ الشيخوخة ﴿ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى ﴾ يقول: ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم، وأجلا محدودا لا تجاوزونه، ولا تتقدمون قبله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يقول: وكي تعقلوا حجج الله عليكم بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك. [تفسير الطبري ج٢١/ ص٤١٢].

وقدّم الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره تحليلا لمعنى الخلق من تراب باعتبار المآلات في طعام الإنسان فقال: «قيل المراد آدم، وعندي لا حاجة إليه لأن كل إنسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث، والمني مخلوق من الدم فالإنسان مخلوق من الدم والدم إنما يتولد من الأغذية والأغذية إما حيوانية وإما نباتية، والحال في تكون ذلك الحيوان كالحال في تكون الإنسان، فالأغذية بأسرها منتهية إلى النباتية والنبات إنما يكون من التراب والماء، فثبت أن كل

إنسان فهو متكون من التراب، ثم إن ذلك التراب يصير نطفة ثم علقة بعد كونه علقة مراتب كثيرة إلى أن ينفصل من بطن الأم، فالله تعالى ترك ذكرها ههنا لأجل أنه تعالى ذكرها في سائر الآيات.

وقد رتّب الخالق سبحانه وتعالى عُمر الإنسان على ثلاث مراتب:

أولاها: كونه طفلاً (مرحلة الطفولة)

وثانيتها: أن يبلغ أشده (مرحلة المراهقة والفتوة)

وثالثتها: الشيخوخة (مرحلة الضعف التدريجي فالذبول)

وهذا ترتيب صحيح مطابق للعقل، وذلك لأن الإنسان في أول عمره يكون في التزايد والنشوء والنماء وهو المسمى بالطفولية والمرتبة الثانية: أن يبلغ إلى كمال النشوء وإلى أشد السن من غير أن يكون قد حصل فيه نوع من أنواع الضعف، وهذه المرتبة هي المراد من قوله ﴿ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ والمرتبة الثالثة: أن يتراجع ويظهر فيه أثر من آثار الضعف والنقص، وهذه المرتبة هي المراد من قوله ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ﴾ وإذا عرفت هذا التقسيم عرفت أن مراتب العمر بحسب هذا التقسيم لا تزيد على هذه الثلاثة، قال صاحب «الكشاف» قوله ﴿ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ متعلق بفعل محذوفٍ تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا. تفسير الرازي - (ج ١٣ / ص ٣٥٥)

وقال البغوي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يصير شيخًا، ﴿ وَلِتَبْلُغُوٓاْ ﴾ جميعًا، ﴿ أَجَلًا مُّسَمًّى ﴾ وقتًا معلومًا محدودًا لا تجاوزونه، يريد أجل الحياة إلى الموت. (تفسير البغوي ج ٧ / ص ١٥٨)، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته.

وقال جل وعلا:

٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

الذي خُلق من تراب هو أصل النوع، وهو آدم عليه السلام وحواء، ومن خلال تناسلهما، تكاثر الناس، فصار الخلق من النطفة فلذلك عطفت ب (ثم).

والنطفة: اسم لمَنِي الرجل، وهو بوزن فُعلة بمعنى مفعول، أي منطوف، والنَطْف: القطر والصب. والعلقة: القطعة من الدم الجامد اللين.

والمضغة: القطعة من اللحم بقدر ما يُمضغ مثله، وهي فعلة بمعنى مَفعولة أي: ممضوغة. و (ثم) التي عطف بها ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ عاطفة مفردات فهي للتراخي الحقيقي.

و (مِن) المكررة أربع مرات هنا ابتدائية وتكريرها توكيد.

قال ابن عاشور:

وكون الإنسان مخلوقاً من النطفة لأنه قد تقرر في علم الطب أن في رحم المرأة مُدة الحيض جزءاً هو مقر الأجرام التي أعدت لأن يتكون منها الجنين، وهذا الجُزء من الرحم يسمى في الاصطلاح الطبي (المَبيض) بفتح الميم وكسر الموحدة على وزن اسم المكان لأنه مقر بَيضات دقيقة هي حُبيبات دقيقة جداً

وهي من المرأة بمنزلة البيضة من الدجاجة أو بمنزلة حبوب بيض الحوت، مودعة في كرة دقيقة كالغِلاف لها يقال لها (الحُويصلة) بضم الحاء بصيغة تصغير حَوصلة تشتمل على سائل تسبح فيه البيضة فإذا حاضت المرأة ازدادت كمية ذلك السائل الذي تسبح فيه البيضة فأوجب ذلك انفجار غلاف الحُويصلة، فيأخذ ذلك السائل في الانحدار يَحمل البيضة السابحة فيه إلى قناة دقيقة تسمى (بوق فلوبيوس) لشبهه بالبُوق، وأضيف إلى (فلوبيوس) اسم مكتشفه. وهو البرزخ بين المَبيض والرحم، فإذا نزل فيه ماء الرجل وهو النطفة بعد انتهاء سيلان دم الحيض لقحت فيه البيضة واختلطت أجزاؤها بأجزاء النطفة المشتملة على جرثومات ذات حياة وتمكث مع البيضة متحركة مقدار سبعة أيام تكون البيضة في أثنائها تتطور بالشكل بشِبه تقسيم من أثر ضغط طبيعي. وفي نهاية تلك المدة تصل البيضة إلى الرحم وهنالك تأخذ في التشكل، وبعد أربعين يوماً تصير البيضة عَلَقة في حجم نملة كبيرة طولها من ١٢ إلى ١٤ مليمتر، ثم يزداد تشكلها فتصير قطعة صغيرة من لَحم هي المسماة ﴿ مُّضْغَةٍ ﴾ طولها ثلاثة سنتيمتر تلوح فيها تشكلات الوجه والأنف خفيّة جداً كالخطوط، ثم يزداد التشكل يوماً فيوماً إلى أن يستكمل الجنين مدته فيندفعَ للخروج وهو الولادة.

فقوله تعالى: ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة ﴿ مُّضْغَةٍ ﴾. وذلك تطور من تطورات المضغة. أشار إلى أطوار تشكل تلك المضغة فإنها في أول أمرها تكون غير مخلّقة، أي غير ظاهر فيها شَكل الخِلقة، ثم تكون مخلّقة، والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف، ولذلك لم يُذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النطفة والعلقة، إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغة. وإذ قد جعلت المضغة من مبادىء الخلق تعيّن أن كلا الوصفين لازمان للمضغة، فلا يستقيم تفسير من فسّر غير المخلقة بأنها التي لم يكمل خلقها فسقطت.

والتخليق: صيغة تدل على تكرير الفعل، أي خلقاً بعد خلق، أي شكلاً بعد شكل.

وقُدم ذكر المخلقة على ذكر غير المخلقة على خلاف الترتيب في الوجود لأن المخلقة أدخل في الاستدلال، وذُكر بعده غير المخلقة لأنه إكمال للدليل وتنبيه على أن تخليقها نشأ عن عدم. فكلا الحالين دليل على القدرة على الإنشاء وهو المقصود من الكلام. التحرير والتنوير - (ج ٩ / ص ٢٣٤)

٣) ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

[الأحقاف:١٥]

قال الآلوسي: «وقد ذكر غير واحد أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقوى جداً خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله بعد، وفي الحديث «إن الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الأربعين ولم يتب ويقول بأبي وجه لا يفلح» وأخرج أبو الفتح الأزدي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً «من أتى عليه الأربعون سنة فلم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار» وعلى ذلك قول الشاعر:

إذا المرء وافى الأربعين ولم يكن له دون ما يهوى حياءٌ ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذي مضى وإن جر أسباب الحياة له العمر

وقيل: لم يبعث نبي إلا بعد الأربعين، وذهب الفخر إلى خلافه مستدلاً بأن عيسى ويحيى عليهما السلام أرسلا صبيين لظواهر ما حكي في الكتاب الجليل عنهما، وهو ظاهر كلام السعد حيث قال: من شروط النبوة الذكورة وكمال

العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ولو في الصبا كعيسى ويحيى عليهما السلام إلى آخر ما قال. تفسير الآلوسي - (ج ١٩ / ص ٦٥)

٤) ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف:٢٢]

قال الفخر الرازي: «وأما التفسير فروى ابن جرير عن مجاهد عن ابن عباس، ولما بلغ أشده قال ثلاثاً وثلاثين سنة، وأقول هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الطبية وذلك لأن الأطباء قالوا إن الإنسان يحدث في أول الأمر ويتزايد كل يوم شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال، ثم يأخذ في التراجع والانتقاص إلى أن لا يبقى منه شيء، فكانت حالته شبيهة بحال القمر، فإنه يظهر هلالاً ضعيفاً ثم لا يزال يزداد إلى أن يصير بدراً تاماً، ثم يتراجع إلى أن ينتهي إلى العدم والمحاق.

إذا عرفت هذا فنقول: مدة دور القمر ثمانية وعشرون يوماً وكسر فإذا جعلت هذه الدورة أربعة أقسام، كان كل قسم منها سبعة أيام، فلا جرم رتبوا أحوال الأبدان على الأسابيع فالإنسان إذا ولد كان ضعيف الخلقة نحيف التركيب إلى أن يتم له سبع سنين، ثم إذا دخل في السبعة الثانية حصل فيه آثار الفهم والذكاء والقوة ثم لا يزال في الترقي إلى أن يتم له أربع عشرة سنة. فإذا دخل في السنة الخامسة عشرة دخل في الأسبوع الثالث. وهناك يكمل العقل ويبلغ إلى حد التكليف وتتحرك فيه الشهوة، ثم لا يزال يرتقي على هذه الحالة إلى أن يتم السنة الحادية والعشرين، وهناك يتم الأسبوع الثالث ويدخل في السنة الثانية والعشرين، وهذا الأسبوع آخر أسابيع النشوء والنماء، فإذا تمت السنة الثامنة والعشرون فقد تمت مدة النشوء والنماء، وينتقل الإنسان منه إلى زمان الوقوف وهو الزمان الذي يبلغ الإنسان فيه أشده، وبتمام هذا الأسبوع الخامس يحصل للإنسان خمسة وثلاثون سنة، ثم إن هذه المراتب مختلفة في

الزيادة والنقصان؛ فهذا الأسبوع الخامس الذي هو أسبوع الشدة والكمال يبتدأ من السنة التاسعة والعشرين إلى الثالثة والثلاثين، وقد يمتد إلى الخامسة والثلاثين. (الرازي، ٩/١٧)

٥) ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢]

٦) ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

مراحل خلق الإنسان:

خلق الإنسان وإعداده للحياة، وبيان مراحل نموه، تعدّ من أعظم عناصر التصور القرآني للإنسان، وهذه المراحل تنقسم إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، وفي كل مرحله عدة مراحل فرعية.

المرحلة الأولى

وهي مرحلة خلق الإنسان الأول، آدم عليه الصلاة والسلام، ومراحل هذا الخلق وإعداده التربوي للحياة، ما تميز به القرآن الكريم عن علم النفس المعاصر، فلم يبحث في علم النفس المعاصر هذه المرحلة ولا في دلالاتها التربوية والنفسية وأثرها على السلوك الإنساني بشكل عام.

المرحلة الثانية

وتبدأ بزواج الإنسان وأسس ومنطلقات هذا الزواج، وتكوين الجنين والذي يمر بأطوار عدة حتى يصبح طفلا يقذف فيه الرحم بعد أن يكون قد استوى عودة، وأصبح قادرا على تحمل مشاق الحياة خارج الرحم.

المرحلة الثالثة

وتختص بأعداد الطفل للحياة، مرورا بمراحل الطفولة المختلفة ثم مرحلة الشباب والمراهقة حتى يصل الإنسان إلى مرحلة الشيخوخة، إلى انتهاء الأجل والانتقال إلى الحياة البرزخية.

ولا بد من بيان أن الباحثين اختلفوا في هذه المراحل وتقسيمها، فمنهم من قسم مراحل حياة الإنسان إلى مرحلتي الطفولة والمراحقة ثم الشباب والشيخوخة، ومنهم من جعل كل مرحلة هي مرحلة رئيسية بحد ذاتها تنفصل عن المراحل الأخرى، فالحمل مرحلة والرضاع، والطفولة،.... واجتهد قسم ثالث بتقسيم المراحل إلى ما قبل المدرسة واثناء المدرسة وما بعد المدرسة. وكلها اجتهادات صحيحة تنظر إلى الإنسان من زوايا مختلفة.

خلق آدم عليه السلام ومراحل أعداده التربوية

مراحل خلق (نمو) آدم عليه السلام:[1]

بدأ خلق الإنسان في القرآن الكريم بخلق آدم عليه الصلاة والسلام، وتمثل قصة آدم قصة الإنسان الذي خلق من تراب وهي مادة الأرض التي نعيش عليها، وقال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

(١) السيد عاشور. الإنسان في القران الكريم، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص ١٥٨ – ١٧٢

فالتراب موات لا حياة فيه فهو بارد يابس والحياة تقتضي حرارة ورطوبة، فمن ذلك البارد اليابس ينشا المخلوق الحي المدرك.[١]

ثم خلط التراب بالماء، وأصبح التراب بعد مزجه بالماء طينا، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة ٧]، وخلاصة الطين هذه أصبحت في جزئيات ملتصقة بعضها ببعض وتحولت إلى طين لازب، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: من الآية١١] والطين اللازب هو الطين الرخو اللزج الذي لا قوة فيه.[٢]

وهذا الطين اللازب صب في قالب، ثم ترك حتى جفت ذراته وتماسكت جزيئاته فأصبح صلصالا كالفخار، قال تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٍ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾ [الرحمن:١٤].

والصلصال هو الطين اليابس الذي يشبه الطين المطبوخ وهو الفخار ويسمى الخزف[٣] وترك الصلصال بجوار الماء لفترة طويلة، فأصبح حمأ مسنونا وهو الطين الأسود المنتن المختمر الذي تعفن وتغير شكله، قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴾ [الحجر:٢٦] وسوى الله سبحانه وتعالى هذا القالب البشري بيده قال تعالى مخاطبا إبليس، ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥].

وهذه خصوصية العناية الربانية بهذا الكائن وإيداعه نفخه من روح الله

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢١ / ٣١

(٢) محمد الصابوني، مرجع سابق، ٣ / ٢٩

(٣) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢٧ / ٢٢٩

دلالة على هذه العناية[١] فجاءت النفخة الروحية، أي نفخ الله فيه من روحه بعد أن صوره في أحسن تقويم قال تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [ص: ٧٢]

مراحل إعداد آدم التربوية

مرت مرحلة إعداد آدم عليه الصلاة والسلام بعدة مراحل فرعية منها:

مرحلة التعليم الرباني

قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٣١].

فالآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء المخلوقات، وطلب سبحانه وتعالى من الملائكة أن تخبره بأسماء المخلوقات، وعجزت الملائكة عن هذا العلم، وطلب الله سبحانه وتعالى من آدم عليه السلام أن ينبئه بأسماء هذه المخلوقات وظهر فضله وتكريمه.

وفي تعليم الله سبحانه وتعالى لآدم عليه الصلاة والسلام أسماء المخلوقات، يكون قد علمه اللغة،حتى يستطيع أن ينطق بأسماء المخلوقات، ثم أخذتها ذريته بالسماع، وبذلك تعددت اللغات حسب البيئات المختلفة.[٢]

يقول صاحب الظلال إننا نشهد طرفا من هذا السر الإلهي الذي أودع في الكائن البشري وهو يتسلم مقاليد الخلافة، سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، وسر تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها رموزا تدل على

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٥ / ٣٠٢٥

(٢) السيد عاشور، مرجع سابق، ص ١٦٦

الأشخاص والأشياء(١).

مرحلة التكريم الرباني

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، فهو التكريم في أعلى صورة، للمخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء فهو سجود امتثالا للأمر العلوي الجليل(٢) فجاء هذا السجود لعدة أسباب منها:

١) عظيم التفضيل الذي حباه الله سبحانه وتعالى لآدم على سائر المخلوقات قال تعالى ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[الإسراء: من الآية٧٠]

٢) تميز آدم عليه الصلاة والسلام وذريته بالعقل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: من الآية١٢].

٣) المهمة التي كلف الله تعالى بها آدم عليه السلام في الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

مرحلة الإيواء والاستقرار الأول

بعد أن علم الله سبحانه وتعالى آدم أسماء المخلوفات، وكرمه على سائرها، أمر آدم أن يسكن وزوجته حواء الجنة، وأباح لهما أن يتمتعا بكل ما فيها،إلا أنه حرم عليه الاقتراب من شجرة عينها لهما وإلا كانا من الظالمين.

---

(١) سيد قطب، مرجع سابق، ١ / ٥٦

(٢) المرجع السابق، ١ / ٥٧

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥].

إلا أن إبليس وسوس لآدم وحواء بالأكل من الشجرة، وسماها لهم شجرة الخلد، وصاحب هذه الوسوسة نسيان آدم عليه السلام أن إبليس عدوه فأكلا من الشجرة.

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه:١٢٠].

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طـه:١٢١]، وهذا القول خاطر ألقاه الشيطان في نفس آدم بطريق الوسوسة وهي الكلام الخفي، إما بألفاظ نطق بها سرا لآدم لئلا يطلع عليه الملائكة فيحذروا آدم من كيد الشيطان... »[1].

مرحلة المغفرة والهبوط

ندم آدم وحواء عليهما السلام على فعلهما اشد الندم، فما كان أمامهما إلا التضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يقبل توبتهما، وتقبل الله سبحانه وتعالى هذه التوبة، وأمرها بالهبوط من الجنة التي كانا يعيشان فيها.

قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [لأعراف:٢٣]، وقال سبحانه ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:٣٧]، وقال ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٦ / ١٩٥

تَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨].

إن قصة آدم عليه السلام تبين القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان ودوره في الحياة، وتتبدى هذه القيمة، بأنه مخلوق ليكون خليفة في الأرض وتبدى كذلك بأمر الملائكة بالسجود له وطرد إبليس الذي استكبر وأبى... فالإنسان هو سيد الأرض ومن أجله خلق كل شيء فيها... وله الدور الأول فهو الذي يغير ويبدل من أشكالها[1].

ومما تجدر الإشارة إلى التنبيه إليه أن هذه المرحلة من النمو الإنساني لم تذكر في علم النفس المعاصر، فمن المهم أن يتعرف الإنسان إلى أصل خلقه ودلالة هذا الأصل ولما له من أثر بالغ في سلوكه الشخصي.

فتبصر الإنسان بالمراحل الأولى التي مر بها أبو البشرية عليه السلام له دلالات نفسية وتربوية في سلوك الإنسان من الإقبال على العلم، والشعور بالكرامة الإنسانية، وبيان عظم المهمة التي يقوم بها، وأن هذه الدنيا مكان سكن أولي للإنسان، وعليه يتبصر بعدوه ويعرف أساليبه ويبتعد عنه اشد الابتعاد.



(١) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٦٠

مراحل خلق الإنسان

١ - مرحلة ما قبل الولادة ومتطلباتها التربوية والنفسية :

وهي مرحلة بناء الأسرة في الإسلام، وتعد الأسرة الوعاء الذي يشكل فيه الطفل نفسيا واجتماعيا لذا حث الإسلام على بناء الأسرة وتكوينها قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١]

فالآية تنطوي على عدة آيات منها: أنه جعل للإنسان ناموس التناسل وأن تناسله بالتزاوج ليس كالنبات من نفسه وليس زواجا عنيفا أو مهلكا كزواج الضفدع. وهو زواج أنس بين الزوجين فالزوجان يصبحان بعد الزواج متحابين بينهما رحمة وعاطفة(١).

وفي الزواج يتم إشباع الدافع الجنسي وتحقيق العفة بين الزوجين وتحقق الطمأنينة النفسية، قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]، ومما لا شك فيه أن بناء الأسرة تحقيق لفطرة الله التي فطر الناس عليها قال تعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: من الآية٣٠]، وفي الأسرة يتم حفظ الجنس البشري من الانقراض ويتم إنجاب الأولاد قال تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٦]، وإنجاب الولد هو أكثر ما يتطلع إليه الإنسان فقال تعالى

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢١ / ٣٢

على لسان زكريا ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: من الآية٣٨]، فهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لحكمة عليا في امتداد الحياة وارتقائها[١].

وقال سبحانه ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٥-٦]، وتعد مرحلة ما قبل الزواج مرحلة أساس فإذا لم يكن الأساس سليما فما بني عليه لا يمكن أن يكون سليما بأي حال من الأحوال، بل لا يمكن البناء عليه بشكل سليم[٢].

ومن أهم أساسيات هذه المرحلة ما ورد في قوله تعالى ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور٣٢].

فإذا لم يراع الصلاح في هذه المرحلة فيفسد الفرد ثم يفسد الجيل ومن ثم الأمة بأسرها فالآية الكريمة تحث على تزويج أهل التقى والصلاح وفيها اهتمام بشأنهم وإحصان دينهم وإشارة إلى مكانة الأتقي والصلاح في الإنسان[٣].

٢ - مرحلة الحمل ومتطلباتها النفسية والتربوية

تبدأ هذه المرحلة من لحظة تخصيب الحيوان المنوي للأب مع البويضة الناضجة للام مكونة ما يسمى بالنطفة (البويضة الملقحة) وحتى اكتمال نمو

---

(١) سيد قطب، مرجع سابق، ١ / ٣٩٣

(٢) مقداد يالجن. علم النفس التربوي في الإسلام، ط ٢، الرياض: دار الكتب، ١٩٩٧م، ص ٩١

(٣) محمد الصابوني، مرجع سابق، ٢، ص ٣٣٧

الجنين وتقدر هذه المرحلة (٢٢٦) يوما [1] وأشار القران الكريم إلى هذه المرحلة بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]، فالآية الكريمة تدعو إلى الاعتبار بما في خلق الإنسان من دلائل القدرة وعظيم النعمة والامتنان عليهم بأن أخرجهم من مهانة العدم إلى شرف الوجود.[2]

وثمة آيات أخرى تتحدث عن هذه المرحلة منها قوله تعالى ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الحج: من الآية٥]، والمولود المرجو قدومه يتأثر وهو في بطن أمه بعدد من الصفات الوراثية، والمقصود بها كل ما يأخذه الفرد عن والديه عن طريق ما يسمى بالكروموسومات والجينات وثبت علما بالتجارب أن الكروموسومات هي التي تنقل العوامل الوراثية عن طريق الجينات إلى المورثات، وهي التي تحمل الكثير من الصفات الوراثية من الوالدين ولا تخرج أي صفة وراثية عن أحد الجينات.[3]

واستدل بعض الباحثين بقوله تعالى ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ

---

(١) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، عمان: دار النفائس، ٢٠٠٥م، ص ١١١ .

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٨ / ١٩

(٣) عمر الشيباني. من أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، المنشأ الشعبية للنشر والتوزيع: ليبيا، ص ١٥٥

عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٣٤]،على انتقال الصفات الوراثية من جيل لجيل[١].

ومما يجب على الأم في هذه المرحلة تناول الغذاء الكامل المتوازن للمحافظة على صحتها وصحة الجنين والالتزام الكامل بأحكام الإسلام بعدم تعاطي المشروبات الكحولية أو التدخين أو المخدرات الذي يعرض نمو الجنين للتأخير... ودلت التجارب على أن تناول الأم لمثل هذه الأصناف له اثر سلبي على الجنين[٢]. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠]، واشترط القران الكريم لضمان إنجاب ذرية صالحة من الناحية القلبية والنفسية والأخلاقية إحسان معاملة الزوجة حتى لا تصاب باضطرابات نفسية يتأثر بها الجنين[٣]. قال تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: من الآية١٩]، ويحسن بالأم الحامل الإكثار من قراءة القران وذكر الله سبحانه وتعالى لما في ذلك من إشاعة الأمن والاستقرار النفسي وعدم الخوف والقلق[٤]. قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وهذه المرحلة من خلق الإنسان وأطوار حياته تدل على صدق نبوة سيدنا محمد

(١) محمد محمود الشريعة. المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك كلية الشريعة،١٩٩٧م، ص ٣١

(٢) المرجع السابق، ص ٤١

(٣) مقداد يالجن، مرجع سابق، ص ٩٥

(٤) محمد الشريعة، مرجع سابق، ص ٤٤

صلى الله عليه وآله وسلم وان ثمة رعاية إلهيه للجنين في رحم الأم مما يبعث في نفسها السكينة والطمأنينة والمحافظة على جنينها أثناء الحمل.

٣ - مرحلة الطفولة ومتطلباتها النفسية والتربوية

اختلف الباحثون حول بداية مرحلة الطفولة ونهايتها، فمنهم من قال أنها تبدأ من الميلاد حتى سن السابعة من العمر.(١) وآخرين قالوا أنها تبدأ من الولادة وتنتهي بالبلوغ (٢) فالبداية لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج: من الآية٥]، ومرحلة النهاية تبدأ بالبلوغ لقوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور:٥٩]، وعرف بعضهم هذه المرحلة بأنها المدة التي يقضيها الصغار في النمو والترقي حتى يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم في تدبير حاجاتهم البيولوجية والنفسية، وخلال هذه المرحلة يعتمد الطفل على أبوية اعتمادا تاما(٣).

وتمثل اهتمام القران الكريم بهذه المرحلة بعدد من الصور ومن أهمها:

- لأهمية الطفولة فقد اقسم الله سبحانه وتعالى بالطفل ووالده (٤) قال تعالى:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ ﴾ [البلد:١-٣]

---

(١) التل. مرجع سابق، ص ١١٧

(٢) حنان عطية الجهني. الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، الرياض: المنتدى الإسلامي، ٢٠٠١م ج ١، ص ١٣

(٣) يوسف خطار محمد. التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية، دمشق: دار التقوى ٢٠٠٣م، ص ٧١

(٤) التل. مرجع سابق، ص ١١٧

فيقال إنها خاصة بإبراهيم أو إسماعيل عليهما السلام... ولا ينفي أن يكون المقصود هو والد وما ولد إطلاقا وهي إشارة إلى الطبيعة الإنسانية واعتمادها على التوالد تمهيدا للحديث عن حقيقة الإنسان... وهو يلفت الأنظار إلى قدر هذا الطور من أطوار الوجود الإنساني[١].

- ينظر القران الكريم إلى أن الطفل زينة من الحياة الدنيا يدخل الفرح والسرور إلى قلب والديه قال تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: من الآية٤٦] الكهف٤٦، وقال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤]

- رعاية الطفل وتربيته التربية الإسلامية الصحيحة هي مسؤولية الوالدين بالدرجة الأولى.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل٧٨].

- تقبل الوالدين والآخرين للطفل والعمل على حفظ حقوقه وكرامته ولا ينمو وعنده شعور بالذنب، فجعل حفظ النسب حق من حقوق الطفل[٢]

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٩٠٩ .

(٢) التل. مرجع سابق، ص ١١٩.

قال تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [الأحزاب: من الآية٥]، فالآية الكريمة نزلت في مسالة التبني وهي دعوة الأبناء إلى غير آبائهم وما ينشا عن ذلك من تخلخل في بناء الأسرة والمجتمع... فالإسلام أبطل هذه العادة ورد النسب إلى أسبابها الحقيقة... وعلاقة الدم والأبوة والبنوة الواقعية... وفي قوله ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ تصوير لحقيقة الخلخلة في المجتمع الجاهلي والفوضى في العلاقات الجنسية... وتلك الفوضى التي عالجها الإسلام بإقامة نظام الأسرة على أساس الأبوة وإقامة نظام المجتمع على أساس الأسرة السليمة[١].

حرم قتل الأولاد والبنات لأي سبب كان قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء:٣١]، وقال سبحانه ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨- ٩]

والوأد دفن الطفلة وهي حية وكانوا يفعلون ذلك خشية من إغارة العدو عليهم فيسبي نساءهم وخوف الفقر فالذكر يحتال للكسب والأنثى عالة على أهلها وكان في الجاهلية قد نشا كراهية ولادة الأنثى مما حرك الخواطر الإجرامية، فالرجل والمرأة يكرهان أن تولد لهما الأنثى[٢].

تغذية الطفل التغذية السليمة، وتبدأ هذه التغذية بالرضاع وهو حق من

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٥ / ٢٨٢٦.

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ٣٠ / ١٢٩.

حقوق الطفل قال تعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: من الآية٢٣٣]، واشترط الإسلام في المرضع شروطا منها، صحة الجسم والخلو من الأمراض لان ذلك ينعكس على حليبها، فيجب أن تكون حسنة المزاج جيدة الصحة هادئة لان الانفعالات والعنف يكدر اللبن... فحسن الطبع ضروري لتحسين التكوين[1].

فالطفل يتأثر بالانفعالات النفسية والجوانب العقلية للرضيع، كما يتأثر بصفاتها البدنية لذا يفترض أن تكون المرضع صحيحة العقل، وان تكون ذات صفات حسنه وخلق جيد لان صفاتها وأخلاقها تنعكس وتؤثر في تنشئة الولد.

وثبت في الدراسات أن الحليب يمنع حدوث البدانة للام والطفل ويقوي الحنان ويمد الطفل بالمواد الغذائية اللازمة بالنسب المطلوبة وبالطبع حليب الام طازج بشكل دائم لذا تقل اهتمامات حدوث الزلات المعوية ويسهل الهضم[2].

- وحرص الإسلام على وجوب النفقة للطفل من الأب، قال تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: من الآية٢٣٣].

أما سمات وخصائص هذه المرحلة، فتتميز بقدرة الطفل على اكتشاف البيئة المحيطة به وما يوجد بها من أشخاص، قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ

(١) مقداد يالجن. مرجع سابق، ص ٩٦

(٢) حنان عبد الحميد العناني. تربية الطفل في الإسلام، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ص ٤٧ – ٤٨

وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك:٢٣]، فأول الحواس نموا السمع ويليها البصر ثم العقل، ومع نمو الطفل تنمو الأعضاء الأخرى مثل اللمس والشم والذوق فيصبح الطفل قادرا على اكتشاف العالم من حوله ويزداد ارتباطا ومعرفة بالبيئة المحيطة به(١).

ويكثر الطفل في هذه المرحلة من النشاط والقدرة على المشي وحب اللعب، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾

[الروم:٥٤]

والضعف الذي تشير إليه الآية الكريمة ذو معان ومظاهر شتى في تكوين الإنسان، فضعف البنية الجسدية المتمثل في الخلية التي نشا منها الجنين والمراحل الأولى لحياة الجنين، وضعف المادة التي خلق منها الإنسان وهي الطين وضعف الكيان النفسي أمام النوازع والدفعات والميول والشهوات. ثم تأتي القوة بعد هذا الضعف وهي بكل المعاني السابقة عن الضعف، قوة في البناء الجسدي والتكوين النفسي والانفعالي(٢).

وكذلك يتميز الطفل في هذه المرحلة بحب الكلام وتصبح لديه القدرة على الكلام، قال تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن:١-٤]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:٨-١٠]

وينطق الطفل في هذه المرحلة ويردد كلمات معينة مثل بابا، ماما، ثم

(١) عمر الشيباني. مرجع سابق، ص ٥٧

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ٥ / ٢٧٧٦

يتمكن من نطق عبارات مختلفة يعبر فيها عن أفكاره، وكل هذه التطورات تحدث للطفل خلال فترة الرضاعة إلى ما قبل المدرسة[١].

وينشأ عند الطفل في هذه المرحلة حب الاستطلاع والتقليد، وهذا من اهم عوامل نمو التفكير واستكمال النضج العقلي للطفل[٢].

ويجب في هذه المرحلة أن يسلك الوالدان سلوكات حسنة وأن يقدما نماذج طيبة يستطيع الطفل تقليدها، سواء أكانت هذه السلوكات حركات يقوم بها الوالدان أم كلمات يتحدثان بها أمامه فلا يكذب أمام الطفل ولا يقول أمرا لا يفعله، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢-٣].

ويجب على الوالدين في هذه المرحلة أن يتمثلا هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقوالهما وأفعالها حتى يقدمان للطفل النماذج الفاضلة، قال تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وأخيرا يميل الطفل في هذه المرحلة إلى حب التملك، وحب التملك فطرة فطر الله الناس عليها قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ [الفجر:٢٠]

٤ - مرحلة التاديب والمراهقة

وتمتد هذه المرحلة من نهاية مرحلة الطفولة إلى بداية سن الرشد وهي على الأرجح من سن السابعة إلى سن الخامسة عشر، والذكور يختلفون عن الإناث

---

(١) عمر الشيباني. مرجع سابق، ص ٥٧ – ٦٠.

(٢) المرجع السابق. ص ٦١.

في البلوغ وتعد هذه المرحلة مرحلة سن التكليف الشرعي، يتحمل فيها الفرد المسؤولية للحياة العلمية والعملية وتتفجر فيه الطاقات، وتعد هذه المرحلة مرحلة التغيرات والصراع والتأمل والتفكير وسعة الخيال وهي مرحلة ينتقل فيها الطالب من وسط الأسرة المتصف باللين والرحمة إلى وسط قد يكون غريبا وتتضمن هذه المرحلة مرحلة المراهقة التي تعد بداية انتقال الطفل من الطفولة إلى الشباب وهي انتقال جسدي وعاطفي وعقلي واجتماعي[(١)].

وتتميز هذه المرحلة بزيادة التمايز الجنسي، واتساع الآفاق العقلية وتعلم المهارات الأكاديمية وزيادة الاستقلالية الذاتية وتعلم المعايير الخلقية، قال تعالى: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ [مريم:١٢]، ومن الممكن اعتبار هذه المرحلة مرحلتين منفصلتين هما مرحلة التأديب ومرحلة المراهقة إلا أنني أميل إلى اعتبارها مرحلة واحدة وذلك للعلاقة الوثيقة بين تأديب الفرد في البداية وسلوكاته في مرحلة المراهقة.والمراهقة مرحلة نمائية يمر بها الإنسان في حياته وهي تتوسط بين الصبا والشباب، وتتميز بالنمو السريع في جميع اتجاهات النمو البدني والنفسي والعقلي والاجتماعي.[(٢)]

وفي هذه المرحلة يجب تعويد الفرد على بعض الأعمال والآداب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١) تعويد الطفل الصلاة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» (أبو داود/ ج١/ ص١٣٣/ حديث ٤٩٥) والحكمة

---

(١) محمد شريعة. مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) محمد السيد الزعبلاوي. تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الرياض: الكتب الثقافية، ١٩٩٤م، ص ١٦.

من التفريق بين الأطفال في المضاجع، أن طفل العاشرة يكون قد أقترب من البلوغ ويدأ يدرك الأمور الجنسية[١].

٢) تأديب الطفل بآداب الاستئذان، والقرآن الكريم فصل في هذا الأدب الأسري العظيم[٢]. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور:٥٨]، والاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة تعليم للولد أحوال الآداب مع الأهل حتى لا يفاجأ الولد إذا دخل باطلاع على حالة لا يحسن أن يرى أهله فيها[٣].

٣ - تعليم القرآن

قال صلى الله عليه وآله وسلم «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن» (كنز العمال، حديث ٤٥٤٠٩).

ولنا في السلف الصالح قدوة حسنة في حفظ القرآن الكريم، فقد حفظ الشافعي القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وابن سينا أتقن القرآن الكريم في

---

(١) التل. مرجع سابق، ص ١٢٩

(٢) عبد الله ناصح علوان. تربية الأولاد في الإسلام. ط ٣١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٣٨٨

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨٨

سن العاشرة، أما النووي فقد ختم القرآن وقد ناهز الحلم.[١]

وتتميز هذه المرحلة العمرية بالآتي:

- النمو الجسدي الكامل والمتوازن الذي يؤهله للقيام بواجبات الحياة في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم:٥٤].

وتظهر الفروق الجسدية بين الجنسين، فيتميز الولد بعضلات قوية وتميل البنت إلى أمور اخرى تحبها..

وفي النمو الجسدي يزداد طول الجسم ويزداد الوزن، وتضمر غدتا الطفولة وتنشط الغدة النخامية وتبدأ بإفراز هرمونات جنسية، ويصبح المراهق قادرا على إفراز حيوانات منوية [٢] ويكلف الفرد بارتداء اللباس الخاص به فلا يرتدي الولد لباس البنت ولا البنت لباس الرجل قال صلى الله عليه وآله وسلم «لَعَنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمُخَنَّثِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنْ النِّسَاءِ» (صحيح البخاري/ج٥ /ص٢٢٠٨/ حديث ٥٥٤٧) ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٩].

- ويكتمل عند الإنسان النمو اللغوي ويكون قادرا على التخاطب والتفاهم

---

(١) حنان العناني. مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) التل. مرجع سابق، ص ١٣٦.

والاتصال مع بني جنسه. قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ [الروم:٢٢]

وفي هذه المرحلة تظهر بعض المخاوف المرضية مثل القلق والخجل والاكتئاب، ولا شك أن عبادة الله سبحانه وتعالى وقراءة القرآن تسهم في الطمأنينة النفسية. قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

أسباب انحراف الأفراد في هذه المرحلة وطرق معالجتها :

في هذه المرحلة الحرجة ينحرف كثيرا من الأفراد عن الطريق الصحيح ويبتعدون عن النهج المستقيم. فما العوامل التي تؤدي إلى انحراف الأطفال وسوء تربيتهم؟ وما هي وسائل وطرائق معالجته هذا الانحراف وفيما يلي عرض لبعض أسباب انحراف الأطفال وطرق معالجتها الواردة في القرآن الكريم.

حالات الطلاق :

فمن العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انحراف الفرد، الطلاق الذي يقع بين الزوجين وما يصاحبها من تشرد وضياع. فالطفل الذي يفتح عينيه ولا يجد أم تحنو عليه ولا أب يقوم على أمره فأنه سيندفع إلى الجريمة ويتربى على الفساد[1].

والقرآن الكريم عالج قضية الطلاق بتفصيل واسع ليس هذا مجالا لذكر.

(١) عبد الله علوان. مرجع سابق، ١ / ٩١

الفراغ:

فمن العوامل التي تؤدي إلى انحراف الأطفال الفراغ، عدم القدرة على الاستفادة من وقت الفراغ والقرآن الكريم عالج أوقات الفراغ لدى الأفراد بوسائل عملية تصحح لهم أجسادهم وتقوي أبدانهم[(١)] فمن هذه الوسائل العبادات بأنواعها المختلفة مثل الصلاة في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى:٣٨]

فالصلاة حركات رياضية يحرك فيها المسلم جسمه، وهي نظافة إجبارية للمسلم لما يسبقها من أفعال الوضوء، وهي تدريب على المشي لأن فيها السير إلى المساجد خمس مرات باليوم.

ومن الوسائل الأخرى التي أمر به الإسلام أشغال أوقات الفراغ بالمطالعة والرياضة والتوجه نحو العلم النافع قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: من الآية٩].

رفاق السوء:

الإسلام وجه الآباء إلى مراقبة الأبناء مراقبة تامة خوفا عليهم من رفاق السوء... وحرص القرآن على أن يوجه المسلم نحو الرفيق الصالح، قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧- ٢٩].

---

(١) المرجع السابق، ١ / ٩٥

معاملة الوالدين:

سوء معاملة الوالدين للابن، ومعاملته معامله قاسيه فيها الضرب والتوبيخ والاحتقار والازدراء والسخرية، ينعكس على سلوك الفرد. والقرآن الكريم وجه الوالدين والناس أجمعين إلى حسن المخاملة قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران١٣٤].

يقول صاحب الظلال: (ومن حب الله للإحسان والمحسنين، ينطلق حب الإحسان في قلوب أحبائه، وتنبثق الرغبة الدافعة في هذه القلوب... فليس هو مجرد التعبير الموحى، ولكنها الحقيقة كذلك وراء التعبير)[١].

٤- مرحلة الرشد ومتطلباتها النفسية والتربوية:

مرحلة تبدأ من الثامنة عشر كما حددها ابن عباس استشهادا بقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾ [النساء٦]، فالأشد هو بلوغ الرجولة والقوة الجسمية والعقلية وتنتهي في مرحلة الأربعين.[٢] وهي مرحلة يصل فيها الإنسان إلى تمام نضجه ويصبح قادرا على التمييز بين الخبث والطيب[٣] وهي فترة الشباب وبلوغ الإنسان أوج قوته، وذروة النشاط العقلي في النواحي المختلفة وتظهر في هذه المرحلة الرجولة والأمومة والأبوة.[٤] ولا بد من استغلال هذه المرحلة في الاستعداد العقلي والتزود بالعلم النافع والبحث العلمي للإفادة والاستفادة.

وأهم معالم هذه المرحلة وصول إنتاج الفرد إلى ذروته وهي مرحلة إرساء

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٤٧٥

(٢) التل. مرجع سابق، ص ١٤٤

(٣) السيد عاشور. مرجع سابق، ص ٢١٣

(٤) مقداد يالجن. مرجع سابق، ص ١٢٢

قواعد الحياة، وتتأثر تأثرا بالغا في المرحلة السابقة وهي مرحلة المراهقة. وتحمل في طياتها بذور التغير الذي سيحدث خلال مرحلتي الكهولة والشيخوخة.

يقول سبحانه وتعالى على لسان لوط مخاطبا قومه ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود:٧٨]، ويقول سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:١٥]

وفي هذه المرحلة تكتمل جميع القوى والطاقات ويقبل الإنسان على التدبر والتفكير في هدوء وفي هذا السن تتجه الفطرة المستقيمة إلى ما وراء الحياة وما بعدها[(١)].

٥ - مرحلة الكهولة والشيخوخة:

وهي مرحلة يصل الفرد فيها إلى مرحلة الكبر، وهي مرحلة نضج واكتمال شخصية، وقد يتغير الجسد البشري لزيادة العمر ويصبح عرضة للإصابة بالأمراض أكثر من أي وقت مضى، نتيجة التغيرات العضوية[(٢)].

قال الله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [المائدة:١١٠] ويقول سبحانه ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٢٦٢ .

(٢) السيد عاشور. مرجع سابق، ص ٢١٣- ٢١٤.

لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾ [غافر:٦٧].

ففي مرحلة الكهولة تخف الأعمال التي تدعو إلى شدة التنافس، ويشعر الفرد أنه حقق أهدافه أو يعزف عن الأهداف لسهولة أو استحالة تحقيقها، ويشعر الفرد بزيادة حريته نتيجة تخفيف أعباء الحياة.

وتتميز مرحلة الشيخوخة في القرآن الكريم بعدد من المظاهر أشارت الآيات القرآنية الكريمة إليها ومنها[1]:

ضعف متدرج في بنية العظام

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤]، يقول صاحب التحرير والتنوير وإسناد الوهن إلى العظم دون غيره من سائر الجسد أوجز في الدلالة على عموم الوهن، فالعظم قوام البدن وهو اصلب شيء فيه فلا يبلغه الوهن إلا وقد بلغ ما فوقه[2].

ضياع كثير من المعلومات لضعف الترابط بين الخلايا العصبية

قال تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ [الحج: من الآية٥]

فبعد العلم والرشد والوعي والاكتمال يرتد الإنسان طفلا في كل شيء وفي حافظته وذاكرته فلا تمسك بشيء ولا يستحضر أمرا ولا يربط بين الأحداث والتجارب ولا يربط بينهما برابط ولا تؤدي في حسه ووعية إلى نتيجة[3].

---

(١) سيد عبد الحميد مرسى. ونفس.... وما سواها، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٢م، ص ٣٣.

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق. ١٦ / ص ١٠.

(٣) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٢٤١٠.

ضعف الإنجاب وما يتصل به

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٨- ٩].

وبعد هذه الجولة السريعة في بيان مراحل النمو الإنساني، فالإنسان بحاجة إلى التربية ما دامت النفس الإنسانية.قال تعالى ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف:٥٣]، ولعل ما يميز التربية في مرحلة الكهولة التربية الذاتية [(١)]، ومن مبادئ هذه التربية مصاحبة الأخيار قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]، وأن يتخذ لنفسه قدوة صالحة قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]

وأن يجعل الإنسان من ضميره رقيبا على نفسه وتصرفاته كلها باستمرار، ويخالط الناس ويراقبهم ويستعد عما يذمونه من الصفات والأفعال وكذلك الاستعانة بالله سبحانه وتعالى وطلب العون منه وحسن الثقة به وبالناس.



(١) مقداد يالجن. مرجع سابق، ص ١٣١ – ١٣٥

الفصل الثاني

السلوك الإنساني في القرآن الكريم

مفهوم السلوك في القرآن الكريم وعلم النفس

العوامل المؤثرة في السلوك وأنواع السلوك في القرآن الكريم

انحراف السلوك في القرآن الكريم

مفهوم السلوك في القرآن الكريم
وعلم النفس

السلوك في علم النفس الحديث:

يعرف السلوك بأنه أخلاق الفرد وتعامله مع الآخرين، وهذا الفهم يأتي من استخدام كلمة السلوك في الحياة اليومية، فنقول فلان سلوكه حسن.

ويعرف من وجهة نظر أخرى بأنه كل ما يقوم به الفرد ويظهر للآخرين، وهذا التعريف لا يتضمن السلوك غير الظاهر.[1] فالإنسان له سلوك ظاهر يظهر للآخرين، وسلوك لا يظهر للآخرين كالتفكير مثلا.

وعرف العلي السلوك تعريفا شاملا فقال: «هو كل ما يصدر عن الكائن الحي (الإنسان) من نشاط سواء أكان قويا يلاحظه الآخرون أم ضعيفا لا يلاحظه الآخرون، وقد يلاحظه الفرد أثناء تفاعله مع البيئة»[2].

واتفق القذامي مع ما ذهب إليه العلي من أن السلوك هو «النشاط الإنساني الذي يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو عمل سواء أكان إراديا أم غير إرادي، ظاهرا أم باطنا»[3] وعليه فالسلوك هو نشاط صادر عن الإنسان، سواء أكان هذا النشاط ظاهرا ملاحظا أم غير ملاحظ، إراديا أم غير إرادي.

---

(١) عماد السعدي. دراسة في تعديل أنماط من السلوك الصفي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس، ١٩٨٨م، ص ١١

(٢) نصر العلي. حل المشكلات باستخدام منحنى تعديل السلوك، اليونسكو، دائرة التربية والتعليم، معهد التربية، ص ١٢

(٣) رمضان القذافي، علم النفس الإسلامي، صحيفة الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ١٧

السلوك في القرآن الكريم:

السلوك في القرآن الكريم يعبر عنه بمصطلح العمل، وبهذا فهو يقابل السلوك في علم النفس الحديث فالعمل الصالح يقابل السلوك المرغوب فيه، والعمل غير الصالح يقابل السلوك غير المرغوب فيه[1]. فورد لفظ العمل ومشتقاتها في القرآن الكريم عدة مرات ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾ [غافر: ٤٠]، فالمتأمل في الآيتين السابقتين يخلص إلى أن المقصود بالعمل هو النشاط الصادر عن الإنسان، ويترتب على هذا النشاط جزاء عند الله سبحانه وتعالى، وهذا هو منهج المفسرين فيفسر الصابوني العمل الصالح بالفعل فيقول (أي من فعل الصالحات ذكراً كان أو أنثى)[2].

وأوضح القرآن الكريم أن مصدر السلوك للمسلم هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبهذا يختلف مصدر تلقي السلوك عن باقي المدارس الفلسفية والتربوية الأخرى التي تجعل المجتمع أو الفرد مصدراً لتلقي السلوك. وبين القرآن الكريم أن السلوك يتأثر بكل من عوامل الوراثة والبيئة، ولكنه تأثيراً ليس حاسماً فقد يحدث ما يضاد الوراثة والبيئة معاً – سيأتي لاحقاً –

---

(١) الحسين جلو. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، دمشق. دار العلوم الإنسانية، ١٩٩٤م، ص ٣٨

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت: دار الفكر، ج٢، ص١٤٢.

فالسلوك ثمرة الفهم الواعي والعقل الراجح.

ويؤكد القرآن الكريم أن السلوك الظاهر لا يدل بالضرورة على حالة الداخلية للإنسان ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة:٢٠٤]، فهذا المخلوق الذي يصور نفسه بأنه خلاصة من الخير والتجرد والحب والترفع والرغبة في إفاضة الخير والبر والسعادة والذي يعجبك صوته وحديثه ويشهد الله على ذلك لزيادة التأثير والإيحاء، فهو في حقيقته تزدحم نفسه بالخصومة فلا موضع فيها للحب والخير ولا مكان للإيثار، فهو يتناقض ظاهره وباطنه ومظهر ومخبرة حتى إذا جاء وقت العمل ظهر ما كان يبطن وانكشف المستور وتم فضح حقيقته[١].

فالآية الكريمة تبين ومن خلال التفسير أن هناك أناسا في الظاهر تتوسم فيهم الطيبة والعمل الصالح في أقوالهم وأفعالهم وواقعهم خلاف ذلك.

ومما يؤكد هذا المنهج قوله تعالى عن فقراء المسلمين ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: من الآية٢٧٣]، فالآية الكريمة تبين لنا أن ثمة فقراء يخيل إلينا أنهم أغنياء، لأنهم لا يطلبون الصدقة ولا يمدون أيديهم إلى أحد.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٢٥، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٦م ١ / ٢٠٤

العوامل المؤثرة في السلوك وأنواع السلوك في القرآن الكريم:

العوامل التي يتأثر بها السلوك في القرآن الكريم:

بينت العديد من الدراسات النفسية الحديثة أن السلوك الإنساني يتأثر بعاملي الوراثة والبيئة، والقرآن الكريم يعترف بالوراثة والبيئة ولكن لا يراها العامل الحاسم والمطلق في السلوك، بل القرآن الكريم يعلي من الفهم الواعي والعقل الراجح ويراه العنصر الحاسم في السلوك، ومما يدل على عدم التأثير المطلق لعاملي الوراثة والبيئة في السلوك.

١) ففي قصة نوح عليه السلام مع ابنة الكافر، والذي وصفه القرآن الكريم أنه ليس من أهل نوح عليه السلام بل الأحرى أن يعلن براءته منه، قال تعالى ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾ [هود: من الآية٤٦]، فلو كان لعامل الوراثة دور حاسم في السلوك الإنساني لكان ابن نوح عليه السلام من الذين آمنوا مع سيدنا نوح عليه السلام.ففي الآية نفي أن يكون من أهل دينه واعتقاده وإعلام بأن قرابة الدين بالنسبة لأهل الإيمان هي القرابة، وهذا شائع في الاستعمال[1].

٢) وفي قصة امرأة فرعون المؤمنة والتي كانت تعيش في بيئة فاسدة ومنحرفة، ولكنها سلكت سلوك الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم:١١]، وهي نموذج عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات..

---

(١) الطاهر محمد ابن عاشور. التحرير والتنوير، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م ١١ / ٢٧٠

وكل هذه المعوقات..»[1] ولا يفهم من الآية الكريمة أن يذهب الإنسان إلى البيئة الفاسدة، فالإسلام يحرص على أن يتجنب الإنسان البيئة الفاسدة بل ويدعوه إلى إصلاحها.

وعليه فلا يحق لأحد أن يتذرع بالبيئة حتى يسلك سلوكا منحرفا، ومن باب أولى أن لا يتذرع بسلوك آبائه وأجداده من قبل.[2]

٣ - التفكير

أحد العوامل المؤثرة في السلوك الإنساني التفكير في ما يعرض للإنسان من أمور في الحياة حتى يحقق الإنسان الهدف المنشود بعيدا عن تحكيم الأهواء والعواطف.

وأشارت الكثير من الآيات القرآنية إلى أناس لا يفكرون وجعلتهم بمستوى الأنعام. قال تعالى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٤] وهؤلاء الذين لا يعقلون ولا ينفعهم تفكيرهم غير جديرين بصفة الإنسانية بل أعتبرهم القرآن بمستوى الدواب قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩]، فالتفكير له أثر بالغ في السلوك الإنساني ؛ واختيار السلوك الأفضل والمناسب والمتفق مع ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة.

---

(١) سيد قطب، مرجع سابق، ج ٦ / ص ٣٦٢٢

(٢) عابد الهاشمي، مدخل إلى التصور الإسلامي والحياة، عمان: دار الفرقان، ١٩٨٢م،ص ١٢

أقسام السلوك الواردة في القرآن الكريم:

يمكن تقسيم السلوك الإنساني الوارد في القرآن الكريم إلى عدة أقسام، وهذه الأقسام تتداخل مع بعضها البعض، ولا يمكن فصلها عن بعض، فمن الممكن أن يكون سلوك الفرد فردي انفعالي باطن، وفيما يأتي أقسام السلوكيات الواردة في القرآن الكريم.

السلوك الفطري:

وهو السلوك الإنساني المرتبط بالفطرة التي فطر الله الناس عليها. قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠]، فالفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق. فالفطرة تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جسدا وعقلا، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها، والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية... »[١].

السلوك المكتسب:

وهي الخبرات والمعارف التي يتعلمها الإنسان بالممارسة بعد مولده[٢]، ويدل على هذا السلوك قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [النحل: من الآية٧٨]

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ج ٢١ / ٤٨

(٢) رمضان القذامي، مرجع سابق، ص ٢٠

٣ - السلوك الظاهر:

وهو السلوك الذي يباشره الإنسان ويظهر للآخرين، كالصلاة والحج والصوم والجهاد في سبيل الله تعالى قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ [لأنفال:٣] وقال سبحانه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾. [الإسراء:٧٨]

٤ - السلوك الباطن

وهو السلوك الذي يباشره الإنسان ولا يظهر للآخرين، وقد يستدل على آثاره بشكل مباشر أو غير مباشر.[1]

مثل سلوك الذكر، والتفكر، قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: من الآية٢١]، وقوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: من الآية٢١].

٥ - السلوك العقلي

وهو سلوك يستند إلى العقل، وهذا ما يميز الإنسان على سائر المخلوقات، لأنه مناط التكليف، والقرآن الكريم حث على استخدام العقل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: من الآية١٧]، وقوله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، يقول صاحب الظلال في تفسير الآية «فالغاية هي أن يعقلوه حين يجدونه بلغتهم

(١) المرجع السابق، ص ٢٠.

وبلسانهم الذي يعرفون»[١] وقد نعى الإسلام على الذين لا يستخدمون عقولهم فقال تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: من الآية١٧١]، وقال ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة:٥٨].

ففي الآية الكريمة تحقير للكافرين إذ ليس في نداء الصلاة ما يوجب الاستهزاء، فاستهزائهم دليل على سخافة عقولهم.[٢]

٦ – السلوك الانفعالي

وهو سلوك ناشئ عن المشاعر والأحاسيس والانفعالات، وهو سلوك يمكن ملاحظته وقد لا يلاحظ.[٣]

ومن ذلك سلوك الخوف عند موسى عليه السلام حين رأى الأفعى وهي تهتز، قال تعالى ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص:٣١]

٧ – السلوك الفردي

وهو سلوك يقوم به فرد، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:٢٠]

٨ – السلوك الجماعي

وهو سلوك تقوم به جماعة إما في وقت واحد أو أفراد في أوقات مختلفة،

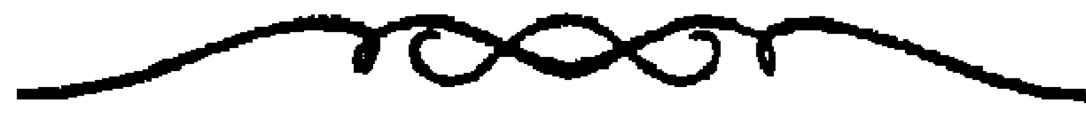
(١) سيد قطب، مرجع سابق، ٥ / ٣١٧٦.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥ / ١٤٠.

(٣) محمد محمود. مرجع سابق ، ص ٥١.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس:١٨] .

فالآية الكريمة تتحدث عن سلوك أصحاب القرية في مخاطبة الأنبياء وهو سلوك جماعي وليس فردي.



انحراف السلوك في القرآن الكريم

الإنسان مفطور على الإسلام، والإسلام هو دين الخير والفضيلة ولكن الإنسان يقبل الشر والرذيلة أحياناً، وإقباله على الشر والرذيلة يكون بالاكتساب من البيئة التي يعيش فيها، سيما إذا كانت هذه البيئة تتيح له ممارسة سلوكيات منحرفة دون أن تزجره وتنهاه عنها ومن أسباب انحراف السلوك عن الطريق المستقيم كما ورد في القرآن الكريم.

الابتعاد عن الإيمان الصحيح:

إذا أبتعد الإنسان عن العقيدة الإسلامية انحرف سلوكه، وابتعد عن الطريق المستقيم، فالانحراف الذي يحدث في السلوك غالبا هو نتيجة البعد عن الصراط المستقيم، ونتيجة لاضطراب العقيدة والفكر والمشاعر، وإذا صحت العقيدة حسنت العبادة.(١)

قال تعالى ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك:٢٢]، فحياة الإيمان هي حياة البشر والاستقامة، وحياة الكفر هي حياة العسر والتعثر والضلال والآية الكريمة تصور حياة جماعة يمشون على وجوههم أو يتعثرون وينكبون على وجوههم... ومشهد جماعة أخرى تسير مرتفعه الهامات منتصبة القامات في طريق مستقيم لهدى مرسوم.(٢)

انحراف الفطرة:

الفطرة المنحرفة سبب لوقوع مختلف السلوكيات الخاطئة، ومن مظاهر انحراف الفطرة الكفر والشرك بالله تعالى، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ

---

(١) محمد محروس الشناوي. الإرشاد من منظور إسلامي،ص ٣٣٢ – ٣٣٥.

(٢) سيد قطب، مرجع سابق، ٦ / ٣٦٤٤.

بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨]

فالكافر والمشرك يقع في كثير من السلوكيات الخاطئة والمنحرفة عن منهج الله سبحانه وتعالى فأبانت الآية الكريمة، أن صاحب كل كبيرة في مشيئة الله سبحانه وتعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله تعالى[١].

غياب المنهج الإلهي عن الواقع العملي:

إن غياب المنهج الرباني عن واقع التطبيق العملي في حياة الأفراد والجماعات، يودي إلى انحراف في سلوك الأفراد وانتشار الفساد، فمنهج الإسلام يعد ضابطا لسلوك الإنسان فهو يحوي العقوبات والمعززات ومظاهر السلوك الحسن والقبيح وغيابه بنذر بسوء عاقبة في الدنيا والآخرة. قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف٣٦-٣٧].

فأصل فساد الخلق مخالفة الخالق وتنكب طريقة، وصلاح الأمر في إتباع الحق والتزام طريقة والحق هو الوضع الثابت الذي خلق الله عليه مخلوقاته أو أرادوها أن تكون عليه، ذلك أن ليس مخلوق في الدنيا إلا وخلقه الله وحده... وليس من مخلوق في الدنيا إلا جعله الله سبحانه وتعالى على وضع معين ودبر أمره بكيفية معينة»[٢]

---

(١) محمد الصابوني، مرجع سابق، ١ / ٢٨١.

(٢) محمد نعيم ياسين، الإيمان حقيقته نواقصه، ط ٥، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٥م، ص ٥.

ضعف الإيمان:

على المسلم أن يتعهد إيمانه ويحاسب نفسه وينظر إلى أسباب نقصانه ويتحاشاها ويتلمس أسباب الزيادة والنماء كما كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم.[1]

ومما يثبت أن ضعف الإيمان سبب في انحراف سلوك الإنسان، حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [صحيح مسلم / ج١ / ص٧٦ / حديث ٥٧]، فالحديث يدل دلالة واضحة على أن ضعف الإيمان هو أحد أسباب ارتكاب السلوك المنحرف والخاطئ.

ومن أهم أسباب زيادة الإيمان العلم، فالاستزادة منه سبب في زيادة اليقين والمعرفة. والعمل الصالح يقوي الإيمان وذكر الله سبحانه وتعالى وتلاوة كلامه وآياته والعمل على النظر في آياته ومعجزاته.

وأسباب انحراف السلوك الإنساني كثيرة جدا منها عدم إدراك الإنسان غايته من الحياة وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وعداوة الشيطان المستحكمة للإنسان، قال تعالى محدثا على لسان الشيطان ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، والصحبة الفاسدة ورفاق السوء، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١٠.

لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان:٢٧- ٢٩]، فجاء في الآية الكريمة فلانا للتجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله، فهذا الشخص إما أن يكون شيطانا أو عونا للشيطان ليقود الإنسان إلى مواقف الخذلان[1].

ونظرا لأهمية نظرة القرآن للانحراف السلوكي سنخصص له الفصل القادم.



(١) سيد قطب، مرجع سابق، ٥ / ٢٥٦٠.

الفصل الثالث

القرآن الكريم وعلاج انحراف السلوك

انحراف السلوك وعلاجه القرآني

من الملاحظ أن علماء النفس وعلماء الاجتماع يتجنبون أو يستصعبون وضع تعريف محدد للانحراف وذلك يرجع إلى عدم وجود معيار واحد يتفق الجميع على إمكانية الاعتماد عليه في تحديد السلوك السوي من السلوك الشاذ أو المنحرف.

يقول الدكتور جمال الخطيب: (ليس من السهل تحديد الخط الفاصل بين السلوك السوي والسلوك الشاذ ، فهناك أكثر من تعريف للسلوك الشاذ وأكثر من معيار للتمييز بينه وبين السلوك السوي، وجميع المعايير المستخدمة في هذا الشأن فيها مواطن ضعف مما يجعل الاعتماد على أي منها دون أخذ المعايير الأخرى بعين الاهتمام أمراً غير مناسب)[1].

ويؤكد الدكتور عدلي السمري ما ذهب إليه الدكتور جمال الخطيب فيقول: (ولا يقتصر هذا التضارب حول تحديد الشخص المنحرف فقط بل يمتد أيضاً ليشمل مفهوم السلوك المنحرف ذاته، حيث يسود عدم الاتفاق بين علماء الاجتماع حول تحديد مفهوم السلوك المنحرف)[2].

ويستخدم علماء النفس وعلماء الاجتماع عدة تسميات يعبرون بها عن انحراف السلوك مثل: الجنوح، الجريمة، الاضطراب.

---

(١) الخطيب، جمال، تعديل السلوك القوانين والإجراءات، جمعية عمال المطابع، عمان، ١٩٨٩، ص ٤١.

(٢) السمري، عدلي، السلوك الإنحرافي دراسة في الثقافة الخاصة الجانحة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ١٥.

ومن تعريفاتهم للانحراف:

١) مخالفة لنص تشريعي تضمنه قانون العقوبات وبالتالي يستوجب توقيع جزاء جزائي[١].

٢)- كل فعلٍ ضار بمصالح المجتمع الأساسي[٢].

٣) اختلاف الفرد في خاصية أو أكثر جسميه أو عقليه عن أقرانه العاديين[٣].

ويؤخذ على هذه التعريفات جميعاً أنها سطحيه تنظر إلى الإنحراف على أنه تصرف أو سلوك ظاهر دون الإشارة إلى علاقته بالحالة النفسية للإنسان، كما أنها تعريفات تركز على نتيجة الفعل كمؤشر، فإذا كانت نتيجة الفعل منفعة للآخرين كان صاحب الفعل شخصاً سوياً، أما إذا كانت نتيجة الفعل ضرراً يلحق بالآخرين كان صاحب الفعل شخصاً منحرفاً.

فالذي يدعو الأغنياء إلى التبرع بشيءٍ من أموالهم إلى الفقراء، فمن وجهة نظر الفقراء هذا شخص سوي لأنه يدعو إلى نفعهم ومن وجهة نظر الأغنياء هو منحرف لأنه يضر بمصالحهم، والمجتمعات التي تحظر الزنا وتعاقب عليه بنص قانوني يعد الزاني فيها منحرفاً فإذا لم يعاقب القانون على الزنا كان الزاني شخصاً سوياً.

والخلاصة أن محددات الشخصية المتحرفة عند علماء النفس وعلماء الاجتماع نسبية متغيره من مجتمع إلى آخر.

لكن الأمر ليس كذلك في التربية الإسلامية فما عده المسلمون إنحرافاً قبل أربعة عشر قرناً من الزمن في أيام الدعوة الإسلامية الأولى ما زال المسلمون

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) السمري، عدلي، السلوك الإنحرافي دراسة في الثقافة الخاصة الجانحة، مرجع سابق، ص ١٩.

(٣) قاموس التربية الخاصة، www.layly.com/vvshowrhread.php؟t=٩٣..

يعدونه إنحرافاً إلى هذه الأيام، فالسرقة والزنى والرشوة والكذب والخيانة وغيرها، من صور الإنحراف التي اتفق المسلمون على محاربتها قديماً وحديثاً في مكة المكرمة وفي الأندلس وفي مصر والشام وبلاد المغرب على حدٍ سواء.

والسبب في ذلك هو وحدة المعيار الذي تستخدمه التربية الإسلامية في التمييز بين الانحراف والاستقامة ألا وهو نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة. فكل ما عده القرآن الكريم والسنة الشريفة إنحرافاً اتفق المسلمون على أنه كذلك، وما عده الإسلام فضيلة واستقامة عده المسلمون كذلك. وليس من حق مسلم أن يتقدم على حكم الله وحكم رسوله ﷺ حكماً آخر. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وعلى هذا يمكن تعريف انحراف الشخصية في التربية الإسلامية على أنه:

مباينة الفطرة السليمة وإتباع الطريق الخطأ المنهي عنه دينياً، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

أو الخضوع والاستسلام لنوازع النفس البشرية دون الالتزام بقيود الشريعة الإسلامية ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثيه: ٢٣].

مميزات نظرة التربية الإسلامية إلى إنحراف السلوك:

يلاحظ من خلال موقف التربية الإسلامية من إنحراف السلوك أن مو يمتاز بما يلي:

١) إن لانحراف السلوك من منظور التربية الإسلامية مستويات متعددة وليس

مستوى واحد، فقد يصل مستوى الإنحراف في الشخصية إلى حد ارتكاب الجريمة التي تعاقب عليها الشريعة الإسلامية، مثل السارق الذي تقطع يده، والزاني الذي يجلد أو يرجم. وقد يكون الإنحراف من مستوى مخالفة الذوق وحسن الأدب مع الآخرين مثل عدم إلقاء السلام على المسلمين أو طرح الأذى في طريق الناس أو دخول البيوت من غير استئذان.

٢) إنحراف السلوك من منظور التربية الإسلامية لا ينحصر في السلوك الظاهر فقط بل يمتد حتى يشمل أعمال القلوب وخفايا الصدور فالخوف من الله فضيلة، قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]. والخوف من الشيطان ومكائده إنحراف، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والحب إن كان يعبر عن تعلق قلب الإنسان بلون من ألوان الخير فهو دليل على الاستقامة. قال تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وإن كان الحب يعبر عن تعلق القلب بالفاحشة والميل إليها كان دليلاً على إنحراف الشخصية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النور: ١٩]

٣) إنحراف السلوك من منظور التربية الإسلامية يشمل خروج الإنسان عن حدود الاتزان في التعامل مع مكونات الطبيعة. قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]. قال تعالى:

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

أسباب انحراف السلوك كما يعرضها القرآن الكريم:

إهتم الكثير من العلماء والمختصون بدراسة أسباب الانحراف الإنساني فعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء القانون كلهم حاولوا دراسة ظاهرة إنحراف الشخصية ومعرفة أسبابها.

وقد ظهر نتيجة لذلك عدة اتجاهات كلها تحاول الوقوف على أسباب إنحراف الشخصية، وأبرز تلك الاتجاهات[1]:

١) الاتجاه الثقافي.

٢) الاتجاه الاقتصادي.

٣) الاتجاه البيئي.

٤) الاتجاه التفاعلي.

وقد أخذ على كل من الاتجاهات السابقة أنها تفسر إنحراف الشخصية الإنسانية بمختلف أشكاله ومظاهره بنوعٍ واحد من الأسباب فقط، مما جعل كل واحد من هذه الاتجاهات قادر على تفسير جزء من مظاهر إنحراف الشخصية وعاجز عن تفسير البقية.

أما إذا تأملنا آيات القرآن الكريم وجدناها تعزو إنحراف الشخصية الإنسانية إلى أسباب متنوعة تشمل الإتجاهات السابقة جميعها وتعطي الأمثلة والنماذج التي توضح هذه الأسباب.

ومن الملاحظ أن هذه الأسباب مرتبطة متداخلة لا يمكن فصل بعضها عن بعض فصلاً تاماً، فربما يشترك أكثر من نوع منها في إحداث إنحراف في شخصية

---

(١) السرحان، عبد الله ناصر، الترويح وعوامل الإنحراف رؤية شرعية، الدوحة، كتاب الأمة ٧٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ١١٢.

الإنسان، كما يمكن أن يؤثر بعضها ببعض.

أولاً: الأسباب النفسية الذاتية:

هنالك أشخاص في طبيعتهم آفة وفي داخلهم علة عبر القرآن الكريم عنها بقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]، وهذا السبب هو الذي يحيد بالإنسان عن الصراط المستقيم الذي بينه الله تعالى به. والمقصود هنا جملة الأسباب الناشئة عن سوء استخدام الإنسان طاقته البشرية التي أكرمه الله بها، أو إهماله متابعة نفسه وتزكيتها وتركها تتعرض لمواقف حياتية مفسدة ومخلة بالحياء والذوق حتى أصبح في داخل هذا الإنسان خلل يؤدي به إلى السير في غير طريق الاستقامة. ومن الأمثلة على ذلك:

مثال (١):

الشخصية التي وصفها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

تتحدث الآيات الكريمة عن أشخاص في طبيعتهم آفة وفي داخلهم علة تحيد بهم عن الطريق المستقيم، هؤلاء يفسدون في الأرض التي خلقهم الله فيها لإصلاحها وإعمارها ولا يعترفون بذلك (ولم يكتفوا بأن ينفوا عن أنفسهم الإفساد بل تجاوزوه إلى التبجح والتبرير و ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ ﴾ .... يقولون ذلك لأن الموازين مختلة في أيديهم...... فالذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن جزاء الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ولا يثوب إلى قاعدة ربانية)[1].

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، =

وتتضح أسباب إنحراف هؤلاء أكثر حين نقرأ قول الله تعالى عنهم أنفسهم: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠]، وفي هذا تفسير واضح لإنحراف هؤلاء الذين يفسدون ولا يعترفون بسوء ما يصنعون، فهؤلاء في قلوبهم خللٌ ومرضٌ انعكس على جوارحهم وعلى ألسنتهم فانطلقوا يعبثون في الأرض فساداً. فالمرض يولد المرض والإنحراف يبدأ يسيراً ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد.

مثال (٢):

فالإنسان إذا لم يتابع نفسه بالتزكية والتهذيب استرسلت فيه صفة العجلة التي هي موجودة في طبع الإنسان، فإذا ما انطبع الإنسان بهذه الصفة إنحرف عن الخير إلى الشر بقصد أو بغير قصد ولكن النتيجة واحدة.

قال تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١٤]. قال الإمام الرازي: (قد يبالغ الإنسان بالدعاء طلباً لشيء يعتقد أن خيره فيه، مع أن ذلك الشيء يكون منبع شره وضرره، وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وإنما يقدم على هذا العمل لكونه عجولاً مغتراً بظواهر الأمور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها)[١].

مثال (٣):

أصل الهلع موجود في شخصية الإنسان، وقد جعل الله للإنسان عقلاً وحكمة، فإن هو أحسن استعمالها هذب نفسه وطباعه، وإن هو أهمل ذلك ظهرت فيه صفة الهلع فانحرف عن وجه التعامل السوي مع الخير والشر فإذا

= ط ٢٥، ص ٤٤.

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط ٢، ج٧، ص ٣٠٥.

أصابه ما ينفعه ويلبي رغباته من الصحة والغنى كان شديد المنع لبذل شيء مما عنده من الخير، وإن أصابه الأذى من مرضٍ وفقرٍ وغيرها أظهر الضجر والشكوى ولم يطق الصبر.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج : ١٩-٢١].

(إن الهلع طبيعة كامنة في الإنسان تظهر عند ابتداء شعوره بالنافع والضار، فهو من طباعه المخلوقة كغيرها من طباعه البشرية..... وقد أشعرت الآية الكريمة بأن الإنسان يستطيع أن يكف عن هلعه إذا تدبر في العواقب فيكون قوله ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ كناية عن تمكن ذلك الخلق منه وغلبته على نفسه)[(١)].

ثانياً: الأسباب المادية والاقتصادية

حدثتنا آيات القرآن الكريم عن واحده من أنماط الشخصية الإنسانية تمتاز بأنها غارقة في حب الدنيا ومتاعها وخيراتها وكنوزها، حتى صارت الدنيا هدفها الذي تحيى من أجله، فهذه شخصية مادية تتعامل مع كل ما حولها ومَنْ حولها بناء على مبدأ الكسب والمنفعة والمصلحة.

وهذه الأسباب المادية متى توافرت في نفس بشرية كهذه أوجدت عدة إنحرافات في الشخصية منها:

١) يشن هؤلاء هجوماً على الاستقامة والعدالة لأنهم لا يملكون أن يصلوا إلى غاياتهم من الكسب الحرام واستغلال الناس واستعبادهم إلا بعد أن يتخلصوا من سبيل الإستقامه والعدالة الذي بينه الشرع وأوضح معالمه قال

---

(١) الطاهر إبن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،تونس، ١٩٨٤م، ج٢٩، ص١٦٨.

تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ [إبراهيم:٣].

٢) يصبح كل شيء عندهم قابل للبيع والشراء، إذا كان ذلك يحقق مصالح ومكاسب لهم قال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

فمن أجل المال والنفع الحقير الدنيوي يكتبون صحفاً وكتباً يكذبونها على الله سبحانه ويزعمون أنها من كلامه.

٣) يتكون لديهم معيار جديد يزنون به الأمور والأشخاص ميزاناً مادياً مجرداً. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

هؤلاء يعترفون بأن الذي أخبرهم باختيار الله لطالوت ملكاً عليهم هو نبي ن عند الله، ومع ذلك اعترضوا على اختيار الله لطالوت وبرروا ذلك بأنه نير ومنهم من هو أغنى منه، وعلى هذا فالغني عندهم أحق بالملك من الفقير تى ولو كان الفقير يملك مؤهلات الملك والرياسة والقيادة فمعيار المادة هو يار المقدم في الحكم على الأشخاص و مؤهلاتهم.

لثاً: الأسباب ذات الطبيعة الاجتماعية:

أشار الكثير من علماء الاجتماع المعاصر إلى علاقة البعد الاجتماعي لجنوح والانحراف ومن هؤلاء (عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم DURKHAIM لذي ركز على أهمية الوسط الاجتماعي في تفسير الجريمة، ولم يقصر تارد

TARD دراسته على كيفية تأثير الوسط الاجتماعي على الفرد، بل حاول دراسة السبب وراء ذلك، حيث صاغ قانون التقليد أو المحاكاة باعتباره العامل الأساسي وراء الجريمة)[١].

وقد ربط علماء الاجتماع التفاوت في معدلات الجناح والإنحراف بما طرأ على التنظيم الاجتماعي من تغيير، لهذا إهتموا بدراسة الظواهر الإجتماعية مثل حركة السكان وخصائصهم والتدرج الطبقي في المجتمع وغيرها، بحثاً عن عوامل ومسببات السلوك الإنحرافي داخل المجتمع أو المنطقة التي يعيش فيها الفرد أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

وفي مواضع كثيرة أشار القرآن الكريم إلى العوامل الاجتماعية ودورها في تكوين انحراف الشخصية، ومن هذه العوامل:

١ - التأثر بالآباء والأجداد وتقليدهم من غير تفكير ولا تروي:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

(كلما قيل لهؤلاء المشركين: إتبعوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل قالوا في جواب ذلك: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام والأنداد. قال الله تعالى منكراً عليهم: أولو كان آباؤهم الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ليس لهم فهمٌ ولا هداية!!)[٢].

فانحراف الآباء والأجداد ظاهر وواضح أثره في انحراف الأبناء والأحفاد،

---

(١) أحمد، غريب، علم اجتماع السلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢١٠.

فالإنحراف هنا منشأوه التقليد والمحاكة وتكرار انحراف الآباء والأجداد لما لهم من مكانة اجتماعية في نفوس أبنائهم، مما جعلهم يرفضون الخروج من دائرة الانحراف، ويرفضون أي دعوة للتغير والإصلاح لأن هذا يعني في النهاية اتهام للآباء والأجداد أنهم كانوا على باطل وهذا ما يتجنبه هؤلاء المقلدون. لذلك قال الله تعالى في حالهم وصف ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

(فهم كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا نعق راعيها أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل إنها تسمع صوته فقط)[١].

٢ - العصبية للعشيرة وصلة الدم:

فأحياناً يسلك الإنسان مسلك الانحراف مناصرة لقومه وعشيرته، وفي سبيل القوم والعشيرة مستعدٌ لأن يسلك أي مسلك ويقوم بأي تصرف، فالعشيرة مقدمة على الحق وأهله، والعشيرة مقدمة على الفضيلة وحسن الخُلُق، والعشيرة مقدمة على الرسل والأنبياء، فهي مقدمة على كل شيء بدون استثناء.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود: ٩١-٩٢].

فهؤلاء فهمت عقولهم الحق ومع ذلك ما أقاموا للحق وزناً فذكروا هذا الكلام على وجه الاستهانة، وبينوا لنبيهم شعيب عليه السلام أنه لا حرمة له

---

(١) ابن كثير، ، مرجع سابق، ص ٢١٠.

عندهم وأنهم إنما لم يقتلوه لأجل احترامهم رهطه وعشيرته، فهم يستهينون برسول الله ويستخِفون بمعصيتهم لله تعالى وهو خالقهم ورازقهم وتبقى العشيرة في مكانتها لا يجرؤ أحد منهم على المساس بها.

٣ - السكوت عن المفسدين والمخربين من أبناء المجتمع:

فكل مجتمع مهما كان متقدماً قوياً متماسكاً لا بد أن يوجد فيه نماذج منحرفة، تسعى في الفساد وتنشط في الإفساد، فإذا أهمل المجتمع الأخذ على أيدي المفسدين ومنعهم من أعمال الفحش والسوء، انتشرت العدوى إلى أفراد أصحاء، ونجح هؤلاء في غواية الكثير من الأسوياء، تماماً كالفيروسات التي تسبب المرض ثم تنتقل من شخص إلى آخر بالعدوى ولكن هؤلاء الأشخاص المنحرفون فيروسات ثقافية تستهدف الأخلاق والقيم فتفسدها وتشوهها.

وخير وسيلة لاتقاء شر هذه الفيروسات منع انتشارها وتوعية المجتمع بحالها وبدرجة انحرافها. قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

(أي احذروا بطش الله وانتقامه إن عصيتم أمره واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تعم الجميع، وتصل إلى الصالح والطالح، لأن الظالم يهلك بظلمه وعصيانه، وغير الظالم يهلك لعدم منعه وسكوته عليه. وفي الحديث «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» (صحيح البخاري).

قال ابن عباس: (أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم)[1].

---

(١) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ط ٤، ج ١، ص ٥٠٠.

رابعاً: الأسباب الثقافية:

(كشفت دراسة أجريت على «مشكلة الجانحين في المجتمع المغربي» أهمية الأسباب الثقافية في الجريمة. حيث اتضح أن غالبية الجانحين هم أبناء لآباء أميين. فالأمية عامل مهيأ للجناح، لأن ضعف مستوى التعليم يترتب عليه ضعف المستوى الثقافي وهذا يعني انخفاض المستوى الفكري وافتقار الأسرة إلى أسس التوجيه السليم لسلوك الأبناء وتقويم شخصياتهم)(١).

وقد أشار القرآن الكريم في مواضع مختلفة إلى أهمية العوامل الثقافية وتأثيرها في إنحراف الشخصية، واعتبر القرآن الكريم العوامل الثقافية واحدة من الأسباب التي يمكن أن تكوّن الجنوح والانحراف، ومن العوامل الثقافية التي تحدث عنها القرآن الكريم:

١) الخرافات والأساطير - قد يتخذ إنسان واحد أو مجموعة من الناس شيئاً من الأوهام والأساطير لتصبح قوة واضحة ومؤثرة في اتخاذ قراراتهم في مواقف مختلفة من الحياة فيصبح تصرف الإنسان العاقل المكرم قائم على أساس الخرافة والأسطورة. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

هؤلاء الجماعة استطردوا في الأوهام والأساطير ووصلوا إلى تقسيم الأنعام بين الذكور والإناث. (هكذا بلا سبب ولا دليل ولا تعليل على أهواء الرجال التي يصوغون منها ديناً غامضاً ملتبساً على الإفهام..... إن الإنسان ليعجب من تكاليف الانحراف عن شرع الله ونهجه، تلك التي يتحملها المنحرفون عن الصراط المستقيم ولأثقال الخرافة والغموض

---

(١) أحمد غريب، جابر، سامية، علم اجتماع السلوك الانحرافي، مرجع سابق، ص ٣٦.

والوهم التي يتبعها الضالون)[١].

٢) الجهل وقلة العلم - فالجهل داء خطير يسوق صاحبه إلى الوقوع في ألوان شتى من الانحراف، وذلك أن ظُلمة الجهل تعمي مدارك العقل فيصبح الإنسان متخبطاً يصيب مرة ويخطئ مرات يسعى بنفسه إلى الهلاك ظناً منه أنه يطلب النجاة. وقد ربطت آيات القرآن الكريم بين الجهل والانحراف في مواقع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فقد حدد رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام سبب انحراف قومه من بني إسرائيل حين طلبوا آلهة محسوسة ملموسة مثل الأصنام والأحجار والأشجار التي يعبدها الظالمون والمشركون، إنه جهل القوم بالله تعالى وبصفاته وأسماءه وما يليق به سبحانه وما لا يليق به، فهو متصف بصفات العظمة والكبرياء والقوة والقهر والجبروت ما لو عرفها بنو إسرائيل أو عرفوا شيئاً منها لما طالبوا بآلهة صنمية ولكنهم يجهلون.

ولوط عليه الصلاة والسلام أشار إلى سبب انحراف قومه وسقوطهم في مهاوي الرذيلة والجنس إلى حد الخروج عن حدود الفطرة السوية. قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

[النمل: ٥٤ -٥٥]

بل إن الجهل وقلة العلم قد يؤديان بالإنسان إلى أن يقتل أعز الناس إليه وأحبهم على قلبه، والسبب جهله بسنن الله التي يحكم بها الكون والتي منها أن

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٢٢.

رزق المخلوقات له وإليه سبحانه، لا يملك أحد سواه أن يزيده أو ينقصه فليس الوالد من يرزق ولده وإنما الله هو الذي تكفل برزقهما معاً ولكن الجاهل بهذه الحقيقة يريد أن يتخلص من همّ الإشتغال بالرزق فيتجه إلى إرتكاب الجريمة.

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

خامساً: وساوس الشيطان:

تعتمد الدراسات الإنسانية في علم النفس وعلم الاجتماع على المنهج التجريبي في البحث والاستنتاج، فعند دراستهم لموضوع انحراف الشخصية والأمراض النفسية واضطراب السلوك تكون الدراسات محصورة في المظاهر التي يمكن ملاحظتها والمؤثرات والمسببات المرتبطة بها والتي يمكن دراستها وضبطها والتأثير فيها بوسائل علمية تجريبية.

لكن القرآن الكريم يخبر بأن هناك مسببات أخرى لانحراف الشخصية واضطراب السلوك لا يستطيع الإنسان أن يتعرف عليها بالبحث التجريبي والملاحظة وضبط المؤثرات، فهناك جيش من المفسدين هم إبليس وأتباعه يعملون على إفساد الإنسان وصرفه عن سبل الاستقامة والهداية والرشاد، وهذه المخلوقات الشيطانية لا تُرى بالعين ولا يمكن للإنسان الإحساس بها كما يحس بالأشياء الأخرى ولا يمكن إخضاعها للتجربة والملاحظة.

ولذلك نبه القرآن الكريم إلى خطورة هذا المسبب للإنحراف والذي يغفل عنه الإنسان ولا يحسب له حساباً ولا تؤمن به الدراسات التجريبية الحديثة، مع أن وساوس الشيطان وجنوده ومكرهم وخداعهم أول مسببات الانحراف التي تعرض لها أبو البشرية آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن

سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢].

(فقد أباح الله لآدم عليه السلام ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها، من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة. فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن)(١).

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى:- (اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه. ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه. وأعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب. وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عدواته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم. وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ – ١٦٩])(٢)

ولكن الله سبحانه وتعالى بين لبني آدم بعض الحقائق المتعلقة بإبليس

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،مرجع سابق، ج٢، ص٢١٤.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، تلبيس إبليس، دار المنار، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٠.

ووساوسه تعين على التعامل معه وفهم حيله وأخذ الحيطة والحذر من مكائده منها:

١) أن الشيطان لا يأمر إلا بالشر ولكنه يجتهد في الخلط بين الخير والشر على الإنسان حتى لا يتبين له أحدهما من الآخر.

قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٦٣].

فالشيطان ما زاد في الأمم السابقة على أن زين لبني آدم أعمالهم القبيحة وتمردهم على رسل الله وأنبياءه ووعدهم بالنصر فانخدعوا بفعل مكره وحيله فأصروا على الكفر والانحراف وماتوا وهم على ذلك.

٢ - الشيطان ليس له سلطان على الإنسان:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

(أي لم يكن لي قدرة وتسلط وقهر عليكم فأكرهكم على الكفر والمعاصي، إلا دعائي إياكم إلى الضلالة والوسوسة والتزيين فاستجبتم لي باختياركم فلا ترجعوا باللوم علي ولكن لوموا أنفسكم فإن الذنب ذنبكم)[١].

فليس من حق الإنسان إذا أخطأ بعد ذلك وانساق في طريق الانحراف أن يتنصل من مسؤوليته الكاملة عن أفعاله، مبرراً إياها أن الشيطان هو الذي جره إليها وخدعه بها، لأن الشيطان ليس له سلطة إجبار أو إكراه وإنما ينحصر تأثيره في الوسوسة والتزيين فحسب، ويبقى الإنسان هو مالك أمره وصاحب

(١) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩٦.

الاختيار في فعله فإن استجاب فعليه أن يتحمل نتيجة استجابته لوساوس الشيطان لأنها وقعت باختيارٍ منه بلا إكراه ولا إجبار.

٣ - مكر الشيطان للإنسان ضعيف يقوى كل عاقل على التخلص منه:

فقد جاءت آيات القرآن الكريم موضحة مدى انكشاف الحيل والألاعيب التي يستخدمها الشيطان في إغواء الإنسان، فقال سبحانه ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

ومما يزيد كيد الشيطان ضعفاً ووهناً أن الله تعالى قد بين الحق لعباده وتركهم على بصيرةٍ من أمورهم، فقد أبان الخير من الشر وعرَّف أهل الحق وأهل الباطل، والإنسان يمتلك من طاقة العقل والفكر ما يجعله قادراً على التمييز.

مظاهر انحراف السلوك:

لقد أشار القرآن الكريم إلى مظاهر عدة لانحراف السلوك المتمثل في العصيان وتجاوز حدود الشرع والخروج عن حدود الفطرة السوية التي خلق الله الإنسان عليها، وقد استخدم القرآن الكريم كلمات عديدة للدلالة على انحراف الشخصية مثل الزيغ والضلال والكفر والفسوق والنفاق وغيرها.

ويمكننا تصنيف مظاهر انحراف الشخصية في أربعة أصناف هي: مظاهر عقديه وفكرية ومظاهر نفسية ومظاهر أخلاقية، اعتماداً على أن (الإنسان خلقه الله في كيان متعادل متوازن، فقبضة الطين ونفخة الروح يكونان معاً وجوده الممتزج المترابط الموحد، الذي يختلط فيه العنصران ويمتزجان،فلا يعود هناك انفصال بينهما، وإنما يصير الإنسان جسماً وروحاً معاً في كل حالة من حالاته)[1].

---

(١) قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط ١٠، ص ٢٧٧.

فإذا تجاوز الإنسان حد الاعتدال في استخدام جسده وأساء في توظيف آلة العقل التي منحها الله له يتولد الانحراف السلوكي والانحراف العقائدي والفكري.

أما إذا اختل توازن الروح وأهمل الإنسان تزكية النفس وتطهيرها فسد ذوق الإنسان واضطربت نفسه وتولد الانحراف النفسي والأخلاقي.

مع التأكيد أننا لا نستطيع أن نعتبر هذه المظاهر أنها منفصلة عن بعضها البعض انفصالاً تاماً، فلا يمكن أن يكون هناك إنحراف سلوكي يصدر عن إنسان يمتلك نفساً مطمأنة مستقيمة، كما لا يمكن أن يكون الإنسان منحرفاً عقائدياً وفكرياً وهو مستقيم سلوكياً وأخلاقياً. ويبقى الفصل بينها فقط من أجل الدراسة والتوضيح والبيان وليس من أجل إظهار انفصال كل مظهر انحرافي عن المظهر الآخر.

المظهر الأول: انحراف العقيدة والفكر:

لقد أعلمنا الله سبحانه أنه خلق آدم عليه السلام خلقاً سوياً متكاملاً ونفخ فيه من روحه، وأنه سبحانه وعد عبده آدم أن يبعث في بنيه رسائل الهداية الربانية التي يعرف بها الناس ربهم وخالقهم وطريق الوصول إليه سبحانه، كما وعد سبحانه كل من آمن برسالته بالنعيم المقيم والمقام الكريم وتوعّد الذين يكفرون بها ويخالفونها بالعذاب الشديد والعقاب الأليم.

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

وقد بين الله سبحانه أن الناس في البداية كانوا متفقين على الهداية وعقيدة التوحيد ثم وقع الاختلاف والانحراف في العقيدة، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً

وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]. (أي كانوا كلهم على دينٍ واحد هو الإسلام بين آدم ونوح وقيل المراد نوح ومن في سفينته، فقد كانوا على التوحيد ثم تطاولت القرون وانتشرت عبادة الأوثان فأصبح الناس بين مؤمن وكافر) (١).

وقد ركز القرآن الكريم على هذا النوع من الإنحراف وشدد في التحذير منه، وبين أن انحراف العقيدة هو أخطر أنواع الإنحراف على الإطلاق وأشدها ضرراً على أصحابها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وتعرض القرآن الكريم لعدد من مظاهر إنحراف العقيدة على سبيل التحذير من الوقوع والاغترار بها، ومن هذه المظاهر:

١- المبالغة في تعظيم الأشخاص إلى مستوى عبادتهم من دون الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣].

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال

---

(١) الأشقر، محمد، زبدة التفسير، دار النفائس، عمان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ط٢، ص٣٣).

في تفسير الآية الكريمة: (أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا،فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت) (صحيح البخاري: حديث رقم ٤٩٢٠).

نخلص من هذا إلى أن هذه الأسماء كانت لرجال صالحين محبوبين لهم أتباع، فلما جرت عليهم سنة الله فماتوا وتوارث أتباعهم حبهم، انحرف حب الأشخاص إلى تقديس وتزايد التقديس إلى درجة التعظيم حتى عبد الناس تماثيل وصور صنعوها تخليداً لهؤلاء الرجال، فصاروا يدعونهم ويطيقون بهم ويستمطرونهم ويوصي بعضهم بعضاً بعدم التخلي عن عبادتهم أو ترك الإشراك بهم.

وهذه الصورة المنحرفة قديمة متجددة في واقع الحياة البشرية، ففي معظم مراحل التاريخ البشري نرى جماعات بشرية متفقة على تمجيد شخص أو أشخاص أحياناً يكونوا ذوي مكانة دينية، وأحياناً أصحاب مناصب سياسية وكثيراً ما ينتهي الأمر بهؤلاء الأتباع إلى المبالغة في تعظيم المتبوعين.

وقد ضرب الله تعالى الأمثلة الموضحة لهذا النوع من الانحراف في الإتباع منها:

مثال (١) فرعون:

يصور القرآن الكريم شخصية فرعون بالحاكم المستبد الذي يستخف بقومه ويستعبدهم إلى درجة أن جعل نفسه إلهاً لشعبه وقومه فهو يملكهم وما يملكون ويحكم عليهم ولا حق لأحدٍ أن يناقش أو يجادل، أما قومه فقد ملأ الخوف قلوبهم واغتروا بقوة فرعون الطاغية فتابعوه فيما أراد.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى

لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

(أراد فرعون بخطابه مع ملأه أن يثبتهم على عقيدة إلاهيته فقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ إبطال لقول موسى: رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم تعقلون، فأظهر لهم فرعون أن دعوة موسى لم تُرج عنده وأنه لم يصدق بها فقال: ما علمت لكم من إله غيري، والمراد بنفي علمه بذلك نفي وجود إله غيره بطريق الكناية ليريهم أنه أحاط علمه بكل شيء حق فلو كان ثمة إله غيره لعلمه)[1].

وقد تابعه قومه في ذلك معظمين لجانب السلطة والقوة المتمثلة في ملكهم فرعون، إلى درجة أن الملأ منهم صاروا يطالبون فرعون بسرعة القضاء على رسول الله موسى عليه السلام والمؤمنين معه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وبسبب إغراق قوم فرعون في متابعته على ضلاله، ومبالغتهم في تعظيمه والخوف منه استحقوا أن يحل بهم عقاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦]

مثال (٢) موقف بني إسرائيل من أحبارهم ورهبانهم:

فقد بالغت بنو إسرائيل (اليهود والنصارى) في إتباع رؤوس الدين عندهم حتى اعترفوا لهم واقعاً بحق التشريع وسنّ القوانين الحياتية وجعلها جزءاً من

(١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٢١.

الدين، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، (أي إتخذ كل من اليهود والنصارى رؤساء الدين فيهم أرباباً..... والرهبان عند النصارى أدنى طبقات رجال الدين، فاتخاذهم أرباباً يقتضي بالأولى أن يتخذوا من فوقهم من الأساقفة من المطارنة والبطاركة، إذ الرهبان يخضعون لتشريع هؤلاء الرؤساء مدوناً كان أو غير مدون، والعوام يخضعون لتشريع الرهبان ولو كان غير مدوناً، سواء قالوه تبعاً لمن فوقهم أو من تلقاء أنفسهم لثقتهم بدينهم.

واليهود لم يقتصروا في دينهم على أحكام التوراة، بل أضافوا إليها من الشرائع ما سمعوه من رؤساءهم من قبل أن يدونوه في المشنة والتلمود، ثم دونوه فكان هو الشرع العام وعليه العمل عندهم)[1].

وتصديقاً لهذا الحال الذي وصلت إليه بنو إسرائيل من الإنحراف في إتباع الأحبار والرهبان أخرج الإمام الترمذي من حديث عَدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عَدي إطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: فقلت إنهم لم يعبدوهم، فقال – عليه الصلاة والسلام – أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه) (جامع الترمذي: معجم ٤٤، حديث رقم ٣٠٩٥).

وتتكرر هذه الصورة من الانحراف كلما حولت جماعة من الناس الدين إلى شخصيات وهيئات تُتّبع من غير سؤال ولا استفسار، واستغل هؤلاء المتّبعون

---

(١) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، ١٣٦٥هـ، ج ١٠، ص١٠١.

حال الناس وانخداعهم بهم فزادوا في الدين ونقصوا منه على أهواءهم فضلوا وأضلوا.

٢ - الإساءة إلى الله سبحانه وتعالى ووصفه بما لا يليق:

من صور الانحراف في العقيدة أن يتجرأ الإنسان على الله تعالى فيصفه بما لا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى، وقد حكى لنا القرآن شيئاً من هذا الانحراف القبيح من مثل قوله تعالى على لسان بني إسرائيل ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

فقد بلغت الجرأة والوقاحة بيهود أن يصفوا رب العالمين الغني عن الأولين والآخرين بالفقر، وأنهم أغنياء من دونه غير محتاجين إليه، وذلك رداً على قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ فقالوا ما بنا إلى الله من حاجة وإنه إلينا لفقير ولو كان غنياً لما استقرضنا أموالنا.

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ﴾ فيه تهديد، وهو يؤذن بأن هذا القول جرأة عظيمة.... لأنهم أتوا بهذه العبارة بدون محاشاة ولأن الاستخفاف بالرسول وبالقرآن إثم عظيم وكفرٌ على كفر ولذلك قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ﴾ المستعمل فيه لازم معناه وهو التهديد على الكلام الفاحش)[1].

٣ - الخروج على شريعة الله التي ارتضى لعباده واستبدالها بالقوانين البشرية:

فالله سبحانه وتعالى خلق الكائنات وهو عالم بها وعالم بما يصلح لها من الأنظمة والمحددات القانونية التي توجد نوعاً من التوازن في الحياة يسمح باستمرارها، وكثيراً ما تتمرد جماعات بشريه وتعتدي على حق الله تعالى في

---

(١) الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص١٨٣.

الحكم والتشريع وتستأثر به من دون الله تعالى، فتضع القوانين وتسن التشريعات بما يتوافق مع أهواءها ومصالحها التي تحددها النظرة البشرية القاصرة.

وناهيك عن الفوضى التي تسود الحياة والكون بسبب غياب شريعة الله الكاملة العادلة، هذه الخطوة البشرية تعد انحرافاً خطيراً يدمر العقيدة، ويمحو صفة الألوهية عن الله تعالى والتي تعني إفراد الله تعالى بالعبادة والاعتراف له بحق الحكم والتشريع دون غيره.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

وقد ذكر الإمام الزمخشري في سبب نزول الآية (أن بشراً المنافق خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي فلم يرضى المنافق وقال تعالى نتحاكم إلى عمر بن الخطاب. فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه: قضى لنا رسول الله ﷺ فلم يرضى لقضائه، فقال المنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه، ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرضى بقضاء الله ورسوله)[1].

(فهؤلاء الذين تدعي ألسنتهم الإيمان بالله وما أنزله على رسوله، وتدل

(١) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٧.

أفعالهم على الكفر بهما والإيمان بالطاغوت وإيثار حكمه على الشرع الشريف........ وتراهم يصدون عن دعوة محمد ﷺ صدوداً مؤكداً بكل ما أوتوا من قوة وحجة والحامل لهم على ذلك هو إتباع شهواتهم) (١).

وما تزال هذه الصورة الانحرافية تتكرر في الوجود إلى أيامنا هذه، حتى إن الكثير من الدول والبلدان التي تنعمت بحكم الإسلام واستظلت بمظلة الشريعة الربانية السمحة زماناً طويلاً فقدت هذه النعمة وحكمت بقوانين البشر في تمرد سافر على شريعة المولى سبحانه وحقه في الحكم والتشريع.

المظهر الثاني: الانحراف السلوكي:

للسلوك تعريفات كثيرة منها (أن السلوك هو كل حركة أو نشاط أو تعرف أو عمل يقوم به الإنسان في حياته مدفوعاً ببواعث ودوافع معينة فطرية أم مكتسبة لإتباع حاجات الطبيعة والنفسية والاجتماعية، فالسلوك هو ما يصدر عن إنسان من أعمال ناتجة عن بواعث ودوافع) (٢).وفي أثناء حركة الإنسان وسعيه لتحقيق أهدافه في الحياة يعتري تصرفه البشري وتعامله مع المواقف المختلفة شيءٌ من الخلل قد يكبر لدرجة الإضرار بالشخص صاحب التصرف نفسه وبالآخرين، وقد يصغر إلى درجة أن يكون مخلاً لآداب الإسلام ولطائفة الذوقية التي يشير عدم الالتزام بها إلى قلة في ذوق صاحبها.

وقد أشار الإمام الغزالي إلى هذا الخلل الذي قد يصيب الإنسان في أثناء استخدامه لجوارحه وتوظيفها لما خلقها الله تعالى له فقال رحمه الله تعالى (فكل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله

---

(١) حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٩٧م، ط ٧، ج ٥، ص ٣١.

(٢) فهمي، مصطفى، الدوافع النفسية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٨، ط ٥، ص ١٥.

الذي خلق له حتى لا يصدر منه أو يصدر مع نوعٍ من الاضطرابات) [1].

وإذاً فكل توظيف لحواس الإنسان في غير ما خلقت له من أعمال تمكن الإنسان من الحياة وتعينه على طاعة الله سبحانه فهو انحراف في السلوك.

ونستطيع أن نصنف الانحرافات السلوكية اعتماداً على أبوب الفقه على اعتبار أن التعريف الاصطلاحي للفقه الإسلامي هو (العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية بالاستدلال) [2].

وهذا يعني أن الفقه الإسلامي يعتني بتنظيم المظاهر السلوكية والعملية الصادرة عن الإنسان، وبيان ما هو مستقيم موافق للشرع وما هو مخالف له، وعلى هذا يمكن تصنيف الانحراف السلوكي إلى أربعة أقسام هي:-

- انحرافات سلوكية في مجال العبادات
- انحرافات سلوكية في مجال المعاملات المالية
- انحرافات سلوكية في باب الأحوال الشخصية والعلاقات الأسرية
- انحرافات سلوكية ذات العلاقة بنظام المجتمع.

١ - انحراف السلوك في مجال العبادات:

وظيفة العبادات في الشريعة الإسلامية هي تنظيم العلاقة بين العباد وخالقهم، وربط قلوبهم بالله تعالى على الدوام، ولذلك اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تتوزع هذه العبادات زمنياً فمنها ما هو يومي كالصلاة، ومنها ما هو أسبوعي مثل صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع والاجتماع لصلاة الجمعة، ومنها ما هو شهري مثل صيام الأيام الثلاثة البيض من كل شهر

(١) أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج٦، ص ٦٢.

(٢) زيدان، عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ط ١١، ص ٥٤.

عربي، ومنها ما هو سنوي مثل صيام رمضان ومنها ما هو عمري مثل الحج.

ومن أجل استمرار العبادات في تحقيق الإستقرار الروحي للإنسان نبه القرآن الكريم إلى خطورة دخول الانحراف في أدائها بالزيادة عليها أو النقصان منها. ومن الأمثلة على ذلك:

* التهاون في أداء العبادات - وذلك يكون بالتكاسل عنها أو عدم أدائها في وقتها. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

(أي لا يصلون إلا رياءً؟ لا إيماناً بوجوبها ولا قصداً في ثوابها واحتساباً لأجرها ولا تكميلاً لأنفسهم بما شرع الله لأجلها، لأنهم لا يأتونها إلا وهم متثاقلون كسالى لا تنشرح لها نفوسهم ولا تنشط لها أبدانهم)[١].

وجاء في مسند الإمام أحمد من حديث أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أسوء الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قالوا: يا رسول الله كسف يسرق في صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها» (مسند الإمام أحمد: حديث رقم ٢٣٠٢٠).

الغلو في العبادات:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧]

(والغلو مصدر غلا في الأمر: إذا جاوز حده المعروف فالغلو: الزيادة في عمل على المتعارف منه بحسب العقل أو العادة أو الشرع)[٢]

---

(١) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٣٧.

(٢) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص ٦، ص ٢٩٠.

والخطاب موجه لكل من يقرأ القرآن من المسلمين من خلال بيان انحراف أهل الكتاب ومغالاتهم في الدين حتى زادوا ما ليس منه وشرعوا ما ليس فيه فتقربوا إلى الله بعبادات لم يشرعها بالصورة التي يؤدونها بها.

وعلى هذا فلا يجوز لمسلم أن يتقرب إلى الله تعالى إلا بما شرع ولا تجوز الزيادة في المقادير والكيفيات المبينة في الشرع مثل الزيادة في مقدار الزكاة، وجعل الصيام المفروض على المسلمين أكثر من شهر واحد وغيرها.

٢ - انحراف السلوك في مجال المعاملات الشخصية والعلاقات الأسرية :

الأسرة هي اللبنة الرئيسية في بناء المجتمع، فالعلاقة بينها وبين المجتمع علاقة طرديه تبادلية، فقوة المجتمع من قوتها وضعفه من ضعفها، ولهذا شدد القرآن الكريم في الأحكام التي تحمي الأسرة من الإنحراف، ونبه لأشكال مختلفة من السلوكات الخاطئة التي تجري في داخل دائرة العلاقات الأسرية على سبيل التنبيه والتحذير. ومن الأمثلة على ذلك:-

* قال تعالى: [إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما] (الإسراء: ٢٣).

وفي هذا عناية ربانية خاصة بحق من قام بتأسيس الأسرة واجتهد وتعب وكد وجد في حمايتها من كل خطرٍ يتهددها، فالوالدان مهما بلغ بهما الضعف والهرم يبقى حق رعايتهما مصان، والإخلال بذلك الحق انحراف في السلوك تستقبحه الشريعة حتى لو كان بكلمةٍ قصيرة يظهر في معناها التضجر بهما ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ (يعني حين ترى منهما الأذى وتميط عنهما الخلا، وتزيل عنهما القذى فلا تضجر كما كانا يميطانه عنك وأنت صغير من غير ضجر)[1].

(١) أبو الحسن الماوردي، علي بن حبيب، تفسير النكت والعيون، مطابع مقهوي، الكويت، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، ج ٢، ص ٤٣١.

تقطيع الأرحام:

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]. فقد ذكر الله سبحانه وتعالى تقطيع الأرحام في جملة الأعمال القبيحة المنكرة التي تندرج في أعمال الفساد والإفساد، وحذر سبحانه من هذا الانحراف فقال سبحانه ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾، وجاء في سنن أبي داوود من حديث عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى: أنا الرحمن وأنت الرحم شققت لها إسماً من اسمي، من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) (سنن أبي داوود: حديث رقم ١٦٩٤).

ومن حديث جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» (سنن أبي داوود: حديث رقم ١٦٩٦).

إهمال تربية الأولاد:

وقد عرض القرآن الكريم بتقصير الوالدين أحدهما أو كلاهما في تربية أولادهما قال تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾

[لقمان: ١٥]

فهذا نموذج لوالدين قصرا في تربية أولادهما، بل بلغت بهم درجة الانحراف إلى حد تربية أولادهم على ما فيه شرٌ لهم في دينهم ودنياهم. وهذه إشارةٌ فيها إرشاد وتنبيه فكما أن للوالدين حق الطاعة والبر فإن عليهما واجب التربية والرعاية والتوجيه.

٣ - انحراف السلوك في المعاملات المالية.

فالأموال نعمة من الله عل الإنسان، بها يستطيع الإنسان الحصول على المنافع المختلفة، وتنتظم بها المبادلات التجارية بشتى أنواعها، ولا يقتصر المال

على النقد بل هو أوسع من ذلك فقد عرفه بعض العلماء بأنه (ما يباح نفعه مطلقاً أو اقتناءه بلا حاجة) كما عُرفه بعض المعاصرين بأنه (ما كان له قيمة مادية بين الناس وجاز شرعاً الانتفاع به في حال السعة والاختيار)(١).

وقد نبه القرآن الكريم إلى الكثير من التجاوزات في الانتفاع بالاموال منها ما هو في أصل المعاملة المالية ومنها ما يتعلق بتجاوز حدود الإتزان في التصرف والأموال.

وبالمثال يتضح الاستدلال:

مثال (١):

حذر القرآن من تجاوز حدود الإتزان في استخدام الأموال بالإسراف والتبذير أو البخل والتقتير، فقال سبحانه في ذم: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١].

وقال سبحانه في ذم البخل ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

مثال (٢) الإنحراف في اكتساب الأموال بطرقٍ غير مشروعة:

ويندرج تحت هذا النوع من الإنحراف الكثير من المعاملات المالية التي صرح القرآن بحرمتها مثل:

١) اكتساب المال بالربا، قال تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦١].

---

(١) شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة، دار النفائس، عمان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٩١.

وجاء في الحديث الشريف عن علي رضي الله عنه أنه قال: (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه) (سنن النسائي: حديث رقم ٥١٠٦).

٢) السرقة – قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

٣) الغش بالميزان – قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١-٣].

فهؤلاء القوم بلغ بهم حد الاحتيال إلى أنهم (إذا اشتروا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن، أما إذا وزنوا لغيرهم من الناس ينقصون الوزن وربما كان لأحدهم صاعان يكيل للناس بأحدهما ويكتال لنفسه بالآخر)[1].

مثال (٣) كنز الأموال ومنع زكاتها:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

أي (والذين يجمعون المال ويحبسونه عن الإنفاق في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، وجمع المال وكنزه لا يكون كنزاً إلا إذا منعت منه حقوق الله، أما إذا أديت الحقوق الواجبة في المال ثم كنزت وجمعت فلا غبار عليه. قال ابن عمر رضي الله عنهما: (ما أديت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وكل ما لم تؤدى زكاته فهو كنز)[2].

---

(١) الأشقر، محمد سلميان، زبدة التفسير، مرجع سابق، ص ٥٨٧.

(٢) حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٤٨.

رابعاً: انحرافات سلوكيه مخلة بنظام المجتمع:

المجتمع لا يخلو من الشذوذ والانحراف، ولكن طبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفاً مصطلحاً عليه، وأن يصبحا سهلاً يجترئ عليه كل من يهم به. لأن هذه الجرائم والإنحرافات لو سادت وانتشرت كانت أذاناً بدمار المجتمع كله وذهاب أمنه وضياع استقراره. ولهذا نبه القرآن الكريم إلى خطورة هذا النوع من الانحراف. ومن الأمثلة على ذلك:

١) جريمة القتل – لقد ربط الإسلام بين قلوب المؤمنين برابطة العقيدة وأذاب كل الفروقات والحواجز التي تخدش بوحدة مجتمعهم وتماسكه، وصار المسلمون قلباً واحداً وجسداً واحداً، فصار كل مسلم يشعر بنعمة الأمن والاستقرار الاجتماعي التي تفتقدها الأمم الأخرى (ومن العسير تصور أن يقدم مسلم على إزالة هذه النعمة عن نفسه والإقدام على هذه الكبيرة «القتل» عن عمدٍ وقصد......... قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

إن هذا العنصر المسلم عنصر عزيز في هذه الأرض وأشد الناس شعوراً باعتزاز هذا المسلم هو المسلم مثله ومن العسير أن يقدم على إعدامه بقتله)(١).

فإذا وقعت هذه الجريمة فإن تأثيرها ينتشر ويمتد حتى يطال المجتمع الإسلامي كله بالأذى. قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٣٥.

ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

(إن قتل نفس واحدة في غير قصاص وفي غير وضع فساد في الأرض يعدل قتل الناس جميعاً، لأن كل نفس ككل نفس، وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس، فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته، الحق الذي تشترك فيه كل النفوس)[١]

٢) المحاربة – قال الإمام مالك في توضيح معناها: (هي حمل السلاح على الناس لأخذ أموالهم دون نائرة ولا عداوة بين المحارب والمحارب، سواء في البادية أو في المصر)[٢].

ولذلك شدد الله العقوبة لهؤلاء المفسدين لما في انحرافهم هذا من نشر للرعب وإثارة للذعر بين الناس والتضييق عليهم في معاشهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣]

٣) شرب الخمر – وهذا الإنحراف السلوكي المتمثل في شرب الخمر تترتب عليه آثار خطيرة تنعكس على المجتمع فتزرع فيه بذار العداوة والمشاحنة تمحو معاني الحب والألفة. وذلك أن شارب الخمر حين يذهب عقله يعتدي ويشتم ويسيء مما يجرح مشاعر الآخرين ويهين كرامتهم بل ربما يتعدى المخمور ذلك إلى إتلاف الممتلكات والاعتداء على الأموال وحينها ولا شك ستقع الخصومة وستحصل الفرقة.

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٧٧.

(٢) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٨٢.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

المظهر الثالث: الانحراف الأخلاقي:

لدى التأمل وإمعان النظر يتبين لنا أن الخلق صفة مستقرة في النفس تظهر آثارها على سلوك الإنسان بشكل ايجابي أحياناً وبشكل سلبي في أحيانٍ أخرى فالأخلاق منها ما هو محمود مرغوب فيه، ومنها ما هو مذموم تنفر منه الفطرة السليمـة.

(ونستطيع أن نقيس مستوى الخلق النفسي عن طريق قياس آثاره في سلوك الإنسان: فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى قدر قيمة الخلق في النفس تكون آثاره في السلوك، إلا أن توجد أسباب معوقة أو صوارف حادة عن ظهور آثار الخلق في السلوك)[1].

ولأجل تسهيل عرض موضوع الانحراف الأخلاقي كما صوره القرآن الكريم نستطيع تقسيم هذه الانحرافات إلى أربعة أقسام باعتبار علاقاتها على النحو التالي:

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج١، ص ٧.

١ - ما يتعلق بصلة الإنسان بخالقه :

فالله سبحانه خلق الإنسان وسواه وأبدع خلقه وأتمَّ عليه نعمته بل وجعله أكرم مخلوقاته وفضله على الكثير ممن خلق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومع ذلك قد تصدر عن الإنسان دلالات خلقية لا تليق مع سعة رحمة الله تعالى به وعطاءه الذي لا يوصف، ومن ذلك:

مثال (١) التقصير في شكر الله تعالى :

بالرغم من النعم التي لا تحصى عدداً واتصالها واستمرار حصولها على الإنسان فإنه قليل الشكر لربه ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنين: ٧٨]. مع أن نعمة واحدة من هذه النعم تحتاج إلى شكر مديد كثير ولكن ما أقل شكر الإنسان على كثرة عطاء الله سبحانه وتعدد نعمه.

مثال (٢) الخوف من الخلق بصورة أشد من الخوف من الخالق :-

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣]

٢ - ما يتعلق بصلة الإنسان بالناس الآخرين:

فالناس في تعاملهم مع بعضهم يتولد من احتكاكهم وألفتهم لبعضهم نتيجة لطول الصحبة شيء من الجفاء والجفاف في المعاملة، وهنا تظهر الحاجة إلى الأخلاق في تلطيف الأجواء وتطييب النفوس. وبهذا يصبح الاحتكاك بين الناس مولداً للمزيد من المحبة والألفة.

ولكن حين تظهر الأخلاق الذميمة في التعامل مع الآخرين يفقد المجتمع هذه الروعة، ويخسر الشعور بالانبساط والانشراح لأجل التعرف على الناس ومخالطتهم، فتضعف الروابط بين الناس ومن هذه الأخلاق الذميمة:

مثال (١) الكذب:

وقد ذكر الله تعالى هذه الصفة المذمومة عند ذكر موقف امرأة العزيز من نبي الله يوسف عليه السلام حين كذبت وزعمت أنه أراد بها سوءاً فحكم رجلٌ من أهلها فقال: ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾

[يوسف: ٢٧-٢٨]

ونبه القرآن الكريم على أن الكذب علامة اختلال الإيمان وقلة التصديق بوعد الله تعالى ووعيده، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

وأخطر أنواع الكذب التي نبه إليها القرآن الكريم هو الكذب على الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

ولأن الكذب آفة اجتماعية تفقد الناس الثقة ببعضهم وتخفض منسوب

المصداقية بينهم ذم النبي ﷺ الكذب وجعله من المهلكات التي تعرض صاحبها لعذاب الله تعالى، فقال ﷺ: «وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً» (صحيح مسلم: حديث رقم ٢٦٠٧).

مثال (٢) الغيبة:

وهي من الأخلاق المدمرة التي تقضي على الصلات وتدمر العلاقات بين الناس، قال تعالى في حقها: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الحجرات: ١٢]

وقد وضح النبي ﷺ معنى الغيبة حتى لا يقع الناس فيها وهم لا يشعرون. فقال عليه الصلاة والسلام أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: إذا ذكرت أخاك بما يكره فقد اغتبته. قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) (صحيح مسلم: حديث رقم ٢٥٨٩).

فالغيبة بالتالي مصدر لإفساد المجتمع والروابط القوية بين أبناءه، وهي تؤدي إلى عدم الثقة بالمغتاب نفسه وفي هذا ضرر إذا انتشر ضعفت وحدة المسلمين.

مثال (٣) الظن السيئ:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

فالأصل في النفوس البراءة من كل تهمة، فلا يجوز إشغال ذمة الإنسان بأي شيء إلا بعد بيان الحجة والدليل، أما الظن المجرد فلا يغني من الحق شيئاً.

٣ - ما يتعلق بصلة الإنسان بنفسه:

من الأدلة على شمول الأخلاق في الإسلام، أنها تدخل في تعامل الإنسان مع نفسه حتى يحافظ على كرامته ويصون نفسه عن الابتذال، وكلما تعامل الإنسان مع متغيرات الحياة بشيء من الهدوء والاتزان كلما توجهت له أنظار الآخرين بالاحترام والتقدير، أما إذا خرج عن حدود الاتزان في مواجهة مواقف الحياة فإنه يكون قد اسقط هيبة نفسه وأساء إليها ونزع ثوب الاحترام والتقدير الذي كان الآخرون يعترفون له به، ومن الأمثلة على ذلك:-

مثال (١) الجزع عند المصائب:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩-٢١].

قال الإمام الرازي: (يقال هلع الرجل... وهو شدة الحرص وقلة الصبر، يقال: جاع فهلع، وقال الفراء الهلوع الضجور....، وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر، ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله، ولا تفسير أبين من تفسيره، .هو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس)[١].

الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة كأن يشتم أو يكسر أو يبخل بالأشياء أو يعترض على قضاء الله، أو يتحسر على ما فات، فهذه الأعمال كلها من كسب الإنسان واختياره وهو قادر على تهذيبها وضبطها.

مثال (٢) الحرص على الحياة:

قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟

---

(١) الفخر الرزاي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٦٤٤.

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [البقرة:٩٦].

الشخصية السوية التي رباها الإسلام وميزها عن غيرها تنظر إلى الحياة الدنيا على أنها محطة للعبادة والإصلاح يعيشها المؤمن متوكلاً على ربه معتزاً بدينه، وفي سبيل عزة الدين وارتفاع راية الحق تصبح الحياة هينة رخيصة، وذلك أن المؤمن يعلم أن الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة التي فيها يكرم الكريم ويهان الجبان اللئيم.

ولكن هذه النظرة قد تصاب بالخلل والانحراف ويصاب الإنسان بالحرص على الحياة.... أي حياة حتى لو كانت بمستوى حياة البهائم والديدان والحشرات، وهكذا يصبح الإنسان ضعيفاً وتحت الضغط والتهديد والتخويف بالقتل أو الأذى ينقلب بضاعة تباع وتشترى بأبخس الأثمان ويصبح عبداً للأقوياء يأتمر بأمرهم ويبتغي رضاهم.

٤ - ما يتعلق بصلة الإنسان بالأحياء الأخرى:

تتسع دائرة الأخلاق أكثر وأكثر في التربية الإسلامية حتى تشمل الكائنات الحية الغير عاقلة التي يتعايش معها الإنسان، ويكفي أن تصور مستوى الرقي الأخلاقي عندما تأتي تعليمات الإسلام وتشريعاته تأمر الإنسان بالرحمة بهذه الكائنات والرفق في معاملتها وتأدية حقوقها ورعايتها، وفي المقابل نهى عن الإساءة إليها بالاعتداء والإفساد. ومن الأمثلة على ذلك:

مثال (١) الإساءة إلى الحيوان:

فقد بين القرآن الكريم أن الإساءة إلى الحيوان من الأعمال التي يأمر بها إبليس ويحرض عليها أتباعه فقال سبحانه في وصف حاله وقوله: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

إن من شأن الشيطان ومقتضى طبعه إضلال العباد وإخراجهم من دوائر الاستقامة والأخلاق إلى دوائر الضلال والانحراف، وها هو يزين لهم الإساءة إلى الحيوانات التي خلقها الله للإنسان لينتفع بها وما دام سينتفع بها فلا بد له أن يرعاها ويحسن إليها. فأراد أن يأمر الناس ببتك آذان الأنعام أي قطع آذان الأنعام للأصنام فكانوا يقطعون آذانها أو يشقونها شقاً كبيراً.

وفي الحديث المشهور في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض».

وقد جاء الأمر بالرفق بالحيوان والإحسان إليه:

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له» (صحيح البخاري: حديث رقم ٦٠٠٩).

مثال (٢) إفساد الزرع وقطع الشجر:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

فهنا يكشف القرآن الكريم حقيقة أناس يظهرون الخير والالتزام والصلاح والحقيقة غير ذلك، فالتزامهم فيه انحراف، وحتى نستطيع أن نميز هؤلاء من غيرهم ذكر الله تعالى مساوئ أعمالهم ومنها أنهم يعتدون على الزرع بالإتلاف والتخريب. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

(أي: إذا انصرف عاث في الأرض فساداً ويهلك الزرع وما تناسل من

الإنسان والحيوان. ومعناه أن فساده عام يشمل الحاضر والباد، فالحرث محل نماء الزروع والثمار، والنسل هو نتاج الحيوانات التي لا قوام للناس إلا بهما فإفسادهما تدمير للإنسانية)[1].

وهكذا نرى أن مكارم الأخلاق من الضرورات الاجتماعية التي لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فُقدت الأخلاق فَقَدَّ الإنسان انسجامه مع نفسه ومع أخيه الإنسان ومع الكائنات الحية من حوله، بل يتحول الإنسان إلى معول فساد يساهم في تدمير المجتمع وانهياره.

المظهر الرابع: الانحراف النفسي:

في كتاب الله آيات كثيرة تدعو إلى التأمل في النفس البشرية وتقلباتها وما تنطوي عليه النفس من أحوال متغيرة:﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢١].

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ – ٨].

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر: ٢٧–٢٨].

فالقرآن الكريم يتعرض لوصف النفسَ البشرية في مختلف حالاتها خيرة وشريرة مؤمنة وكافرة مستقيمة ومنحرفة.

وقد حاول الإنسان دراسة النفس البشرية دراسة علمية تجريبية في محاولة لمعرفة وتفسير تقلباتها وضبطها في حالاتها، ولكن علم النفس وبالرغم من تقدمه في كثير من الدراسات النفسية لا يستطيع أن يتعمق في المعرفة في مجال النفس البشرية ولذلك تبقى الكثير من أسرار النفس تحتاج إلى معرفة واكتشاف.

وهنا تظهر الحاجة لدراسة النفس من خلال القرآن الكريم، الذي هو كلام

خالق النفس العالم بأسرارها المكون لطبائعها، فنحن بحاجة إلى أن تتوجه جهود علماء النفس المسلمين إلى دراسة النفس البشرية منطلقين من القرآن الكريم مع ترك المجال للمشاهدة والتجريب، حينها سيكون هناك تقدم في دراسة النفس البشرية بإذن الله وذلك أن هذه الدراسة ستكون قد جمعت ما بين النص القرآني والجهد البشري في التعرف على النفس البشرية.

فإذا ما أردنا أن ندرس النفس البشرية دارسة علمية فلا بد أن تعرف علاقتها بخالقها ومحركها ومودع ما فيها من طاقات.

والإنسان في حياته قد يتعرض لشيء من الصراع النفسي والضغوط النفسية نتيجة مبالغته في البحث عن إشباع ملذاته وشهواته، أو نتيجة شعوره بالقهر والكبت أو غيرها من الأسباب، فإن كان هذا الإنسان ملتزماً بدينه متسلحاً بسلاح الطاعة والانقياد لله تجاوز هذا الضغط النفسي ورجع إلى سويته.

وأما إن كان من أهل الذنوب والبعد عن الله تعالى وعن صراطه المستقيم فإنه يشعر بخلل ووحشة في نفسه. تنغص عليه حياته وتؤثر في علاقته بالآخرين من حوله وهذا من عقوبات الخروج عن منهج الله تعالى (فمن عقوبتها أنها توقع في الوحشة العظيمة في القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشاً، وقد وقعت الوحشة بينه وبين ربه، وبين الخلق وبين نفسه، وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأَمَرُّ العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين، فلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية وما توقعه من الخوف والوحشة، لعلم سوء حاله وعظيم غبنه إذ باع أنس الطاعة وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف والضرر الداعي له)[1].

(١) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٧٥.

أنواع وأحوال النفس البشرية:

إختلف الباحثون حول عدد أنواع النفس البشرية المذكورة في القرآن الكريم، فمنهم من جعلها اثني عشر ومنهم من جعلها سبعة ومنهم من جعلها ثلاثة، وقد رجحت د. شادية التل أنها واحدة وإنما تمرُّ بها أحوال مختلفة (فتنسب النفس مطمئنة باعتبار حالة طمأنينتها إلى الله بعبوديته والسكون والإنابة إليه والتوكل عليه ولا تحصل الطمأنينة الحقة إلا بذكر الله ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وهكذا بالنسبة للأحوال الأخرى للنفس، فهي نفس واحدة تكون أمارة تارة ولوامة أخرى ومطمأنة أخرى..... وهناك فروق بين اتجاه الحركة تحدث داخل النفس الواحدة... ويشتق الاسم من الحالة التي تغلب على النفس في لحظة ما) (١).

وهذه وجهة نظر غير دقيقة تماماً، فلا يمنع كون النفس الواحدة يطرأ عليها تغيرات وأحوال من أن تكون هذه النفس لها سمتها وصفتها الغالبة التي تتصف بها معظم أوقاتها، فالنفس المطمأنة ربما تأمر صاحبها بالسوء في لحظة ضعف وغفلة لكنها سرعان ما ترجع إلى حالتها الطبيعية من الطمأنينة والتعلق بالخالق سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فلا يمنع وجود أحوال تطرأ على النفس الواحدة من وجود أنواع مختلفة من للنفوس البشرية.

---

(١) التل، شادية أحمد، علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٧.

أمثلة على انحراف النفس ذكرها القرآن الكريم:

وقد تعرض القرآن الكريم لبعض الانحرافات النفسية التي تحدث اضطراباً وألماً لصاحبها تفقده الشعور بلذة الحياة والشعور بالراحة ومنها:

مثال (١) مرض الشك والارتياب:

تحدث القرآن الكريم عن هذا الخلل الذي يفقد النفس البشرية القدرة على الوصول إلى الحق والسير باتجاهه فهي تخسر بذلك كثيراً ويفوتها الكثير من الأجر والثواب المترتبان على المشاركة في ألوان مختلفة من الطاعة.

والنفس المصابة بهذا المرض تشك في كل عمل تدعى إلى المشاركة فيه وتشك فيمن حولها من الأشخاص الذين يريدون الخير لها فتبقى مترددة تقدم قدماً نحو المشاركة إستجابة لنداء العقل الذي يحثها على المسير، وتؤخر أخرى تأثراً بمرض الشك والإرتياب.

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥]

(أي: إنما يستأذنك في التخلف عن الجهاد معك من غير عذر من لا يصدقون بالله ولا يقرون بتوحيده ولا باليوم الآخر، فهؤلاء يرون بذل المال مغرماً يفوت عليهم بعض المنافع، وهم لا يرجون ثواباً عليه كما يرجو المؤمنون، ويرون الجهاد بالنفس آلاماً ومتاعب ـ وقد وقع لهم الريب والشك في الدين من قبل، فلم تطمئن قلوبهم ولم تذعن له نفوسهم فهم متحيرون في أمرهم مذبذبون في عملهم)[1].

---

(١) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٢٩

وهكذا يبدوا واضحاً اختلال أفهام الذين يصابون بمرض الشك والارتياب فالجهاد في سبيل الله تعالى في نظرهم ألم وتعب والإنفاق في سبيل الله خسارة وهذا الخلل في الفهم فوت عليهم فرصة الجهاد بصحبة الرسول ﷺ والإنفاق من الأموال التي رزقهم الله إياها.

مثال (٢) القلق:

القلق حالة نفسية من التوتر والخوف والتوقع، سواءً كان ذلك حيال أمور محددة أو غامضة، قد يكون هذا الإنفعال عارضاً وهو ما يعرفه كل الناس كما يعرفون لحظات الحزن والأسى والألم ثم ينقضي هذا الإحساس بانقضاء أسبابه وقد يكون مزمناً وهو المشكلة التي نحن بصددها.

(فالشخص القلق كثيراً ما يحمل معه مثيرات صراعه التي هي في جوهرها شعور قوي بعدم الأمن الناشئ عن تهديد النزعات والرغبات اللاشعورية غير المرغوبة أو المؤذية، مما يعوقه عن اتخاذ قراراته بسرعة ويخشى الخطأ في هذه القرارات، وهو يتألم بسرعة ويؤنبه ضميره على كل صغيرة وكبيرة)[1].

وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة النفسية تصويراً دقيقاً في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾

[الأحزاب: ١٩]

تصور الآية الكريمة الحالة النفسية للمنافقين يوم الأحزاب فهم ينظرون إلى النبي ﷺ وهم محاصرون (نظر المتفرس ماذا يصنع ولسان حالهم يقول: ألسنا قد قلنا لكم إنكم لا قبل لكم بقتال الأحزاب فارجعوا، وهم يرون أنهم كانوا على

---

(١) العزام، محمد نايل، معالجة اضطراب الشخصية في ضوء الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٨٠.

الحق حين حذروه من قتال الأحزاب ولذلك خصوا النبي ﷺ بنظرهم، وجملة ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ لتصوير هيئة نظرهم نظر الخائف المذعور الذي يحدق بعينيه إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها، والدور والدوران حركة جسم رحوية (أي كحركة الرحى) تنتقل من موضع إلى موضع فينتهي إلى حيث بدأ.

ومعنى تدور أعينهم: أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها، محلقة إلى الجهات المحيطة، وشبه نظرهم بنظر الذي يغشى عليه بسبب الفزع عند الموت فإن عينيه تضطربان[1].

مثال (٣) الحسد:

(الحسد انفعال مركب موضوعه الحزن والغم للنعمة تحصل للشخص المحسود والفرح لزوالها عنه، أو هو زوال النعمة عن الآخر)[2]

فقد جبل الإنسان على حب التملك والمنافسة، ولكن هذه الدوافع قد تزداد في داخل النفس البشرية، فيصبح الإنسان باحثاً ساعياً نحو امتلاك الأشياء جاعلاً منها هدفاً كبيراً في الحياة - فإذا حصل وسبقه غيره في تملك الأشياء والأوصاف وزاد على ما لديه أو اقترب منه اشتعلت نار الحسد في القلوب مولدة حقداً وغلاً على الشخص المحسود ومحبةً لزوال النعمة عنه.

وقد ذكر الله تعالى الحسد في كتابه الكريم ونسبه إلى اليهود على أنه صفة من أبرز صفاتهم قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩]

(١) الطاهر إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢١، ص ٢٩٧

(٢) توفيق، محمد عز الدين، التأهيل الإسلامي للدراسات النفسية، دار السلام، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٣٨٣

قال سيد قطب في التعقيب على الآية الكريمة :

(والحسد هو ذلك الإنفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين وما زالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها وما تزال، وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم)[١].

وفي هذا دلالة واضحة إلى مستوى الانحراف الذي قد يسببه الحد لصاحبه، إذ هو الذي دفع اليهود لا لمجرد الامتناع عن الإيمان والكفر بالله العظيم، بل وإلى تمني عودة المؤمنين بالله على الكفر مرة أخرى.

ولأن الحسد مرض نفسي شديد الخطورة، يتعدى خطره وضرره من الحاسد إلى المحسود أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعاذة بالله منه فقال تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ١ -٥].

منهج القرآن الكريم في معالجة الانحراف:

ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داءً إلا وأنزل الله له شفاء» (صحيح البخاري: حديث رقم ٥٦٧٨).

وفي الحديث إشارة نبوية وتوجيه حكيم إلى أن الإنسان لا ينبغي أن يقبل بالداء والخلل سواء كان هذا الخلل قد أصاب النفس أو العقل أو الجسم وما يصدر منه من تصرفات وأعمال، فكل هذا يندرج تحت الداء الذي وجه النبي ﷺ إلى طلب الدواء له والبحث عن العلاج الملائم لمثله.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم مستودع الأدوية والمعالجة

لمن طلب الشفاء، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]. وقال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

(والشفاء حقيقته زوال الداء ويستعمل مجازاً في زوال ما هو نقص وخلل وعائق عن النفع من العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة والأخلاق الذميمة تشبيهاً له ببرء السقم... ويزيد الكافرين خسارة لأن كل آية من القرآن من أمره ونهيه ومواعظه وقصصه وأمثاله ووعده ووعيده، كل آية من ذلك مشتملة على هدي وصلاح حال المؤمنين المتبعينه)[1].

ولهذا كان البحث عن معالجة الانحراف في القرآن الكريم هو الأقوم منهجياً والأيسرُ طريقاً، لأن الله سبحانه قد استودع فيه وسائل الهدية وسبل لوقاية والعلاج من كل خلل وانحراف قد تصاب به حياة البشر ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

وسأتحدث فيما يأتي عن المبادئ القرآنية في معالجة الانحراف:

المبدأ الأول:

معالجة الانحراف مسؤولية تضامنية:

لقد أشار القرآن الكريم على أن مكافحة الانحراف والقضاء عليه ليست مسؤولية الفرد لوحده، وإن كان يتحمل المسؤولية الأولى لأنه في النهاية هو لذي سيحاسب عما بدأ فيه من انحراف حساباً دنيوياً أو حساباً آخروياً، ومع ذلك يؤكد القرآن الكريم على مسؤولية مجموعة من الأطراف أفراداً وجماعات

---

١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ١٨٨.

ومؤسسات يمكن تحديدها على النحو التالي:

أولاً: مسؤولية الفرد عن أعماله:

لأن الإنسان هو أول وأكثر من يجني عاقبة انحرافه وإساءته، وبالتالي ينبغي أن يكون هو الأكثر جدية في إصلاح نفسه والتخلص من الإنحراف، لأن الله سبحانه وبمقتضى عدله لن يساوي بينه وبين من آمن وعمل الصالحات واستقام في أفعاله وأخلاقه. قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]

أيظن الذين اكتسبوا الإثم والمعاصي في الدنيا، وخالفوا أمر الله تعالى أن نجعلهم كالذين آمنوا به وصدقوا رسله فنساوي بينهم في دار الدنيا والآخرة، كلا لا يستوون في شيء منهما، فإن أهل السعادة في عز الإيمان والطاعة وشرفهما في المحيى، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات، وأهل الشقاء في ذل المعاصي فشتان ما بينهما وما أبعد ما بين الثريا والثرى(١).

ولأن ميزان الله تعالى دقيق فلا ينبغي للفرد أن يتهاون في معالجة أي خلل يجده في نفسه أو في أخلاقه أو في سلوكه، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ولذلك أشار القرآن الكريم إلى مسؤولية الفرد الأولى في معالجة النفس وتزكيتها من أي مظهر من مظاهر الاضطراب أو الانحراف قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ

(١) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ج ٢٥، ص ١٥٤.

مَن دَسَّنهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

(فالإنسان يرغب في الملائم النافع، فمن الناس من يطلب ما به النفع والكمال الدائمان، ومن الناس من يطلب ما فيه عاجل النفع والكمال الزائف، فالأول قد نجح فيما طلبه فهو مفلح، والثاني يحصل نفعاً عارضاً زائلاً وكمالاً مؤقتاً ينقلب انحطاطاً فذلك لم ينجح في طلبه فهو خائب)[1].

ثانياً: مسؤولية الأسرة:

فالأب والأم في الأسرة تقع عليهما المسؤولية الأساسية في تربية الأولاد ومتابعة أفراد الأسرة وحضهم على الإستقامة وتجنيبهم سبل الإنحراف والعدائية، وهذا ما يوضحه القرآن الكريم في مشهد الوالدين المشفقين على ولدهما المنحرف ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

يصور القرآن (الولد الفاجر الذي يقول لوالديه إذا دعواه إلى الإيمان أف لكما أي تباً لكما على هذه الدعوة، أتعدانني أن أبعث بعد الموت وقد مضت قرون من الناس قبلي ولم يبعث منهم أحد؟. وأبواه يسألان الله أن يغيثه ويهديه للإسلام قائلين له: ويلك آمن بالله وصدق بالبعث والنشور وإلا هلكت فوعد الله صدقٌ لا خلف فيه، فيقول الولد الشقي: هذا الذي تقولان من أمر البعث والنشور خرافات وأباطيل سطَّرها الأولون)[2].

فالله سبحانه وتعالى خلَّد موقف الأبوين الشغوفين ليكونا نموذجاً وقدوة

---

(١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٧١.

(٢) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ج ٣، ص ١٩٦.

لكل والدين في أداء الواجب تجاه أبنائهما وإعطائهم حقهم من الرعاية والتوجيه السليم.

ثالثاً: مسؤولية مجتمع الرفاق:

مجموعة الرفاق من أكثر الأوساط الاجتماعية تأثيراً في الفرد، وذلك بسبب التقارب في العمر والمشاعر والاهتمامات، وما يجمع بينهم من ودٍ وصداقة وتعاون، ولذلك أشرك الله زمرة الأصدقاء والرفاق في تحمل مسؤولية معالجة الانحراف وحماية الفرد منه، قال تعالى: ﴿ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾ [الأنعام: ٧١].

أي له أصدقاء صالحون يحذرونه من عاقبة الإنحراف والإستجابة إلى وساوس الشيطان وهم بذلك يقومون بواجب الصحبة ويؤدون حق الصداقة.

كما أخبر الله سبحانه وتعالى أن الأصحاب والأصدقاء يحشرون في زمرة واحدة في بيان للمسؤولية المشتركة التي تجمع بينهم، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فالأصدقاء الصالحون لأنهم تناصحوا وتواصوا بالخير استمرت رابطة الخير بينهم ودامت، أما الذين قصروا في هذا وانتشر في وسطهم الانحراف جعل بعضهم يلوم بعضاً يوم القيامة، ويحمله مسؤولية ما كانوا عليه فانقلبت الصحبة إلى عداوة.

وبكل صراحة ووضوح أشار النبي ﷺ إلى تأثير وسط الرفاق والأصحاب في قوله عليه الصلاة والسلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

رابعاً: مسؤولية المجتمع:

فالمنهج القرآني في معالجة الانحراف يشير إلى أن الرأي العام في المجتمع له تأثير كبير في تعزيز الانحراف أو القضاء عليه. (فإن العصيان والعدوان قد

يقعان في كل مجتمع من الشريرين المفسدين المنحرفين، فالأرض لا تخلو من الشر، والمجتمع لا يخلو من الشذوذ، ولكن طبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفاً مصطلحاً عليه، وأن يصبحا سهلاً يجترىء عليه كل من يهم به.....، وعندما يصبح الجزاء على الشر رادعاً وجماعياً تقف الجماعة كلها دونه، وتوقع العقوبة الرادعة عليه، عندئذٍ ينزوي الشر وتنحسر دوافعه، وينحصر الفساد في أفراد أو مجموعات يطاردها المجتمع ولا يسمح لها بالسيطرة، وعندئذٍ لا تشييع الفاحشة)[1].

ولهذا أشار القرآن الكريم إلى أحد الأسباب الرئيسية التي استحق بنو إسرائيل اللعن بها وذلك في قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

فقد كانت المسؤولية الاجتماعية فيهم غائبة، وإذا قام فرد أو جماعة بمعصية ما أو أظهر انحرافاً علنياً لم ينكروا عليه ولم يبالوا به حتى انتشرت المنكرات وعمت الفوضى المجتمع بأسره. وتأكيداً على المسؤولية الجماعية في محاربة ومعالجة الانحراف، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [التوبة: ٧١].

وجاء في صحيح البخاري من حديث النعمان بن البشير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين في

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩٤٨.

أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادو هلكوا جمعياً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً» (صحيح البخاري: حديث رقم ٢٤٩٣).

المبدأ الثاني:

وقاية الفرد والمجتمع من أسباب الإنحراف:

فقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية اتخاذ إجراءات وقائية تقي الفرد والمجتمع من الانجراف في الشذوذ والانحلال، لأن الإبتعاد بالفرد والمجتمع عن الوقوع في الانحراف ابتداءً، أسهل وأيسر بكثير من علاج آثاره وتخليص الفرد والمجتمع من آلامه بعد وقوعه وحصولُه.

وفي سورة التحريم آية قرآنية تشير إلى أهمية المنهج الوقائي بكل وضوح وهي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٥].

وهذه دعوة قرآنية صريحة إلى وقاية النفس والأهل من الأعمال والأقوال المعلنة والخفية، والتي فيها انحراف عن منهج الله تعالى، والتي تجعل الإنسان عرضة لعذاب الله يوم القيامة.

(وعبر عن الموعظة والتحذير بالوقاية من النار على سبيل المجاز لأن الموعظة سبب في تجنب ما يفضي إلى عذاب النار أو على سبيل الاستعارة بتثبيت الموعظة بالوقاية من النار على وجه المبالغة في الموعظة)[١].

وقد شرع الإسلام جملة من التدابير الوقائية التي تشكل بمجموعها خطاً دفاعياً يحول بين الأفراد وارتكاب المخالفات يمكن الإشارة إلى بعضها:

(١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢٨، ص ٣١٥.

١) القضاء على الأسباب التي قد توقع الإنسان في المعصية والانحراف، بتوفير ما يحول بين الإنسان والانحراف ومن ذلك:

أ) شجع القرآن الكريم على الزواج للوقاية من الزنا، قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج» (صحيح البخاري: حديث رقم ٥٠٦٥).

ب) حث القرآن الكريم على العمل في الزراعة والصناعة والتجارة ليكفي الإنسان نفسه فلا يفكر في السرقة والرشوة والإحتيال.

قال تعالى في الثناء على نبي الله داوود الذي كان يعمل في صناعة الدروع: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨]. وفي الحث على الزراعة قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[يس: ٣٣-٣٥].

وقال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (صحيح البخاري: حديث رقم ٢٣٢٠).

٢) كفالة حقوق الإنسان الشخصية والاجتماعية حتى لا يشعر الإنسان بالقهر والظلم والحرمان وحينها ربما يبرر لنفسه الإنحراف وارتكاب المعاصي بدافع الحاجة واسترداد حقوقه المسلوبة.

ولذلك كفل الإسلام حق حرية إبداء الرأي والمشاركة في المشورة العامة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]

وكفل الإسلام للإنسان المحتاج والفقير حقه في أموال الأغنياء والأثرياء، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠]

٣) تحديد الجرائم والمعاصي والذنوب وإعلان منعها وتحويلها وتوضيح أضرارها على الفرد والمجتمع، حتى يتنبه الفرد والمجتمع إلى أضرارها وما يترتب عليها من إثم وعقوبة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة، فيمتنع من الإقدام على الإنحراف والوقوع فيه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٨].

(وإذا تذكرنا أن المستشفيات تعتمد اعتماداً كبيراً على وصف العقاقير

المهدئة، وحبس المرضى لتسيطرة على غير المنضبطين منهم، مع قلة الإمكانيات أمام كثرة المرضى وقلة الأطباء المعالجين، وقصر في زمن المقابلات العلاجية (عدة دقائق لكل مريض) تأكد لنا أن الوقاية هي الوسيلة الناجحة لتقليل الحالات التي تزدحم بها المستشفيات والعيادات)(١).

وما يقال عن الأمراض العضوية التي قد يصاب بها الإنسان، يقال عن الانحرافات التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان فهي بمستوى الأمراض، بل بعضها يكون أشد خطورة على الإنسان وتهديداً لراحته واستقرار ة من الأمراض العضوية نفسها.

المبدأ الثالث:

التركيز على رفع مستوى الإيمان في معالجة انحراف النفس البشرية:

لا شك أن الإيمان يجعل الإنسان أكثر ثقة بنفسه، وأكثر قدرة على مواجهة تقلبات الأيام ومتغيرات الحياة، ذلك أن الإيمان يكسب الإنسان القدرة على الصبر والمصابرة، وتحمُّل المتاعب وتلقي الصدمات والشعور بالرضا. قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له».

وكذلك فإن الإيمان بالله تعالى يؤدي إلى الشعور بالاطمئنان وطرد مشاعر التوتر والقلق والخوف. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

والمؤمن يعلم حق العلم أن ما يصيبه من سراء أو ضراء إنما هو مقدر من الله تعالى، وأنه ابتلاء من الله حتى يعلم من سيحمده ومن سيكفر به، فهو

---

(١) توفيق، محمد عز الدين، التأهيل الإسلامي للدراسات النفسية، دار السلام، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٣٢٥.

يتحمل ويتجلّد ولا يفزع ولا يجزع ويتخلص من مشاعر الألم والحزن بسرعة ويفوض أمره إلى الله ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.[التوبة: ٥١].

(والمؤمن يعلم بأن الإنسان مهما حاوّل الاحتماء من الموت فإنه يدركه في موعده المحدد. وفكرة الموت من شأنها أن تبعد التكالب على متاع الدنيا ومنافعها وملذاتها لأن الإنسان يشعر أنه في رحلة قصيرة، وأنه سوف يترك كل ما يجمع من مال أو جاه أو سلطان، وأنه لن يأخذ شيئاً معه في القبر، ويعقب الموت عملية الحساب والعقاب وتحمل الإنسان مسؤولية ما ارتكبه من الآثام والمعاصي، ومن شأن هذا أن يمنع الإنسان من الجنوح والانحراف والتمسك بالسلوك القويم والقيم والفضائل الخلقية)[1].

وآيات القرآن الكريم قد جاءت لتعزز هذا الجانب الإيماني مرات كثيرة:-

قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]

وقال تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨].

---

(١) العيسوي، عبد الرحمن مد، سيكولوجية الإسلام والإنسان المعاصر، دار الراتب الجامعية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠١م، ص ١٨٦-١٨٧.

المبدأ الرابع في العلاج:

توظيف القرآن الكريم للعبادات في معالجة الانحراف:

بيّن القرآن الكريم أن للعبادات في الإسلام وظيفة مهمة وهي: تخليص الإنسان من شوائب الإنحراف والعودة به إلى درب الإتزان وإلى الصراط المستقيم، فكلما أخطأت عينه بنظرة أو انزلق لسانه بكلمة أو وسوست له نفسه بسوء جاءت العبادات لتطهر الإنسان من هذه العوالق وتشكمه عن الإسترسال في الإنحراف، ومن الأمثلة على ذلك:

أ - الصلاة:

ومعناها وجود صلة بين العبد وربه، وهي فرصة تتيح للإنسان أن يشعر بالقرب من الله تعالى والوقوف بين يديه، وأنه يقدر أن يبث همومه ويطرح شكواه من غير وساطة مخلوق.

وفي الصلاة يتوجه الإنسان بكل حواسه ومشاعره وعواطفه وجوارحه لله تعالى، وبذلك يبتعد عن هموم الدنيا وأحزانها، ويشعر بالاسترخاء وراحة البال، وتزول عنه مشاعر التوتر والقلق والتأزم والشدة. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وذلك لأن الصلاة تجعل الإنسان يقف وقفة محاسبة لنفسه وهو يستشعر بوقوفه بين يدي ربه، فيخرج منها وقد عزم أن يهجر كل ذنب وخطيئة، وأن لا يعود إلى شيء منها، فإن نسي واخطأ مرة أخرى جاءت الصلاة التي بعدها لتقوم بالدور نفسه وهكذا.

ب - الصيام:

يعتبر الصيام بمثابة التمرين الروحي والجسدي الذي يهدف إلى تطويع

القوى الحيوانية في الإنسان وإخضاعها للقوى الروحية.

فالإنسان في الصيام يتدرب على ضبط شهواته والتحكم بها بحيث يصير مسيطراً عليها لا يشبعها إلا بما أمر الله وفي الوقت الذي أمر به الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والصيام ينمي القدرة على التحمل والصبر، وتنتقل هذه القدرة لتؤثر على شتى تصرفات الإنسان وتقلباته النفسية فلا يستسلم لمشاعر الضجر ولا يتأفف من الحياة ولا يسقط في طلب اشباع شهوات النفس.

ج - الزكاة:

(الأنانية والأثرة والطمع والجشع والفردية من الصفات الذميمة التي ترتبط بأمراض نفسية، حيث دلت بعض الدراسات الميدانية على انتشارها بين المرضى النفسيين، والإسلام يعود أبناءه على التخلص من الصفات الذميمة وعلى التحلي بصفات البر والإحسان والكرم والجود والسخاء والعطاء وتقديم المعونة للفقراء)[1].

ومن أجل معالجة النفس من صفات الشحّ والبخل والأنانية شرع الله الزكاة في المال، فقال سبحانه ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] وبالزكاة تنمو في نفس المؤمن مشاعر المشاركة الوجدانية والعطف على الفقير ويعتاد على المسؤولية الاجتماعية نحو أبناء أمته.

---

(١) العيسوي، عبد الرحمن محمد، سيكولوجية الإسلام والإنسان المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٠١.

المبدأ الخامس:

تنظيم إشباع الدوافع[1]:

إقتضت مشيئة الله سبحانه وجود الدوافع في النفس البشرية لحفظ الذات وبقاء النوع. ولكن الإنسان قد يتهاون في إشباع هذه الدوافع وضبطها وتهذيبها فتنحرف عن مسارها الطبيعي. ومنها قد يصبح الإنسان مخلوق يبحث عن إشباع شهوته من طعام وشراب ومتاع. قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

والإسلام دين الوسطية والإعتدال، ففي الوقت الذي يدعو فيه إلى إشباع الدوافع وعدم كبتها، فإنه لا يسمح بإشباعها دون قيد أو ضبط. لذا فإن حالة الصراع بين الدوافع تقتضي تنظيم إشباعها، وسأكتفي بالحديث عن إشباع دوافع الجوع والجنس والتملك.

١ - إشباع دوافع الجوع:

أ - إلتزام حد الحلال في إشباع دافع الجوع وتجنب الحرام:

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣].

ب - التزام حد الاعتدال في إشباع الدافع:

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١].

---

(١) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨١-١٩١ بتصرف.

ج - عدم الاستئثار بالطعام:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝ ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

٢ - إشباع دافع الجنس:

أ) الحث على الزواج، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١].

ب) الاستعفاف: قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٣].

ج) تحريم التبرج والأمر بالحجاب: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

د) الدعوة إلى غض البصر: قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

[النور: ٣٠-٣١]

٣ - إشباع دافع التملك:

أ - الحث على الصدقة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ [الحديد: ١٨].

ب - النهي عن البخل والشح:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦]

ج - تحديد أساليب التملك المشروعة والغير مشروعة:

قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨].

قال تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

المبدأ السادس:

تركيز القرآن الكريم على تنمية الإرادة لدى الفرد:

(والإرادة هي قوة الرغبة والاختيار، التي توجه الإنسان نحو قصد معين وهي قوة باعثة، يتولد منها الميل إلى الشيء الحسن، والنفور من الشيء السيء، كما يتولد الميل إلى الرائحة الزكية والنفور من الرائحة الكريهة)[1].

والقرآن الكريم يرشد الإنسان إلى توجيه إرادته نحو الخير والعمل الايجابي، قال تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، مقومات الشخصية المسلمة، كتاب الأمة (٢٩)، رئاسة الحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١١هـ، ص ١٠٢.

ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وبهذه التوجيهات يهدف القرآن الكريم إلى تقوية جانب العزم والتصحيح في داخل الإنسان حتى لا يكون ضعيفاً مهزوزاً ينساق في أقل فتنة ويسقط عند أدنى هزّة.

والمسلم صاحب الإرادة القوية، لو أغواه الشيطان في ساعة غفلة فانزلقت قدمه، وانحرف عن صراط الله المستقيم، فإنه لا يستسلم لهذه الخطيئة ولا يسترسل في الغواية بل يجاهد نفسه بكل عزيمة وإرادة حتى يعود إلى سويته ويتخلص مما تعلق بقلبه من آثار الانحراف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

المبدأ السابع:

تحرير الإنسان من عقدة الذنب:

عند وقوع الإنسان المسلم في الانحراف والخطيئة يشعر بالذنب والإثم، ويجد في أعماقه شيئاً يقرعه على ما فعل، وقد يتضخم هذا الشعور أو يميل نحو العزلة، أو يتبلد إحساسه ويستمر في الانحراف، وكل ذلك كان مبدأه الشعور بعقدة الذنب.

ولنستعرض منهجية القرآن الكريم للتغلب على هذه الأزمة النفسية اللازمة لكل إنسان، ولكن باختلاف درجتها وحدتها[1]:

---

١) العاني، نزار، الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، دار الفرقان، عمان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٧٨، بتصرف.

١) عرّف القرآن الكريم الإنسان بأنه مخلوق ضعيف معرض للخطأ، وابتدأ المثل سريعاً بأول الخلق سيدنا آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]. وقال ﷺ: «كل بني آدم خطاء».

٢) فتح القرآن الكريم أبواب التوبة على مصاريعها أمام المذنبين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وجعل النبي ﷺ من نفسه قدوة للتائبين. فعن الأغر المزني أن النبي ﷺ قال: «إني ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» (صحيح مسلم: حديث رقم ٢٧٠٢).

كما بين النبي ﷺ أن الإنسان مهما أكثر من الذنوب فإن ذلك لا يمنعه من التوبة. روى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أخطأ أحدكم حتى ملأ ما بين السماء والأرض ثم تاب تاب الله عليه» (سنن ابن ماجه: حديث رقم ١٢٤٨).

٣ - بين القرآن الكريم أن من تاب من ذنبه واستغفر منه فإن الله يكفر السيئات ويحولها إلى حسنات:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠]. وقال رسول الله ﷺ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

وبهذه الخطوات القرآنية التي تناولت حالة النفس حين تقع في الذنب، نلاحظ كيف أن القرآن خلّص الإنسان من عقدة الذنب التي لو استسلم الإنسان لها لزادته انحرافاً وضلالاً، مما يبعد الإنسان عن مركز أو بؤرة استقطاب كبيرة للعدد من السلوكات المنحرفة والأمراض والعلل النفسية.

المبدأ الثامن:

يذكر القرآن الإنسان بضرورة اليقظة والانتباه إلى مكائد الشيطان ودوام الاستعاذة بالله منه:

فقد أخبر القرآن الكريم أن إبليس بعد أن امتنع عن السجود لآدم عليه السلام طلب من الله أن ينظره، فلما أنظره قال عدو الله ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وبعد آدم عليه السلام استمر الشيطان يسعى في إغواء بنيه كما وعد الخبيث وقد حدثنا القرآن الكريم عن طائفة من تأثيراته على الناس منها:

أ) تخويف المؤمنين وإرعاب الآمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ب) يأمرهم بالفحشاء ويزين لهم المعاصي، قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

ج) يرغبهم بالكفر، قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦].

ولأن للشيطان هذه التأثيرات الخطيرة على الإنسان، والتي كثيراً ما ينخدع الإنسان بها وينجر وراءها فإذا به يسقط في دائرة الانحراف، أشار القرآن الكريم إلى ضرورة الاستعاذة بالله من مكائده وشروره على الدوام، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

[النحل: ٩٨-٩٩]

ومعنى (استعذ بالله) امتنع به واعتصم به والجأ إليه.

(وهي صفة لا يتحلى بها إلا المتقون، فما أن يصابوا بهذه الوساوس التي تغطي قلوبهم عن الحق فترة من الزمن، حتى يذكروا الله ويستعيذون به من الشيطان الرجيم، فيطير ذلك الغطاء الذي كان يغطي قلوبهم فيروا الحق ويبصروا بعد أن عموا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]) [(١)].

المبدأ التاسع

إضعاف ظهور الإنحراف باستخدام العقاب:

يعد العقاب أسلوباً فعالاً في تقليل ظهور أشكال السلوك غير المرغوب فيها، وتبدوا أهميته في أنه لا بد منه ولا بديل له في حال استمرار شخص أو مجموعة ما في الانحراف بالرغم من تعرضهم لتأثيرات المبادي الوقائيّة والعلاجية الأخرى، أو في حال اجتراء الإنسان على أحد الوان الانحراف الخطيرة التي فيها تهديد لأمن الأفراد والمجتمعات واستقرارها.

وقد اهتم علماء التربية بدراسة العقاب قديماً وحديثا وقد صنفوه إلى أشكال وأنواع مختلفة، ومن ذلك تصنيف الأستاذ الدكتور فاروق الروسان، أستاذ الإرشاد والتربية الخاصة في كلية التربية في الجامعة الأردنية، وسيعتمد الباحث على تصنيف الدكتور الروسان للعقاب لإظهار مدى اهتمام القرآن

---

(١) الراشد، محمد أحمد، البيان في مداخل الشيطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٤٧-١٤٨.

الكريم بالعقاب بأشكاله وأنواعه كوسيلة في معالجة الانحراف.

أنواع وأشكال العقاب في القرآن الكريم:

النوع الأول العقاب اللفظي:

-(يقصد بالعقاب اللفظي كل أشكال التهديدات اللفظية والتوبيخ، واستخدام العبارات الجارحة، واستخدام عبارة لا تفعل)(١).

وقد استخدم القرآن الكريم العقاب اللفظي بهذا المعنى في معالجة انحرافات فردية وجماعية كثيرة منها:

١) منع نكاح المحرمات: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢]

٢) اتهام الناس بغير دليل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣]

النوع الثاني : العقاب الاجتماعي:

(ويقصد بالعقاب الاجتماعي كل أشكال الحرمان والعزل الاجتماعي، وسحب المثيرات أو المعززات الإيجابية المرغوب فيها لمدة معينة أو بشكل دائم، حسب نوع ودرجة السلوك غير المرغوب فيه)(٢).

وقد استخدم القرآن الكريم العقاب الجماعي بهذا المعنى ومن أشهر الأمثلة على ذلك المقاطعة التي أمر النبي ﷺ بها أصحابه للثلاثة الذين تخلفوا

---

(١) الروسان، فاروق، تعديل وبناء السلوك الاجتماعي، دار الفكر، عمان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص ١٤٤.

(٢) الروسان، فاروق، ، مرجع سابق، ص ١٤٥.

عن الخروج معه في غزوة تبوك. قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨]

النوع الثالث: العقاب الجسدي:

ويقصد به إيقاع الأذى والألم على جسد الشخص المنحرف جزاءً له على تجاوز حدوده والاعتداء على حقوق الآخرين.

ونرى أن القرآن الكريم استخدم هذا النوع من العقاب في التربية وخصصه لأنواع محددة من الانحراف، وهي التي تصل إلى حد الجريمة التي يعتدي بها الشخص المنحرف على الآخرين بالأذى الجسدي أو بالاعتداء على ممتلكاتهم وحقوقهم الشخصية.

وقد تضمنت الشريعة الإسلامية ثلاثة أنواع من العقاب الجسدي هي:

١) **الحدود:** وقد حدد القرآن العقوبات الحدية على جرائم لا تتغير بتغير الزمان والمكان مثل:

أ) السرقة: قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨].

ب) الزنا: قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

٢) **القصاص:** وهي عقوبة مقررة من الله عز وجل في جرائم الاعتداء الجسدي. قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]. ويعاقب الجاني بمثل ما اعتدى به على المجني عليه إن كان يقبل المثلية. قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ

وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥].

٣) **التعزير:** وهي عقوبة مفوضة لأمر الحاكم في الجرائم التي تتباين فيها الظروف ويتباين حجم تأثيرها في المجتمع.

والملاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد ضمن القرآن أنواعاً صارمة من العقوبات الجسدية، لأن الغرض من العقوبة ليس معاقبة الجاني فحسب ومنعه من الاستمرار في الإنحراف، بل الهدف الأكبر هو ردع أبناء المجتمع الذين تميل نفوسهم للسير في طريق الانحراف، بحيث يرون من الشخص المعاقب أمامهم بالعقوبات الجسدية والقصاصية والتعزيرية عبرة كافية تمنع من السير في نفس طريق الجاني والذي يعرض إلى نفس العقوبة.

الخلاصة:

وبعد هذه الدراسة القرآنية لظاهرة انحراف السلوك يمكننا إجمالها في النقاط التالية:

١) أن القرآن الكريم قدم لنا معياراً ثابتاً نفرق به بين استقامة الشخصية وانحرافها ألا وهو (الشريعة الإسلامية المتمثلة في توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية)، فكلما استجاب الإنسان لتوجيهاتها كان على طريق الاستقامة، وكلما حاد عن توجيهاتها مال إلى الانحراف.

٢) يحدد القرآن الكريم أسباب الانحراف ويعزوها إلى حصول خلل في محافظة الإنسان على توازنه الذي أوجده الله في أصل خلقته، فهو قبضة الطين ونفخة الروح فإذا مال الإنسان إلى إحدى مكوناته على حساب الأخرى تسبب في حرف نفسه عن صراط الله المستقيم.

٣) أخطر مظاهر الانحراف التي ذكرها القرآن الكريم وحذر منها هو انحراف العقيدة، وقد بين القرآن الكريم أن لانحراف الشخصية مظاهر أخرى هي

المظهر النفسي والمظهر السلوكي والمظهر الأخلاقي.

٤) وضع القرآن الكريم منهجية في علاج الإنحراف تتناسب مع طبيعة الإنسان وقدراته وهي تتلخص في عدة مبادئ ذكرت الدراسة منها تسعة مبادئ تبدأ بتركيز القرآن على المسؤولية التضامنية في معالجة الانحراف، ثم أهمية الوقاية من الانحراف، وتنتهي باستخدام أنواع مختلفة من العقاب في حالات محددة وبشروط خاصة.



الفصل الرابع
الدوافع في القرآن الكريم

مفهوم الدوافع في ضوء آيات القرآن الكريم

أنواع الدوافع في القرآن الكريم

تربية الدوافع في القرآن الكريم

مفهوم الدوافع

بعض الآيات الكريمة التي تحدثت عن الدوافع:

١) قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، الحث الآية الكريمة إلى دوافع الجوع والعطش واتقاء الحرارة وهي من الدوافع الفسيولوجية لدى الإنسان لحفظ الذات. والرَّغَد، هو الواسع من العيش، الهنيء الذي لا يُعنِّي صاحبه ولا يرهقه. يقال: أرْغد فلان: إذا أصاب واسعًا من العيش الهنيء، كما قال الشاعر:

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا ... يَأْمَنُ الأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدْ

٢) قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس:٦٧].
الحث الآية الكريمة إلى دافع الراحة والهدوء ودوافع العمل وهي من الدوافع الفطرية في الإنسان.

٣) قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، الحث الآية الكريمة إلى دوافع فطرية فطر الله الناس عليها من حب النساء والأموال والبنين.

٤) قال تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦] الحث الآية الكريمة إلى دافع

حب التملك عند الإنسان....

٥) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١]، أشارت الآية الكريمة إلى الدافع الجنسي عن الإنسان بهدف بقاء النوع الإنساني.

٦) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ ﴾ [الأعراف: من الآية١٧٢]، ألمحت الآية الكريمة إلى الدافع الفطري الإيماني عند الإنساني.

٧) قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾ [طه: من الآية٣٩]

ألمحت الآية الكريمة إلى عدة دوافع ومنها دافع المحبة.

٨) قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد: من الآية٢١].

ألمحت الآية الكريمة إلى دافع التنافس وتوجيه هذا التنافس في الاتجاه الصحيح.

مفهوم الدوافع في القرآن الكريم:

تكرر ورود مادة دفع في القرآن الكريم نحو عشر مرات، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨] وقوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الطور: ٧]، وقوله: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾

[المعارج: ٢]

وتدور كلها حول معاني كثيرة تـدور أغلبهـا حـول الحركـة والـدفع بقـوة والعطاء والردّ والحماية والحفظ[1].

تعريف الدفع:

يعرف الدافع بأنه (قوة فطرية كامنة تحض الإنسان على فعل ما يجلب له المسرة واللذة أو يشبع حاجته الضرورية أو يرد الخطر الذي يعود عليه بالألم والحسرة)[2].

ويعرفه الدكتور نجاتي بأنه (القوى المحركة التي تبعث في الكائن الحي وتبدي السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة)[3].

ويعرفه السالوطي بأنه (حالة داخلية جسمية أو نفسية فطرية أو مكتسبة، تثير السلوك وتحدد نوعيته واتجاهه، وتسير به نحو تحقيق أهداف معينة من شانها إرضاء جانب معين من جوانب الحياة الإنسانية)[4]

ونخلص من التعريفات السابقة أنها تركز على أن الدافع حالة داخلية للإنسان تدفعه نحو سلوك معين.

وعليه يمكن تصنيف الدوافع بعدة أشكال فثمة دوافع فسيولوجية ودوافع إيمانية روحية ودوافع نفسية دوافع اجتماعية ودوافع لا شعورية.

---

(١) محمد الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ١٩٥

(٢) المرجع السابق. ص ١٩٥

(٣) محمد عثمان نجاتي. القرآن وعلم النفس، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٥م، ص ٢٣

(٤) نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص ٩٠

أنواع الدوافع في القرآن الكريم

أنواع الدوافع:

١ - الدوافع الفسيولوجية

وهي دوافع فطرية ناشئة من خلل فسيولوجي يرافقه توتر داخلي يدفع الإنسان إلى القيام بسلوكات تشبع حاجته[١].

أو هي استعدادات يولد الإنسان مزودا بها، ولم يكتسبها الإنسان من البيئة عن طريق التعلم والتدريب، وهي تنشأ، عن نقص فسيولوجي، ويصاحب هذا النقص حركة للكائن الحي بهدف سد النقص وإزالة التوتر[٢].

٢ - دوافع حفظ الذات

وهي دوافع تحرك الإنسان وتحضه على القيام بسلوكيات تحفظ حياة البدن من الخلل والفساد لذا خلق الله سبحانه وتعالى الكون وسخره لخدمة الإنسان[٣] ومن أمثلة تلك الدوافع:

دوافع الجوع

الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب من وقت لأخر حسب حاجاته، والقرآن الكريم اعترف بهذه الحاجة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون:٢١]، فقد أحل الله سبحانه للإنسان أكل الأنعام، وهي الإبل والبقر... لأن الأكل يحقق فائدة ضرورية في نظام الحياة.[٤]

---

(١) شادية التل. مرجع سابق، ص ١٥٢

(٢) محمد عز الدين توفيق. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، القاهرة: دار السلام، ١٩٩٨م، ص ٤٩٦

(٣) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ١٩٨

(٤) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٢٤٦٢

دافع العطش

نقص الماء في جسم الإنسان يؤدي إلى الظمأ ولذلك يسعى الإنسان لشرب الماء ليعيد إلى الجسم توازنه. قال تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة:٦٩].

فالآية الكريمة تبين أن الماء منة من الله، فالماء العذب يشرب منه الإنسان فان شرب الماء من أعظم النعم على الإنسان.[١]

وأشار القرآن الكريم إلى دوافع عديدة منها دافع الراحة والذي يدل عليه قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النمل:٨٦].

ودوافع اتقاء الألم بقسميه المادي والمعنوي، فالمادي يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩].

أما الألم النفسي فيدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾

[المؤمنون: ١٠٩ – ١١٠]

دوافع بقاء النوع:

وتشمل دوافع الجنس ودوافع الأمومة، فالجنس يعلب دورا هاما في حياتنا الاجتماعية وصحتنا النفسية ويبدأ دور هذا الدافع في مرحلة المراهقة[٢].

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢٧ / ٢٩٦

(٢) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ٢٠٥

وقد اعترف الإسلام بدافع الجنس بقوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ [آل عمران: من الآية١٤]، فالآية الكريمة بدأت بأصول الشهوات البشرية والتي تختلف باختلاف الأمم والعصور والأقطار، فالميل إلى النساء مركوز بالطبع، لحكمة بقاء النوع بداعي طلب التناسل والمرأة هي موضع هذا التناسل فميل الرجل إلى المرأة لا يحتاج تكلف(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل:٧٢]

ومما يدل على دافع الأمومة قصة أم موسى عليه السلام، التي شملت على مشاعر وأحاسيس رقيقة يرمز بها قلب الأم. والآيات تعبر عن ذلك بدلالة واضحة قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

والأم هي الوحيدة التي اقتنصت حكمة الله تعالى أن يفطرها مزودة بدافع الأمومة لأداء رسالتها المتعلقة بالإنجاب حفظا للنوع الإنساني(٢).

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٣ / ٣٩

(٢) التل. مرجع سابق، ص ١٥٧

الدوافع الإيمانية

وهي الدوافع التي تنشا عن التكوين الفطري (الروحي) للإنسان، وهي مغروسة بالفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: من الآية٣٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

يقول سيد قطب (إنها قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني... هذا العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم هو عهد الفطرة، فقد أنشأهم مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده وأودع هذا فطرتهم فهي تنشأ عليه، حتى تنحرف عنه بفعل فاعل يفسد سواءها ويميل بها عن فطرتها)[١].

فالله سبحانه وتعالى فطر الناس على معرفته. قبل خلقهم، لذا يبحث الإنسان عن عبادة الله تعالى نتيجة لهذه الدوافع الفطرية الإيمانية، وهي محرك أساسي في سلوك الإنسان، ولا يتوقف عمل هذه الدوافع فهي دائمة العمل.

وتظهر هذه الدوافع بشكل واضح وجلي في حالات الخطر التي يتعرض لها الإنسان، فتجده يعود إلى الله سبحانه وتعالى لطلب العون والمساعدة، قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ [الزمر: ٨].

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٣ / ص ١٣٩٢ – ١٣٩٣

وقال سبحانه ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان: من الآية٣٢]

فالآية الكريمة تدل على أن الناس يذكرون الله تعالى عند الإضرار، ويغفلون عنها في حال السلامة ففي حالة الاضطرار يخلص الناس لله سبحانه وتعالى بالعبادة وهذا فيه إقامة حجة على الناس[١].

ومما يدل على دافع التدين اعتقاد الإنسان بوجود قوة أكبر منه، وحاجته نحو هذه القوة بالفضل. والإحساس أمامها بالفخر والميل والتقرب لها بالعبادة[٢].

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]

فثمة ربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وهما من صنع الله الواحد، وكلاهما متناسق مع الأخر في طبيعته واتجاهه، فالفطرة ثابتة والدين ثابت، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة[٣].

الدوافع المكتسبة (نفسية أو اجتماعية) :

هي دوافع غير فسيولوجية ذات أساس فطري تزيد قوتها أو تنقص في ضوء التربية الاجتماعية والتعلم الذي يتلقاه الإنسان في حياته[٤].

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ١١ / ٥٧

(٢) حنان العناني. مرجع سابق، ص ٩٥

(٣) سيد قطب.مرجع سابق، ٥ / ٢٧٦٧

(٤) التل. مرجع سابق، ص ١٥٩

وهذه الدوافع ليس لها أي أساس بيولوجي معروف وإنما هي حاجات يتعلمها الإنسان من البيئة المحيطة به والمجتمع الذي يعيش فيه، وتسمى مكتسبة تميز لها عن الدوافع الفطرية(١).

والدوافع المكتسبة تعبر عنها الأنماط السلوكية السائدة في المجتمع وهذه الدوافع متنوعة وكثيرة وتتمايز من مجتمع لأخر حسب ظروف الحياة.(٢) ومن أمثلة الدوافع:

دافع الحب:

الحب والحنان لها جذور عميقة في النفس الإنسانية، ولها دور في صحة الفرد النفسية والاجتماعية وأشار القرآن إلى هذا الدافع بقصة موسى عليه الصلاة والسلام. بأن ألقى محبته في كل قلب من رآه ليعيش عليه السلام في جو ممتلئ بالمحبة والمودة(٣).

قال تعالى ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه ٣٨ – ٣٩].

يقول سيد قطب أنها القدرة التي تجعل من المحبة درعا يكسر الضربان ويحطم الأمواج، وتعجز قوى الشر والطغيان أن تمس حاملها بسوء حتى لو كان طفلا رضيعا(٤).

(١) محمد عز الدين توفيق. مرجع سابق، ص ٥١٣

(٢) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ٢٠٩ – ٢١٠

(٣) المرجع السابق. ص ٢١٠

(٤) سيد قطب. مرجع سابق، ص ٢٣٣٤

دافع الأمن

يحرص القرآن الكريم على إشباع دافع الأمن عند الأفراد والجماعات على حد سواء، والأمن في القرآن الكريم أمن شامل مرتبط ارتباطا وثيقا بالإيمان، لذا كان من مطالب سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعائه قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة: من الآية١٢٦] فدعوة إبراهيم عليه السلام من جوامع كلم النبوة فان أمن البلاد يستتبع جمع خصال السعادة وتؤدي إلى العدل والعزة إذ لا أمن بدونها، فاختلال الأمن يؤدي إلى اختلال أمور كثيرة[1]. ومنّ الله سبحانه وتعالى على قريش بأنه اشبع عندهم دافع الأمن قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٣، ٤].

ووصف الله البيت الحرام بأنه آمن قال تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧]، فمن فضائل البيت الحرام أن من دخله كان آمنا به وليس هذا لمكان أخر، وبقي كذلك منذ بناه إبراهيم وإسماعيل حتى العرب في الجاهلية، قد انحرفوا عن الحق كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفه ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يلمسه حتى يخرج.[2]

ومن أساليب اختبار الإنسان في الحياة الدنيا سلبه نعمة الأمن، ليرى ماذا يصنع الإنسان قالت تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ١ / ٦٩٦

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٤٣٥

ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥].

دافع التنافس

التنافس دافع اجتماعي تحدد معايرة قيم المجتمع وثقافته وغالبها ما يوجه نحو الحياة الدنيا ويكون سببا في المشاحنات والأحقاد[١].

وأشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا الدافع بقوله «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» (مسلم / ج ٤ / ص ٢٢٧٤ / حديث ٢٩٦١).

والقرآن الكريم وجه هذا الدافع نحو عمل الخير، قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١]، فالآية الكريمة تبين أن الأمر شامل في التنافس والتسابق إلى أفعال الخير الموجبة للرحمة والمغفرة ونعيم الجنة.[٢]

ولا مجال لاستقصاء جميع الدوافع الواردة في القرآن الكريم، وانما ذكرنا أمثلة عليها ومن هذه الدوافع الواردة، دافع العدوان، ودافع الانتماء، والذي هو حاجة ملحة تدفع الإنسان إلى الانتماء إلى جهة أقوى وأعظم منه يكتسب فيها الحماية ويلتمس لديها النصح والإرشاد ويشعر في كنفها بالانتماء[٣].

قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ

(١) التل. مرجع سابق، ص ١٦٤

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢٧ / ٣٦٧

(٣) حنان العناني. مرجع سابق، ص ٩٥

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

تربية الدوافع في القرآن الكريم:

قبل البدء بالحديث عن تربية الدوافع في القرآن الكريم، لابد من الإشارة إلى أن الإنسان قد يشعر بصرع نفسي تجاه أمر معين، وينتج هذا الصراع عن\ما تتعارض بعض الدوافع مع بعض فبعضها يجذب الإنسان لأمر ما، وينتج هذا الصراع عندما تتعارض بعض الدوافع مع بعض فبعضها يجذب الإنسان لأمر ما، والبعض الآخر يدفعه عنه، فمثلاً قد يرغب إنسان في أن يقتني سيارة وهو لا يملك المال، فتسول له نفسه الحصول على المال بطريقة غير شرعية. فهنا ينشأ الصراع النفسي الذي قد يتطور فيصبح عقدةً أو مرضًا نفسياً، ويدل على ذلك ما ورد في القرآن الكريم في وصف حالة الصراع لدى بعض الناس الذين تتجاذبهم دعوات الكفر والإلحاد، ودعوات الناس المؤمنين[1]. فوصف الإنسان المتردد بين دافعين بكلمة غاية في الدقة هي (حيران) لأن الحيرة تصوير لحالة من القلق المشرب بالخوف والتوتر والصراع بين الإقدام والإحجام.

قال تعالى ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: من الآية٧١].

فهو مشهد حي متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب الشخص بعد التوحيد، بين من يتوزع قلبه بين الإله الواحد، والآلهة المتعددة... مشهد

(١) سميح عاطف الزين. معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٩١م، ص ١٢٤ – ١٢٥

المخلوق التعيس... أنه العذاب النفسي حتى يكاد يحس ويلمس من خلال تعبير، مشهد يفيض بالحيرة والتارجح والقلق[١].

وصراع الدوافع يجب أن يحسم باتجاه الضوابط والقواعد الإسلامية في معالجة موضوع الدوافع بشكل عام.

والحديث عن تربية الدوافع هو الحديث عن دعوة القرآن الكريم إلى إشباع الدوافع وعدم كبتها، وفي الوقت نفسه فأنه لا يسمح بإشباعها دون قيد أو ضابط، بل ويجب أن يكون هذا الإشباع في إطار المهمة التي خلق لأجلها الإنسان قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، فالإنسان الذي يشبع دوافعه وفق المنهج القرآني يشعر بالسكينة والاطمئنان، أما الذي يشبع دوافعه بطرق ملتوية فأنه يشعر بالقلق والاضطراب[٢].

فالله سبحانه وتعالى خالق الإنسان بدوافعه وهو سبحانه وتعالى عليم بالضوابط المنظمة والمربية لهذه الدوافع، وهذا ما يظهر في العظمة الإلهية قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾ [الأعراف: من الآية٣١]، فالمتأمل في الآية الكريمة يجد أنها تعترف بضرورة إشباع دافع الجوع بأكل الطعام وشرب الشراب ولكن بضابط عدم الإسراف. وفيما يلي أمثلة على تربية الدوافع في القرآن الكريم[٣].

تربية دافع التملك

١) أقر القرآن الكريم أن الإنسان مفطور على حب التملك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٢ / ١١٣٢

(٢) سميح الزبن. مرجع سابق، ص ١٣٢ – ١٣٥

(٣) عماد الشريفين. مرجع سابق، ص ١٤٨

ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٠].

٢) حدد القرآن الكريم وسائل التملك، كالعمل والإرث من وسائل التملك، قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[المائدة: ٩٦]

٣) رفض القرآن الكريم طرق التملك التي لا يبذل فيها صاحبها جهدًا، وعدها طرقًا غير مشروعة، كالربا والاحتكار والغش، قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٥] وغيرها من النصوص التي تشدد التحريم في الربا.
والربا حرم لحكم أربعة أولها: أن فيه أخذ مال الغير بغير عوض وثانيها: أنه يمنع الناس من اقتحام مشاق الاشتغال بالاكتساب لأنه عود صاحب المال اخذ المال بسهولة، ثالثا: يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس بالقرض، الرابع: الغالب يكون المقترض غنيا والمستقرض فقيرا فإذا أبيح الربا تمكن الغني من اخذ مال الضعيف[1].

٤) طلب الله تعالى إلى المسلمين الإنفاق في سبيله لينال المسلم الأجر والثواب منه عز وجل، قال تعالى: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

[الحديد:٧]

٥) بين الحق سبحانه وتعالى للمسلمين أن ما في أيديهم هو لأجل محدود، فلا

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ص ٥٥٣

حسرة ولا ندامة، قال تعالى ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾
[النساء: من الآية٧٧]

٦) أقرّ الإسلام الإرث وجعله وسيلة لاستفادة أفراد المجتمع من أقارب الميت وانتقال هذه الملكية الفردية منه إلى المجموعة التي ورثته، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾
[النساء: من الآية١١]

إن هذا الأسلوب في تربية دافع التملك عند الإنسان يجعله يسلك كل سلوك سوي صحيح بعيداً عن الاضطراب والجشع والطمع، وبعيداً عن كل طريق محرم، كما يجعله يرضى بما قسم الله سبحانه وتعالى له، فالتملك أمر خلق عليه الإنسان، وتركه دون تربية يجعل الفرد يسلك سلوكات غير سوية، فيلحق الأذى والضرر بالأفراد أنفسهم وفي المجتمعات التي يعيشون فيها.

تربية دافع الجوع

١) قرر القرآن الكريم حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب من وقت لآخر، والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بطبيعة هي بحاجة إلى الأغذية والأشربة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون:٢١].

٢) قرر القرآن الكريم قاعدة الاعتدال في تناول الطعام والشراب، من غير إسراف وتبذير، إشباعاً لدوافعه، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾
[الأعراف:٣١]

٣) حذر الإسلام من الإمساك والتقتير، لما يترتب عليه من مضار كثيرة على

الأفراد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٩].

٤) دعا الإسلام إلى البذل والعطاء والصدقة والزكاة وعدم الخشية من الإنفاق.

الآية الكريمة تبين قاعدة كبرى في المنهج الإسلامي، وهي قاعدة التوازن، فالغلو كالتفريط بخل بالقاعدة العامة، فترسم الآية نهاية البخل ونهاية الإسراف بالقعود كالملوم المحسور والحسر هو العجز عن السير ضعفا وكذلك البخيل والمسرف ينتهيان إلى وقفه الحسر[1].

وأخيراً ولا بد للإنسان أن يسيطر على دوافعه من اجل استمرار الحياة وبقاء النوع، فإذا انحرفت الدوافع عن خطها الصحيح ولم يعد الإنسان هو المسيطر عليها والمتحكم فيها، انحرف سلوك الإنسان عن الخط الصحيح المستقيم.

وأشار القران الكريم إلى أمثلة تدل على انحراف الدوافع مثل الانحراف الجنسي أو المثلية الجنسية عند قوم لوط عليه السلام يقول تعالى عن انحراف دوافعهم الجنسية ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف:٨٠-٨١].



(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٢٢٢٣

الفصل الخامس
الفروق الفردية في القرآن الكريم

مفهوم الفروق الفردية في ضوء القرآن الكريم

حكمة وجود الفروق الفردية والعوامل المؤثرة فيها في القرآن الكريم.

المجالات التي تظهر فيها الفروق الفردية في القرآن الكريم ودلالتها التربوية.

الفروق الفردية في آيات القرآن

بعض الآيات الكريمة التي يفهم منها مراعاة الفروق الفردية:

١) قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢].

الآية الكريمة تدل على التفاوت بين الناس في الأرزاق والقدرات والطاقات...

٢) قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، الآية الكريمة تدل على أن الله سبحانه وتعالى كلف كل إنسان بحسب قدرته وطاقته...، وقال سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأعراف:٤٢].

٣) قال تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [الطلاق: من الآية٧]، الآية الكريمة تدل على اختلاف الناس

في مسالة الرزق والإنفاق.

٤) قال تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: من الآية٣٥]

الآية الكريمة تدل على الفروق بين الذكر والأنثى...

وقال سبحانه ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: من الآية٣٤].

مفهوم الفروق الفردية:

تعرف الفروق الفردية بأنها الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواء أكانت تلك الصفات، جسمية أم عقلية، أم مزاجية، أم في سلوكه النفسي أو الاجتماعي[١].

ويؤكد هذا التعريف يحيى عيد بقوله: أن الفروق الفردية هي السمات والصفات التي تميز أي فرد من أفراد المجموعة عن غيره وأية مجموعة من المجموعات عن غيرها.[٢]

فالفروق الفردية هي اختلاف الأفراد والمجموعات بعضهم عن بعض في الصفات والخصائص سواء أكانت جسمية أم عقلية أم اختلاف في الاستعدادات والقدرات.

---

(١) عبد الحميد الهاشمي. الفروق الفردية، دراسة تحليل، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص ٧

(٢) يحيى عيد. الفروق الفردية في التربية الإسلامية في المرجع في تدريس علوم الشريعة، عبد الرحمن صالح (محرر)، الأردن، ص ٢٧٠

حكمة وجود الفروق الفردية والعوامل المؤثرة فيها

حكمة وجود الفروق الفردية للفروق الفردية حكم عدة منها :

- انتفاع الناس بعضهم بعضا في تحقيق تكامل المجتمع، قال تعالى ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢]، فكان من تدبير الله سبحانه ببالغ حكمته أن جعل في الناس أقوياء وضعفاء، أغنياء ومحتاجين فسخر بعضهم لبعض في أشغال الحياة، ودفع بعضهم فوق بعض، وجعل بعضهم محتاجا إلى بعض(١).
- إظهار قدرة الله سبحانه وتعالى وبديع ودقة علمه قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم:٢٢]، فخلق السماوات والأرض آية عظيمة مشهورة بما فيها من تصاريف الأجرام السماوية والأرضية... واختلاف لغات البشر آية عظيمة فهم مع اتحادهم في النوع كان اختلاف لغاتهم آية دالة على ما كونه الله في غزيرة البشر من اختلاف التفكير.(٢)
- للفروق الفردية دور هام وبارز في اختبار الناس وامتحانهم ومعرفة ردود أفعالهم، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢٥ / ٢٤٥

(٢) المرجع السابق، ٢١ / ٣٤

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [الأنعام:١٦٥].

- للفروق الفردية دور هام إلى توجيه الناس إلى ما يناسبهم من الأعمال والمهام وفق قدراتهم واستعدادهم وطاقاتهم، فالله سبحانه وتعالى لا يكلف الإنسان إلا بحسب قدرته وطاقته، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:من الآية ٢٨٦].

وتساهم الفروق الفردية في إيجاد المجتمع المتكامل الذي يؤدي كل فرد دوره، بحيث لا يستطيع الأفراد الاستغناء عن بعضهم البعض في متطلبات حياتهم. كما أن الفروق الفردية تعطي الإنسان حافزا من اجل العمل وخاصة أصحاب التميز.

العوامل المؤثرة في الفروق الفردية:

١- العوامل الوراثية الفطرية:

فالوراثة هي الطريقة التي تنتقل بها بعض الصفات والخصائص من الأصول إلى الفروع.[1] وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود فروق وراثية جسمية بين الرجل والمرأة قال الله تعالى على لسان أم مريم عليها السلام: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦]، أي ليس جنس الذكر مساويا لجنس الأنثى[2].

(١) عبد الحميد الهاشمي. مرجع سابق، ص ١٠

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ٣ / ٨٦

فالطفل عندما يولد يحمل صفات جسمية وراثية من والديه، كالشكل والطول والقصر، ولون البشرة وليس المقصود بالوالدين المباشرين فقط، وإنما تمتد إلى الجذور.

٢ - العوامل البيئية المكتسبة

وهي العوامل الخارجية المؤثرة في الشخص منذ بدء النمو إلى وفاته.[١] وهذه العوامل كثيرة جدا، منها على سبيل المثال لا الحصر دعوة الوالدين إلى وقاية أبنائهم من النار، وتعويدهم أداء العبادات، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

والناس متفاوتون في تطبيق الأمر الرباني، والواجب إدراك هذا الأمر إدراكا جيدا ويجب الاهتمام البالغ بتكوين الأسرة المسلمة وإلا سيتأخر بناء المجتمع المسلم[٢].

---

(١) محمد محمود. مرجع سابق، ص ١١٧

(٢) سيد قطب. مرجع سابق،٦ / ص ٣٦٢٠

المجالات التي تظهر فيها الفروق الفردية في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم إلى المجالات الآتية من الفروق الفردية منها[1]:

الفروق الإيمانية:

تقوم عقيدة المسلم على الإيمان بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره، لذا فهو مختلف عن غيره في هذا الإيمان.

ومن الآيات الكريمة الدالة على اختلاف الناس في هذا الإيمان قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: من الآية١٤٣]، فالآية الكريمة تدل على أن الأمة الإسلامية تميزت عن باقي الأمم فهي أعلى منزلة من غيرها. ومن الآيات الدالة على اختلاف الناس في الإيمان قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن:٢].

فالله سبحانه وتعالى أودع هذا الإنسان، إمكان الاتجاه إلى الكفر وإمكان الاتجاه إلى الإيمان، وهو الذي تميز بهذا الاستعداد دون غيره من المخلوقات، والله سبحانه وتعالى رقيب على الإنسان فيما يقدم عليه من أمور[2] فمن الناس من يختار الإيمان ويلتزم به ومنهم من يختار الكفر ومن الآيات الدالة على اختلاف الجزاء بسبب هذا الإيمان قوله تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

---

(١) سلافة الشرايري. الفروق الفردية في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ص ٢٧ – ٤٧

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٥٨٥

وبسبب الإيمان رفع الله العلماء وترك غيرهم، قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: من الآية ١١].

الفروق الجنسية:

فرق الإسلام بين الذكر والأنثى في الخصائص والصفات والمهام، فجعل لكل منها دوره المميز في الحياة، والذي لا يستطيع القيام به إلا هو، فإذا قامت بمهام الذكر الأنثى أو العكس فان ذلك يسبب اضطرابا في الحياة ومن الآيات التي تؤكد هذه المعاني قاله تعالى ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران:من الآية ٣٦].

وفرق الإسلام بين الجنسين في الميراث، فجعل نصيب الذكر ضعفي نصيب الأنثى، وذلك لطبيعة المهام التي يقوم بها الذكر دون الأنثى، يقول سبحانه وتعالى ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: من الآية ١١].

وفي الآية الكريمة «إيماء إلى أن حظ الأنثى صار في اعتبار الشرع أهم من حظ الذكر، إذ كانت مهضومة الجانب عند أهل الجاهلية فصار الإسلام ينادي بحقها في أول ما يقرع الأسماع قد علم أن قسمة المال تكون باعتبار عدد البنين والبنات»[١].

ويعلل الإمام ابن كثير بجعل نصيب الذكر ضعفي الأنثى، وذكر لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة وتحمل المشاق، فناسب أن يعطي الذكر ضعفي الأنثى[٢].

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٤٦.

(٢) ابن كثير. إسماعيل بن كثير القرشي أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م ١/ ٤٣٣.

الفروق الجسمية:

أشار القرآن الكريم إلى اختلاف الناس في تكوينهم الجسماني، فنجد النحيل والضخم والقصير والطويل وصحيح الجسم والسقيم وقد نرى أحدا بصيرا وآخر أعمى ومن الفروق الجسمية التي ذكرت في القرآن الكريم.

- اختلاف لون البشرة بين الناس، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: من الآية٢٢]، وقوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨]
- الفروق الجسمية بين الناس، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود:٢٤]

وقوله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:١٧].

فالله سبحانه وتعالى رفع الحرج عن الأعمى والأعرج ولم يحملهما ما يطيقان وأعطاهما العذر في ترك الجهاد مع عدم ترتيب الإثم على ذلك.

فالآيات السابقة تحدثت عن عيوب جسدية، وثمة آيات أخرى تتحدث عن فروق جسدية تتعلق بالضعف والقوة. قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ

تُفۡلِحُونَ ﴾ [لأعراف: من الآية٦٩]

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ [البقرة: من الآية٢٤٧]

فذكرت الآية بعض الأسباب التي من اجلها اختار الله طالوت ملكا، فهو اعلم من قومه واشد قوة وصبرا وأتم قامة منهم، وعليه فلا بد أن يكون الحاكم ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه(١).

الفروق الانفعالية:

وضح القرآن الكريم اختلاف الناس في الأمزجة والصفات فمنهم رقيق العاطفة وأخر شديد، وثمة من هو سريع الغضب وأخر لديه القدرة على امتلاك زمام الأمور وأخر يعيش في سعادة والأخر شقي، ومن الآيات والأحاديث التي تدل على هذا الأمر قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴾ [هود: ١٠٥].

ومن الأحاديث التي تدل على الفروق بين الناس في المجال الانفعالي، ما رواه الإمام مسلم أنه قال: (استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» (صحيح مسلم/ ج٤/ ص ٢٠١٥، حديث ٢٦١٠).

ويقول عليه الصلاة والسلام «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب، قال ألا فأن منهم البطيء الغضب

(١) المرجع السابق، ١ / ٢٨٥

سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب بطئ الفيء، فتلك بتلك، ألا وان منهم سريع الغضب سريع الفيء ألا وخيرهم بطئ الغضب سريع الفيء، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء» (الترمذي / ج٤ / ص ١٤٨٣، حديث ٢١٩١)

الفروق العقلية:

أشار القرآن الكريم إلى أهمية العقل وبين دوره في رقي الإنسان وتقدمه في شتى مجالات الحياة، بل وجعله مناط التكليف، وأكد القرآن الكريم أن الناس ليسوا سواسية في استخدام عقولهم وتوجيهها التوجيه السليم. ومن الآيات الدالة، قوله تعالى ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:٢٦٩].

فالذي يؤتيه الله سبحانه وتعالى الحكمة يوجه إلى سداد الرأي ويعصم من الوقوع في الغلط والضلال، ومن يسلب الحكمة فيحلّ به من المصائب والجهالة والضلال وأفن الرأي.[1]

وأثنى الله سبحانه وتعالى على أصحاب العقول السليمة، الذين يستخدمون عقولهم، وسماهم أولي الألباب، قال تعالى ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد:١٩].

ومما يدل دلالة واضحة على تباين الناس في استخدام عقولهم واستعدادهم للتعلم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إن مثل ما بعثني الله عز وجل من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلاء والعشب الكثير، وكانت منها اجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢ / ٥٣٤

الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني به من العلم فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

الفروق المالية والاقتصادية:

أشار القرآن الكريم إلى اختلاف الناس في الأمور المالية، وشرع الأحكام التي تنظم الأمور المالية للأفراد والجماعات الإسلامية، ومما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى هو الرازق، يبسط الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء وليس التفاوت بين الناس في الأرزاق تفضيل لأحد على أخر وإنما الأمر لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، ومن الآيات الدالة على اختلاف الناس في أمور الرزق قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزمر: ٥٢].

فالآية تدل على أن الناس فريقين فريق يبسط الرزق عليه وفريق يضيق عليه فمن أعطاهم الله من نعمة، وما وهبهم من رزق، يكون بتقدير الله سبحانه وتعالى وحكمته وذلك ليبتلى العباد ولينفذ مشيئته كما يريد(١).

وثمة آيات كثيرة تدل على اختلاف الناس في الموارد المالية منها قوله تعالى ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾

[النحل: من الآية٧١]

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٥/ ٣٠٥٧.

فالآية تشير إلى أن الرزق حاصل لجميع الخلق، وتفاضلهم غير جار على رغباتهم فقد تجد أعقل الناس وأجودهم مقترا في الرزق، وترى اجهل الناس واقلهم تدبيرا موسعا عليه في الرزق، فالمقتر والموسع عليه لا يدبران الأسباب(١).

الفروق الاجتماعية:

ذكر القرآن الكريم أن الناس ليسوا طبقة واحدة، فرفع بعضهم فوق بعض درجات، فجعل الوزير والعامل والمدير،.... وذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى وهي استمرارية الحياة ومعرفة نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان.

ومن الآيات الكريمة الدالة على المعاني السابقة قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾

[الزخرف: من الآية٣٢]

الفروق اللغوية:

الله سبحانه وتعالى لم يجعل الناس يتحدثون لغة واحدة للتعبير عن حاجتهم وتصويلها إلى الآخرين، بل أن هناك فروقا فردية في اللغة بين أمة وأخرى، وفي الأمة الواحدة لهجات متفاوتة، تقترب وتبتعد من اللغة الأم، ومن الآيات الدالة على اختلاف اللغات قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: من الآية٢٢].

فاختلاف لغات البشر آية من آيات الله تعالى العظيمة، فاللغة كانت واحدة للبشر حين كانوا في مكان واحد. وما اختلفت اللغات إلا بانتشار القبائل في مواطن متباعدة وتطرق التغير إلى لغاتهم تدريجا ثم اختلفت اللغات في

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ١٣ / ١٧١

جوهرها، كما اختلفت اللغة الواحدة باختلاف اللهجة[١]

الفروق الأخلاقية:

المتأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى، يجد الحديث عن نماذج أخلاقية متباينة ومتفاوتة، فثمة حديث عن الصدق والكذب، الأمانة والخيانة، وغير ذلك من النماذج الأخلاقية.

ومما يدل على اختلاف الناس في الصفة الخلقية الواحدة، قوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران: من الآية٧٥]

فالآية الكريمة تبين اختلاف صفات أهل الكتاب في صفة الأمانة، فمنهم من يحافظ عليها ويرعاها الرعاية الصحيحة ويؤديها إلى صاحبها متى طلبها، والفريق الأخر لا يحافظ عليها مطلقا.

الفروق في الأهداف والغايات:

أوضح القرآن الكريم أن أهداف وغايات الناس مختلفة، فمنهم من غايته طلب العلم، وأخرين غايتهم جمع المال، ومنهم من يسعى إلى مساعدة الناس، ومن الآيات الكريمة الدالة على اختلاف أهداف وغايات الناس قوله تعالى ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل: ٤].

فالآية تبين أن أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومخالفة فمن فاعل للخير ومن فاعل للشر[٢].

ويقول سيد قطب (والناس في هذه الأرض تختلف طبائعهم وتختلف

(١) المرجع السابق، ٢١ / ٣٤

(٢) ابن كثير. مرجع سابق، ٤/ ٥١٩.

مشاربهم، وتختلف تصوراتهم وتختلف اهتماماتهم، حتى لكان كل واحد منهم عالم خاص[1] يعيش في كوكب خاص) ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥٢].

الدلالات التربوية للفروق الفردية الواردة في القران الكريم:

- مراعاة الفروق الفردية في المناهج المقررة، فالأصل أن يتميز ويختلف المنهاج المقدم للطالبة عن المنهاج المقدم للطالب، كل حسب حاجته ومتطلباته وأن تكون المناهج مراعية لمراحل النمو المختلفة.
- مراعاة الفروق الفردية يفيد في توجيه الطلبة نحو تخصصات معينة بناء على قدراتهم العقلية.
- مراعاة الفروق الفردية في عملية التقويم، وضرورة أن تكون الأسئلة المعدة مناسبة لمختلف مستويات الطلبة.
- مراعاة الفروق الفردية في المناهج الدراسية من حيث:

أ) أهداف المناهج أن تكون شاملة ومناسبة لمختلف الطلبة ولمراحل نموهم.

ب) محتوى المنهاج يحوي المباديء والمفاهيم الحسية والمجردة وبما يتناسب مع نمو الطلبة.

ج) المنهاج يتدرج في طرح المعلومات من السهل إلى الصعب، ومن المحسوس إلى المجرد.

د) طرائق التدريس والوسائل التعليمية يجب أن تكون متناسبة مع خصائص المتعلمين.

ومن الواضح أن بيان القرآن الكريم إلى وجود فروق فردية بين الناس، وأن الفرد لا يكلف إلا قدرته وطاقته وسعته، هو الفكرة التي وصل إليها علم

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٩٢٢.

النفس الحديث لتنظيم عملية التعلم بحيث يوجه كل فرد نحو التعلم المناسب، وهو هدف عملية التوجيه التربوي في التربية الحديثة ومن أجل تحسين عملية الاختيار المهني للأفراد(١).



(١) محمد عثمان نجاتي. القرآن..، مرجع سابق، ص٢٢٧.

الفصل السادس

الانفعالات والعواطف في القران الكريم

مفهوم الانفعالات وبعض الآيات الدالة على الانفعالات

أمثلة على الانفعالات الواردة في القرآن الكريم

مظاهر الانفعالات في القرآن الكريم وكيف نسيطر عليها

مفهوم العواطف والعادات وبعض الآيات الدالة عليها

مفهوم الانفعالات وبعض الآيات الدالة على الانفعالات

الانفعالات حالات داخلية تنشا عن مجريات الأمور والأحداث في حياة الفرد[١]. فهي جزء هام في الحياة الوجدانية في السلوك الإنساني وترتبط بالسلوك المدفوع، إذ هي المحرك الأساسي للسلوك الإنساني والذي غالبا ما ينطوي على شحنة انفعالية[٢].

فالانفعال ناشئ عن الأحداث والوقائع التي يتعرض لها الإنسان ويكون لها مردودا نفسيا، ومظهر الانفعال انبساط مع الأحداث المرغوب فيها أو انقباض مع الأحداث غير المرغوب فيها.[٣]

فالانفعالات هي استجابة الفرد إلى مواقف من المحتمل أن لا يستطيع الفرد أداء السلوك المرغوب فيه مثل ما يحدث في انفعال الخوف والغضب، وقد يرتبط الانفعال بإشباع حاجة أو رغبة أو عاطفة ومنها ما يكون صفة إيجابية مريحة، ومنها ما يكون صفة سلبية مؤلمة.[٤]

بعض الآيات الواردة في القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم إلى مواقف انفعالية كثيرة، منها ما ورد في قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فتاه والعبد الصالح، والتي وردت في سورة الكهف والتي شملت المواقف الانفعالية الآتية:

---

(١) سميح الزين. مرجع سابق، ص ١٤١

(٢) زكريا احمد الشربيني وأخر. السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ص ٢٠٥

(٣) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ١٢٣

(٤) زكريا الشربيني. مرجع سابق، ص ٢٠٦

الموقف الأول: في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف:٦٣]

فالآية الكريمة تشير إلى مواقف انفعال من سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عند عودته إلى المكان الذي فقد فيه فتاه الحوت، ووجد فيه العبد الصالح وطلب منه الصحبة وفيه اخبر العبد الصالح موسى عليه السلام انه لن يستطيع صبرا، وأبدى موسى عليه الصلاة والسلام الاستعداد التام لان يكون صابرا فاشترط عليه العبد الصالح أن لا يسأل عن خبر حتى يبت له فيه.

الموقف الثاني: في قوله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [الكهف: من الآية٧١]أثار موقف خرق السفينة في نفس موسى عليه الصلاة والسلام التعجب والاستغراب فأصحاب السفينة اركبوا موسى عليه السلام والعبد الصالح معهما دون اجر، فهل يكون جزاء هذا المعروف خرق السفينة ؟ فما كان منه عليه السلام إلا أن ينكر هذا الفعل ويحتج وما كان من الخضر إلا أن يذكره بشرطه عليه.

فطبيعة موسى عليه الصلاة والسلام انفعالية اندفاعية، كما تظهر تصرفاته في حياته، منذ أن وكز الرجل المصري فقتله في اندافاعه من اندفاعاته، وفي هذا الموقف لم يصبر موسى عليه السلام على فعلة الرجل، ولم يستطع الوفاء بوعده الذي قطعه على نفسه، وهي كذلك الطبيعة البشرية في أن تجد للتجربة العملية أثرا غير التصور النظري ولا تدرك الأمور إلا إذا ذاقها وجربها.[1]

الموقف الثالث: قوله تعالى ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٢٢٧٩

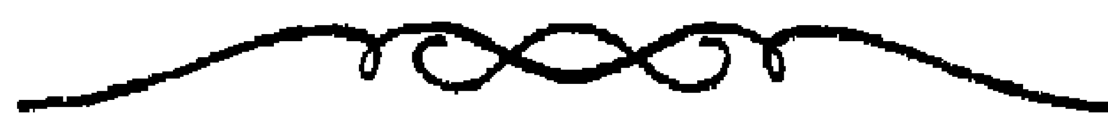
أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [الكهف:٧٤].

لم يملك موسى عليه السلام نفسه في هذا الموقف وانطلق محتجا وقد ملكه الاستغراب والاستهجان وهو يرى قتل طفل لم يبلغ الحلم حتى يكون مسؤولا عن أفعاله، وما كان من العبد الصالح إلا أن ذكره بشروطه، ويزيد في الشروط بان لا يسأل عن شيء أبدا وإلا الفراق.

فموسى عليه الصلاة والسلام ليس ناسيا ولا غافلا ولكنه قاصد أن ينكر هذا الفعل الذي لا يصبر على وقوعه ولا يتأول له أسباب، فالغلام برئ لم يرتكب ما يوجب القتل، بل لم يبلغ الحلم حتى يؤاخذ على ما يصدر منه.[(١)]

الموقف الرابع: يقول سبحانه وتعالى ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف:٧٧].

في هذا الموقف تكرر انفعالات موسى عليه الصلاة والسلام، فيقوم مستغربا مستنكرا من فعل العبد الصالح من بناء جدار في قرية لم تقم بواجب ضيافة شخصين جائعين. ويشعر موسى عليه السلام بالتناقض في الموقف، فما الذي يدفع الرجل ويجهد نفسه ويقيم جدارا في قرية لم يقدم أهلها لهما الطعام، وأبوا أن يستضيفوها، أفلا أقل من أن يطلب عليه الأجر.[(٢)]



(١) المرجع السابق. ٤ / ٢٢٨٠

(٢) المرجع السابق. ٤ / ٢٢٨٠

أمثلة على الانفعالات الواردة في القرآن الكريم

انفعال الحب الأبوي:

أشار القرآن الكريم إلى انفعال الحب عند الآباء للأبناء في قصص الأنبياء، فيظهر هذا الانفعال في: دعاء زكريا عليه الصلاة والسلام في أن يهبه الله غلاما، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝ ﴾ [مريم : ٤].

- فالأبناء مصدر متعة وسرور ومصدر قوة وجاه وعامل هام في استمرار دور الأب في الحياة وفي تمام ذكراه من بعده.[١]
- يظهر الحب الأبوي في قصة نوح عليه الصلاة والسلام، عندما نادى ابنه في عطف وحنان ومحبة مطالبا أياه بالركوب في السفينة، لينجو من الغرق.

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: من الآية ٤٢].

يقول صاحب الظلال: أن النبوة العامة لا تجعل الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل، وتؤكد الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر بأن لا مجال ولا مخابئ ولا حام ولا واق إلا من رحم الله[٢].

وظهر الحب الأبوي في القرآن الكريم في حب يعقوب لأبنه يوسف عليهما السلام قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ [يوسف:٨٤].

فهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع الذي ينفرد بهمه ووحيداً بمصابة،

---

(١) محمد عثمان نجاتي. القرآن..، مرجع سابق، ص ٨٠

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ١٨٧٨

لا تشاركه القلوب حوله فينفرد في معزل، يذب فيجيعه ولده، الذي لم ينسه ويكظم غيظه في المصاب حتى تبيض عيناه حزنًا وكدًا[1].

انفعال حب الذات والناس والجنس:

ومن انفعالات الحب الواردة في القرآن الكريم، انفعال حب الذات، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٨].

ومن مظاهر هذا الحب دعاء الإنسان لنفسه بالخير، قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت:٤٩].

وإذا مسه بلاء جزع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٠]، ومن الانفعالات حب لناس، وهو حب بحق مصلحة الفرد والجماعة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكذلك حب الجنس، وهو انفعال فطري في طبيعة الإنسان لا يقاومه ولا يكبته ويسير في طريقة المشروع قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

---

(١) المرجع السابق. ٤/ ٢٠٢٥.

انفعال الحزن

الحزن انفعال مضاد للفرح والسرور، ويحدث إذا فقد الإنسان شخصا عزيزا أو شيئا ذا قيمة، أو حلت كارثة أو فشل في تحقيق أمر هام... [١]

وأشار القرآن الكريم إلى هذا الحزن في قصة أم موسى عليه الصلاة والسلام بعد أن وضعته في الصندوق قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:١٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طـه: من الآية٤٠].

الآية الكريمة السابقة في قصة أم موسى عليه الصلاة والسلام، تدل على انتفاء حزنها بتحقيق سلامته من الهلاك والغرق ووصوله إلى مأوى حسن[٢].

ووصف القرآن الكريم حال الحزن التي أصابت الفقراء من المؤمنين الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطلبون الخروج للجهاد. قال تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾

[التوبة: ٩٢]

وبين القرآن الكريم حزن أبي بكر الصديق عندما كان الكفار يطردون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة من الآية ٤٠].

---

(١) محمد نجاتي. القرآن..، مرجع سابق، ص ٩١

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ١٦ / ١١٩

انفعال الخوف:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

ويقول سبحانه ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

فالآية الكريمة تبين انفعال الخوف الذي وصل إليه المؤمنون، فمن شدة الخوف اضطربت القلوب من الفزع والهلع ونتيجة لهذا الاضطراب تتجاوز القلوب مقارها وترتفع طالبة الخروج من الصدور فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق(١).

والمتأمل في القرآن الكريم يخلص إلى ثلاثة أنواع من الخوف ذكرت، هي الخوف من الله تعالى والخوف من الموت والخوف من الفقر.

والخوف من الله تعالى يدفع المسلم إلى التزام أوامر الله سبحانه وتعالى، واجتناب نواهيه بل ويجب على المؤمن أن يخاف من الله تعالى وهذه علامة من علامات الإيمان ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

والخوف من الموت شائع بين الناس فقد خاف سيدنا موسى عليه السلام أن يقتله فرعون قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [القصص: ٣٣].

والإيمان الصادق يؤدي إلى التخلص من خوف الموت لأن الإنسان يعلم

---

(١) المرجع السابق، ٢١ / ٢٠٥

أن أجله بيد الله سبحانه وتعالى.

أما الخوف من الفقر فمن المخاوف الشائعة بين الناس، فالفرد دائما يسمى لكسب رزقه وتحمل المشاق في ذلك فالخوف من الانفعالات الهامة في حياة الإنسان، يعين على اتقاء الأخطار التي تهدد حياته ويدفعه إلى اتقاء عذاب الله في الحياة الآخرة ويدفعه إلى تجنب المعاصي والتمسك بتقوى الله تعالى.

ومن ذلك وصف المؤمنين الذين يخافون الله تعالى بقوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦]

فلشدة خوف المؤمنين من الله سبحانه وتعالى، إنما يتركون النوم من أجل الصلاة وللفوز برضى الله سبحانه وتعالى.

وعندما يصيب الإنسان هذا الانفعال (الخوف) يتصف بعدد من الصفات التي أشار إليها القرآن الكريم:

الاضطراب الشديد الذي يهز الإنسان ويقعده عن التفكير، قال الله تعالى ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

- الذهول والوقوف عن التفكير والحركة، قال الله تعالى ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٠].
- التركيز في الخطر ومحاولة النجاة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾

[عبس:٣٣-٣٦]

- محاولة الهرب من الخطر القادم.

يقول سبحانه وتعالى في وصف خوف المنافقين ورغبتهم في الهرب ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [التوبة: ٥٦]

٣ - انفعال الغضب

قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

فالآية الكريمة تبين أن انفعال الغضب كان في قول موسى وفعله، ومن فعله أنه أخذ يحرك برأس أخيه يجره إليه ويعنفه وإلقاء الألواح وهي حركة تدل على شدة الانفعال وهذه الألواح كانت تحمل كلمات الله سبحانه وتعالى،وهو لا يلقيها ألا وقد افقده الغضب زمام نفسه...[1].

٤ - انفعال الضحك

الضحك هو انبساط في الوجه مصحوب بزفير منقطع وصوت مسموع ناجم عن سرور في النفس.[2]

والضحك ضد البكاء، فينجم عن الضحك السرور والبكاء ينجم عن الحزن، قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم: ٤٣] فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد الضحك والبكاء ومباشرة الضحك تكون بفعل إرادي

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٣ / ١٣٧٤

(٢) سميح الزبن. مرجع سابق، ص ١٤٥

من الإنسان كما في قوله تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢].

وقال سبحانه ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠]

مظاهر الانفعالات في القرآن الكريم وكيف نسيطر عليها

مظاهر الانفعالات الواردة في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم إلى كثير من المظاهر التي يستدل بها على وجود الانفعال، ومن هذه المظاهر البهية والسرور لحصول ما ترغب فيه النفس والحزن والإعراض عند حصول مكروه لا ترضاه النفس.

١ - تصوير انفعال الفرح والسرور في القرآن

يقول الله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

[آل عمران: الآية ١٢٠]

يخاطب الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين فيقول: إن أصابكم ما يسركم من رخاء وخصب ونصرة وغنيمة ونحو ذلك ساء ذلك المنافقين الذين يخفون الكفر ويبدون لكم الإيمان. وإن أصابكم ما يضركم من شدة وجدب وهزيمة وأمثال ذلك سرتهم فبين الله بذلك فرط عداوة المنافقين للمؤمنين، حيث يسؤهم ما نال المؤمنين من الخير ويفرحون بما يصيبهم من الشدة. ومع ذلك إن صبرتم أيها المؤمنون - على أذاهم واتقيتم الله في أقوالكم وأعمالكم لا يضر مكرهم وكيدهم،

وعبر بالمس في الحسنه وبالإصلبه في السيئه للدلالة على أن مجرد مس الحسنة يحصل به المساءة ولا يفرحون إلا بإصابة السيئه. ومن ثم فإن من كانت هذه حالته لم يكن أهلاً لأن يتخذ بطانة (١) أو صديقاً وعلى ذلك فالفرح المزكور في الآيه الكريمه من قبل الفرح المذموم، والذى ينم عن شخصية وقلوب المنافقين المفعمه بالغيظ والحقد والحسد تجاه المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾

[آل عمران: الآية١٧٠]

والحديث في هذه الآية الكريمة عن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله حيث يصف الله تعالى بعض ما هم فيه من سعادة وفرح. فهم منعمون في الجنة فرحين بما هم فيه من النعمة والغبطة ويستبشرون بإخونهم المجاهدين الذين لم يموتوا في الجهاد بما سيكونون عليه بعد الموت إن استشهدوا فهم لذلك فرحون مستبشرون ولا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا لأنهم في جنات النعيم.

يقول سيد قطب رحمه الله. في قوله تعالى ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾: فهم يستقبلون رزق الله بالفرح، لأنهم يدركون أنه من فضله عليهم فهو دليل رضاه وهم قتلوا في سبيل الله. فأى شيء يفرحهم إذن أكثر من رزقه الذي يتمثل في رضاه وقوله ﴿ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ أي ويسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهاد ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم.

وعلى ذلك فالفرح في الآية من الفرح المحمود الذي يرغب كل مؤمن أن يرزقه الله إياه ليسعد السعادة الحقيقية في حياته الأبدية التي لا موت فيها ولا فناء.

وقال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٨].

قال ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب سألهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه. وقد ذكر ابن كثير والرازى عدة روايات غير ما رواه بن عباس لايتسع المقام لذكرها هنا

والمعنى: لاتظن يا محمد الذين يفرحون بما أتو من اخفاء أمرك عن الناس، ويحبون أن يحمدهم الناس على تمسكهم بالحق وهم على ضلال، فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله. بل لهم عذاب مؤلم يوم القيامة.

وعلى هذا فالفرح المذكور في الأية من قبل الفرح المذموم.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾

[الأنعام: آية ٤٤]

وهذه الأية في شأن الأمم السابقة على أمة محمد ﷺ وما كان من أمرهم مع رسلهم حيث جائتهم الرسل بالآيات البينات والعظات فكذبوهم وتركوا ما وعظوا به ففتح الله عليهم أبواب كل شيء من النعم الخيرات استدراجاً لهم. يقول القرطبى: والتقدير عند أهل العربيه ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فلما فرحوا بذلك النعيم وازدادوا بطراً أخذهم الله بعذابه فجأة فإذا هم يائسون قانطون من كل خير

وروى عن عقبة بن عامر عن النبب ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على مما حبه على ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ .....﴾ إلى آخر الآية.

ومن ثم نجد أن الفرح والسرور هنا من قبل الفرح المذموم الذي لا يدرى صاحبه ما يفعل به من عذاب الله بعسره. نعوذ بالله منه ونسأله السلامة.

وقال تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٠].

وفي هذه الآية يكشف الله تعالى لرسوله ﷺ خبايا المنافقين وسرائرهم السيئة تجاهه. بتصوير انفعالاتهم، فيقول جل وعلا: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ أي إن تصبك في بعض الغزوات حسنه سواء أكانت ظفراً أم غنيمة، يسؤهم ذلك ويحزنهم ﴿ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي وإن تصبك مصيبة من نكبة وشدة، أو هزيمة ومكروه يفرحوا به ويقولوا: قد احتطنا لأنفسنا وأخذنا الحذر والتيقظ فلم نخرج للقتال من قبل أن يحل بنا البلاء ﴿ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ أي وينصرفوا عن مجتمعهم وهم فرحون مسرورون.

وقال القرطبي في قوله (يتولوا) أي يتولون عن الإيمان وهم فرحون أي معجبون بذلك.

* وعقب هذه الآية أمر الله تعالى رسوله بأن يقول لهؤلاء المنافقين لن ينالنا في ديننا من الخير أو الشر إلا ما قدره الله علينا فنحن راضون بقضاء الله لا نغتر ولا نجزع... فإن الله وحده المتولى لجميع أمورنا وعليه وحده يعتمد المؤمنون الصادقون.

وقال الله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ

أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: الآية ٨١].

ففي هذه الآية يقول تعالى ذاماً للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وفرحوا بقعودهم بعد خروجهم ﴿ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ ﴾ معه ﴿ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ ﴾ اي بعضهم لبعض ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ﴾ وذلك أن الخرج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهذا قالوا ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ﴾.

قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ التي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ مما فررتم منه من الحر بل أشد حراً من النار كما قال الإمام أحمد فيما رواه عن أبى هريرة: أن النبي ﷺ قال «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد».

والمعنى كما يقول المفسرون: كيف تفرون أيها المنافقون من هذا الحر اليسير ونار جهنم التي ستدخلونها خالدين فيها أبداً أشد حراً مما فررتم منه ؟ وهو حر غير متناه أبداً الآبدين ودهر الداهرين. ﴿ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ أي لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ليتقوا به حر جهنم الذي هو أضعاف هذا ولكنهم كما قال المثل العربي * كالمستجير من من الرمضاء بالنار *

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ

مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: آية ٢٢].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أي هو تعالى الذي يحملكم في البر على الدواب، وفي البحر على السفن التي تسير على وجه الماء والخطاب للناس جميعاً. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ أي حتى إذا كنتم في البحر على ظهور هذه السفن ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ فيه التفات من الخطاب للغيبه والمراد جرين بهم بالريح اللينه الطرية التي تسير السفن ﴿ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ أي فرح الركاب بتلك الريح الطيبة ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾، أي وفجأة جائتها الريح الشديدة العاصفة المدمرة ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي وأحاطت بهم أمواج البحر من كل جهة ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أي أيقنوا بالهلاك ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي أخلصوا الدعاء لله وتركوا ما كانوا يعبدون.

وقال أبو السعود في قوله ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ يمكن أن يكون بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم أو استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ من غير أن يشركوا به شيئاً من آلهتهم لا مخصصين الدعاء به تعالى فقط بل للعبادة أيضاً فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا ﴾ اللام الموطئة للقسم أي قائلين والله لئن انجيتنا (من هذه) الورطة ﴿ لَنَكُونَنَّ ﴾ البتة بعد ذلك أبداً ﴿ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ لنعمك التي جملتها هذه النعمة المسئولة.

فالفرح في هذه الآيه من قبل الفرح بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى ولكن هذا الفرح يستوجب الشكر والطاعه لله حتى تدوم نعم الله على عباده.

ويظهر هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[الأنفال: ٩، ١٠]

فالآية الكريمة تبين أن المسلمين يطلبون من الله الغوث والنصر على المشركين، واستجاب الله سبحانه وتعالى الدعاء مما أثار انفعال السرور والبهجة والاطمئنان على مستقبل الإسلام كما أثارت انفعال الشجاعة والأقدام في أرض المعركة.

٢ - تصوير انفعال الحزن في القرآن الكريم:

ويظهر هذا التصوير في عدة آيات كريمة في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨].

فقد أشارت الآية الكريمة إلى انفعال الهم والحزن نتيجة تبشير الفرد بالأنثى، وظهر هذا الانفعال بقوله ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾.

فإذا اخبر أحدهم بولادة الأنثى صار وجهه متغيرا من الغم والحزن وهو كناية عن الغم والحزن وليس يريد السواد، وهو مملوء غيظا وغما.(١)

٣ - تلبس الانفعالات بالتغيرات الجسدية: (٢)

اضطراب شديد وكثرة تدفق الدم في القلب، ويدل على ذلك قوله تعالى

---

(١) محمد الصابوني. مرجع سابق، ٢ / ١٣١

(٢) سميح الزبن. مرجع سابق، ص ١٤٣

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

أ - اتساع حدقة العين وتعطيل الفكر

ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤١، ٤٢].

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٧].

ج - اختلاف حركات اليدين

قال تعالى ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٢].

د - الشعور بالقشعريرة

وهو انتصاب الشعر الموجود على سطح الجلد، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣].

كيف نسيطر على الانفعالات ؟

سبق القرآن الكريم العلوم الطبية والنفسية الحديثة في حث الناس وتوجيههم للسيطرة على انفعالاتهم والتحكم بها، لما لها من فوائد كثيرة تعود على الشخص نفسه وعلى محيطه.(١) وفيما يأتي مثال تطبيقي ورد في القرآن الكريم في حث المسلمين للسيطرة على انفعالاتهم وهذا الانفعال هو انفعال الحب.

الحث على التحكم في الحب للأهل والأبناء والأوطان حتى لا ينسينا هذا الحب، حبنا لله سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤، ١٥].

١) يقول صاحب الظلال (.... إن هذا يشير إلى حقيقة عميقة في الحياة البشرية، ويمس وشائج متشابكة دقيقة في التركيب العاطفي وفي ملابسات الحياة. فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله، كما أنهم قد يكونون دافعا للتقصير في تبعات الإيمان... فاقتضت هذه الحال المعقدة المتشابكة، التحذير من الله، لإثارة اليقظة في قلوب الذين آمنوا والحذر من تسلسل المشاعر وحفظ هذه المؤثرات)(٢).

٢) حب الله سبحانه وتعالى مقدم على أي حب

قال تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ

---

(١) محمد نجاتي. مرجع سابق، ص ١٠٣

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٥٩٠

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢].

أن من إيحاء الآية الكريمة أن في الجماعة المسلمة من تشده، أواصر الدم والقرابة، فجاءت الآية الكريمة تعالج النفوس وتضع ميزان الإيمان الحازم والمفاضلة القاطعة.[1]

٣ - تقديم النماذج

قدم القرآن الكريم نموذجا بشريا واقعيا في شخص سيطر على انفعالاته على الرغم من حبه لأهله وترجيح كفة حب الله تعالى على حب الأهل، وهو رسول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسلم.

قال تعالى ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

التحرير والتنوير - (ج ١٥ / ص ٣٢)

والمعنى: قد كانَ لكم إبراهيمُ والذين معه أسوةً في حين قولهم لقومهم.

(١) المرجع السابق. ٦ / ٣٥١٦

فليس قوله: ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ من قبيل التجريد، لأن الأسوة هنا هي قول إبراهيم والذين معه لا أنفسهم.كما يقول ابن عاشور.

و ﴿ بُرَءَٰٓؤُاْ ﴾ بهمزتين بوزن فُعَلاء جَمْع بريء مثل كَريم وكُرماء.

وبريء فعيل بمعنى فاعل من بَرِىء من شيء إذا خَلاَ منه سواءً بعد ملابسته أو بدون ملابسة.

والمراد هنا التبرؤ من مخالطتهم وملابستهم. وعطف عليه ﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي من الأصنام التي تعبدونها من دون الله والمراد بُرَءآء من عبادتها.

وجملة ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ وما عطف عليها بيان لمعنى جملة ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ ﴾.

وضمير ﴿ بِكُمْ ﴾ عائد إلى مجموع المخاطبين من قومهم مع ما يعبدونه من دون الله، ويفسَّر الكفرُ بما يناسب المعطوف عليه والمعطوف، أي كفرنا بجميعكم فكفرهم بالقوم غير كفرهم بما يعبده قومهم.

وعُطف عليه ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾ وبدا معناه: ظهر ونشأ، أي أحدثنا معكم العداوة ظاهرةً لا مواربة فيها، أي ليست عداوة في القلب خاصة بل هي عداوة واضحة علانية بالقول والقلب. وهو أقصى ما يستطيعه أمثالهم من درجات تغيير المنكر وهو التغيير باللسان إذ ليسوا بمستطيعين تغيير ما عليه قومهم باليَد لقلتهم وضعفهم بين قومهم.

و ﴿ ٱلْعَدَٰوَةُ ﴾ المعاملة بالسوء والاعتداء.

و ﴿ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾: نفرة النفس، والكراهيةُ وقد تطلق إحداهما في موضع الأخرى إذا افترقتا، فذِكرهما معاً هنا مقصود به حصول الحالتين في أنفسهم:

حالة المعاملة بالعدوان، وحالة النفرة والكراهية، أي نُسيءُ معاملتكم ونُضمر لكم الكراهية حتى تؤمنوا بالله وحده دون إشراك.

والمراد بقولهم هذا لقومهم أنهم قالوه مقال الصادق في قوله، فالائتساء بهم في ذلك القول والعمل بما يترجم عليه القول مما في النفوس، فالمؤتَسَى به أنهم كاشفوا قومهم بالمنافرة، وصرحوا لهم بالبغضاء لأجل كفرهم بالله ولم يصانعوهم ويغضُّوا عن كفرهم لاكتساب مودتهم كما فعل الموبخ بهذه الآية.

﴿ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن ﴾

قال ابن عاشور:

الأظهر أن هذه الجملة معترضة بين جمل حكاية مقال إبراهيم والذين معه وجملة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الممتحنة: ٦]، والاستثناء منقطع إذ ليس هذا القول من جنس قولهم: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ ﴾ الخ، فإن قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك رفقٌ بأبيه وهو يغاير التبرُّؤ منه، فكان الاستثناء في معنى الاستدراك عن قوله: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ ﴾ الشامل لمقالة إبراهيم معهم لاختلاف جنسي القولين.

قال في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ في سورة [الحجر: ٥٨، ٥٩]. أنه استثناء منقطع من قوم لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلَف لذلك الجنسان.

مفهوم العواطف والعادات في ضوء القرآن:

مفهوم العواطف:

مادة عطف لها معانٍ كثيرةٌ تدور أغلبها نحو الميل والانحناء لفعل شيء ما، وتأتي بمعنى الشفقة والقرابة والولاء، وغير ذلك من المعاني، كميل الإنسان إلى شخص آخر أو إلى فعلٍ معين[1]. ومادة عطف جاءت في القرآن الكريم مرة واحدة يقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٩] والعطف بمعنى معرضا عن الحق لأويا عنقه كفرا ومستكبرا وهي عبارة عن الكبر والخيلاء[2].

الآيات الدالة على العواطف في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم ألفاظاً تدل على رغبة النفس وميلها باتجاه موضوع أو شخص، ومن هذه الألفاظ حبب وكره.

يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

فالآية الكريمة تدل على عاطفتين هما:

الأولى في قوله تعالى ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ والعاطفة هي الحب المرتبط بالإيمان فالإيمان يثير في النفس الانفعالات ومنها الشعور بالأمن والثقة والصدق وغير ذلك من الانفعالات السارة، وما يدل على عاطفة

---

(١) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ٢٩٩

(٢) محمد الصابوني. مرجع سابق، ٢/ ٢٨٢.

الحب قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤]، فالآية الكريمة تثير عواطف الإنسان المحببة إلى نفسه وبدأت هذه الأمور بذكر النساء ثم الولد وقدم الولد على حب المال لان عاطفته أكثر ثم محبة المال وغيرها من الأنعام.

الثانية: كراهية الكفر والفسوق والعصيان في قوله تعالى ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ﴾ فعاطفة الكراهة تثير مجموعة من الانفعالات منها الخوف والفزع والاضطراب والحيرة ومن الآيات الدالة على عواطف الكراهة قوله تعالى ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال: ٨] وقوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

وأشار القرآن الكريم إلى العواطف التي تكون بشكل جماعي في قوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالآية تشير إلى عاطفة التراحم بين المؤمنين بعضهم بعضا فهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم على أساس العقيدة وحدها، يشدون على الأعداء ويلينون لإخوانهم المسلمين.(١)

بين القرآن الكريم أن العواطف الإيجابية يجب أن تكون موجهة للمؤمنين

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٣٣٢

وليس للكفار ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١].

فالآية الكريمة تشير إلى أن عاطفة الولاية تبنى على الوفاق والوئام والصلة بالمسلمين ولا تكون هذه العواطف مع الكفار لبعد الأخلاق الدينية عنهم.(١)

فأساس العاطفة بين المسلمين الإيمان، يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

فعاطفة الإيمان أقوى العواطف الإنسانية التي تؤلف بين المسلمين وأن اختلفت أوطانهم وألسنتهم.

ويقي الإشارة إلى أن القرآن الكريم أشار إلى إمكانية إبدال العواطف المتضادة مع بعضها البعض وذلك بإحلال عواطف إيجابية مكان العواطف السلبية، قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٥ / ١٢٩

العادات في القرآن الكريم:

العادة: تكرير فعل الشيء الواحد مراراً وتكراراً وزماناً طويلا في أوقات متقاربة[١]. فتكرر ورود مادة «عود» في القرآن الكريم بصيغ مختلفة أغلبها على المادة الشيء وتكراره على هيئته السابقة[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

وتتنوع العادات الواردة في القرآن الكريم فمنها العادات المادية مثل الشرب وارتداء الملابس والعادات النفسية والعقلية مثل أعمال الفكر والدقة والنظام والعادات الاجتماعية مثل آداب الاستئذان..

مراحل تكوين العادة:

تمر العادة التي يراد التخلي عنها بمرحلتين

المرحلة الأولى: التخلية وهي ترك العادة غير المرغوب فيها.

المرحلة الثانية: بناء عادة جديدة مرغوب فيها.

ويقصد بالتخلية ترك العادة وعدم ممارستها، وذلك باتباع عدة خطوات منها:

- كراهية العادة والنفور منها ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨]

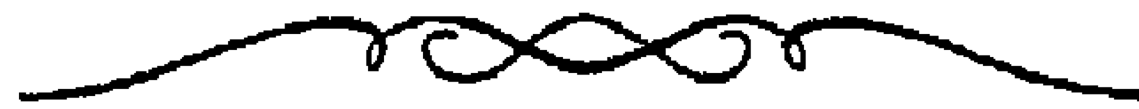
(١) عبد الكريك العثمان. مرجع سابق، ٥/ ١٢٩.

(٢) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ٣٣٤.

- الندم على ممارسة العادة السابقة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزُّمر:٥٦] هجر العادة، قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النَّازعات: ٤٠، ٤١].

أما التحليلية فهي بناء عادة جديدة مرغوب فيها، وتكون باتباع الخطوات الآتية:

المجاهدة، ويقصد بها تكلف فعل الأمر ليثبت عند الإنسان يقول سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]



الفصل السابع

التذكر، النسيان، الحيل اللاشعورية، في القرآن الكريم

التذكر في القرآن الكريم

النسيان في القرآن الكريم

الحيل اللاشعورية في القرآن الكريم

التذكر في القرآن الكريم

حث القرآن الكريم الإنسان في كثير من آياته على تذكر الله سبحانه وتعالى، وتذكر ما جاء به المرسلون، وترددت عبارات في القرآن الكريم ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿عَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ودلت كثير من الآيات الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء والرسل ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليذكر الناس بعقيدة التوحيد والبعث والحساب وبما غفلوه من الأحكام الشرعية.[1] قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

والتذكر في الآية الكريمة هو النظر في أدلة صدق الرسول عليه الصلاة والسلام والعمل على إتباعه، وخص التذكر بأولي الألباب تنزيها لهم عن غيرهم مما لا عقول لهم.[2]

ويدل على المعاني السابقة قوله تعالى ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥]، فالآية الكريمة تأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يبلغ رسالة الله سبحانه وتعالى فالذي يتذكر هو من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده[3].

والتذكر في القرآن لا يقف عند الحد السابق، بل يتعدى إلى الحكم علي المواقف بالحل والتحريم والنتائج المترتبة عليها في الدنيا والآخرة، فهو ينظر إلى السلوك ويتفحصه والتذكر بهذا المعنى يعين المسلم على السلوك القويم.

---

(١) محمد عثمان نجاتي.القرآن..، مرجع سابق، ص ١٨٨

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ١٢ / ٢٧٤

(٣) ابن كثير. مرجع سابق، ٤ / ٢٣٢

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر:١٨].

فأشارت الآية الكريمة إلى النسيان وتحث في الحقيقة على التذكر، فالذي ينسى الله سبحانه وتعالى يهيم في الحياة بلا رابطة ولا أفق وبلا هدف، وهذا نسيان لإنسانيته، ونسيان الله ينشأ عنه نسيان المخلوق لنفسه فلا يدخر لها زادا في الحياة الطويلة الباقية.[١].وأشار القرآن الكريم إلى عدة أنواع من التذكر منها ابسط أنواع التذكر ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ [البقرة:٢٠٠]، فالآية الكريمة تبين حالة تذكر بسيطة وهي الالتزام بذكر الله سبحانه وتعالى ذكرا كثيرا بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج.

وأشار القرآن الكريم إلى نوع من التذكر في صورة مركبة تشمل عدة مجالات يشارك فيها العقل والقلب[٢]. ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥] فالمتأمل في الآية الكريمة يخلص إلى أن عملية التذكر تشمل جوانب عدة، فهؤلاء الذين أقدموا على فعل محرم تذكروا الله سبحانه وتعالى وتعدى هذا التذكر إلى عمل القلب الذي استحضر عظمة الله وقدرته، وكذلك تذكروا رحمته وتذكروا

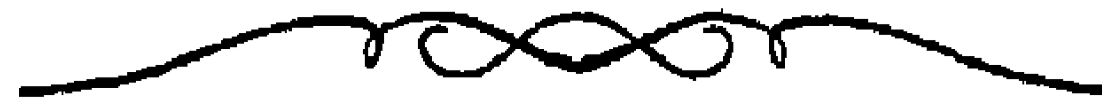
(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٥٣١

(٢) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ١٠٥

التوبة وشروطها.

يقول صاحب التحرير والتنوير في قوله ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ ذكر القلب وهو ذكر ما يجب لله على عبده، وما أوصاه به، وهو الذي يتفرع عنه طلب المغفرة ؛ وأما ذكر اللسان فلا يترتب عليه ذلك. [١]ومن الآيات التي تدل على التذكر قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠١]، فالآية الكريمة تشير إلى الذين اتصفوا بتقوى الله، إذا أصابهم الشيطان بوسوسته وحام حولهم بمواجهته تذكروا عقاب الله وثوابه، فإذا هم يبصرون بنور البصيرة ويتخلصون من وسواس الشيطان.[٢]

وبين القرآن الكريم أن عدم التذكر والإعراض عن ذكر الله لا ينشأ عنه إلا الشقاء في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].



(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٣ / ٢٢٣

(٢) محمد الصابوني. مرجع سابق، ١ / ٤٨٩

النسيان في القرآن الكريم

ورد النسيان في كثير من الآيات الكريمة وبمعاني مختلفة منها[(١)] :

١) النسيان العادي الذي يتعرض له الإنسان نتيجة تراكم المعلومات وتداخلها، وهو نسيان يطرأ على الحداث وأسماء الأشخاص والمعلومات المختلفة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذا النوع من النسيان في قوله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦، ٧]

فالآية الكريمة تخاطب سيدنا محمد ﷺ سيحفظه القرآن الكريم في صدره فلا ينساه ولكن ما أراد نسخه فإنك تنساه[(٢)].

٢) النسيان بمعنى السهو، كأن ينسى الإنسان حاجتا في مكان ما أو يريد أن يتكلم مع شخص في أمور شتى فتتذكر بعضها وينسى البعض الآخر، وورد هذا في قصة سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣].

فعندما طلب موسى عليه السلام من غلامه الفداء قص عليه ما حدث للحوت وقال له أن الشيطان أنساني أن أخبرك عن قصة الحوت بمعنى سها.[(٣)]

---

(١) البهي الخولي. آدم عليه السلام «فلسفة تقويم الإنسان وخلافته»، ط٣، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٤م، ص١٨٢ – ١٨٤.

(٢) الصابوني. مرجع سابق،٣/ ٥٤٩.

(٣) المرجع السابق. ٢ / ١٩٨

٣) النسيان بمعنى ذهاب الاهتمام بالأمر، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧].

ومعنى نسوا الله أي تركوا طاعته لذهاب اهتمامهم بطاعة أوامره سبحانه وتعالى ونسيهم أي صرف عنهم فضله إلى نفوسهم.

فالآية الكريمة تحدثت عن المنافقين الذين هم متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان فهم تركوا طاعة الله فتركهم من رحمته وفضله وجعلهم كالمنسيين.[1]

وثمة آيات كثيرة تدل على مثل هذا النوع من النسيان منها قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٩].

وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه:١١٥].

والشيطان له دور كبير في التأثير على الإنسان ليجعله يسهو أحيانا ويغفل عن ذكر الله أحيانا أخرى ويهمل في إطاعة أوامره.

كيف نعالج النسيان:

١) أشار القرآن الكريم إلى النسيان الناشئ عن غفلة القلب، وكيفية علاجه، ويمكن الإفادة من علاج النسيان الوارد في القرآن الكريم في علاج نسيان المعلومات والأفكار، أما علاج النسيان الناشئ عن غفلة القلب فيمكن علاجه بذكر الله سبحانه وتعالى ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف:٢٤].

---

(١) المرجع السابق. ١ / ٥٤٦

٢) الثناء على من يذكرون الله سبحانه وتعالى ووضعهم الله تعالى بأنهم أولو الألباب قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران].

٣) المحافظة على ذكره سبحانه وتعالى في كل الأوقات في الليل والنهار، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]

ويمكن الاستفادة من معالجة من يغفل قلبه عن ذكر الله سبحانه وتعالى في علاج نسيان المعلومات والأفكار التي يتعلمها الناس بالمحافظة على تكرار المعلومات بشكل دائم وبانتظام.

الحيل اللاشعورية في القرآن الكريم

يميل الإنسان إلى إشباع دوافعه للوصول إلى حالة من التوازن النفسي والصحة النفسية ولكن الظروف المحيطة بالإنسان تحول دون إشباع هذه الدوافع، فيميل الإنسان إلى كبتها في اللاشعور وتناسيها وتجاهلها، ويبدأ هذا الكبت من مراحل الطفولة للإنسان.

واللاشعور «هو المنطقة التي لا تقع ضمنها الخبرات الواقعية الحسية»[1] ويمكن إطلاق اللاشعور على الكبت وهو ميل الإنسان دون إرادة منه إلى

---

(١) التل. مرجع سابق، ص ١٧١.

التخلص من كل ما يؤلمه ويؤذيه، أي أن العقل يبعد عن حياتنا الشعورية ما يسبب لنا الضيق والقلق والاضطراب وكل ما يمس احترامنا لأنفسنا بطريقة آلية لاشعورية وهذه العملية يطلق عليها علماء النفس الكبت[(١)].

سلوكيات تظهر على الإنسان من اللاشعور:

يسلك الإنسان بعض السلوكيات والتي تظهر عليه بسبب الدوافع اللاشعورية ومنها[(٢)]

١ - السلوكيات الكلامية:

فأشار القرآن الكريم إلى السلوكيات الكلامية بقوله تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ﴾ [المائدة:من الآية ٨٩].

فالآية الكريمة نزلت في مواجهة حالة من الامتناع عن المباح وتواجه كذلك كل من حلف على الامتناع عن خير أو إلى الإقدام على شر فالآية تبين أن الله لا يؤاخذ بأيمان اللغو التي ينطق بها اللسان دون أن يعقد لها القلب نية وقصد[(٣)].

٢ - السلوكات العقلية الخاطئة:

وهذه السلوكات بينت مصادرها السنة النبوية المطهرة بقوله عليه الصلاة والسلام «رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن المعتوه حتى يبرأ».

---

(١) محمود عبد الحليم حامد. قراءات في علم النفس، جدة: دار الشروق، ١٩٨٢م، ص١٥٧.

(٢) شادية التل. مرجع سابق،ص ١٧٢

(٣) سيد قطب. مرجع سابق، ٢ / ٩٧١

٣ - السلوكات الناشئة عن الخطأ والنسيان:

لقوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:من الآية٢٨٦]،

أنواع الحيل اللاشعورية في القرآن الكريم:

الحيل سلوك دفاعي يلجأ إليه الإنسان لوقاية نفسه من القلق الذي يمكن أن ينتابه إذا عرف دوافعه الحقيقية الكامنة في نفسه والذي يحاول إخفاءها.[١]

٤ - التبرير:

عملية دفاعية لا شعورية، يقصد منها الفرد تقديم تعليلات يبدو للعقل منها أنها منطقية ولكنها ليست في واقع الأمر هي الأسباب الحقيقية.[٢]

وهي تبرير للسلوك لإخفاء صفة القبول عليه، لان هذا السلوك في أصله مرفوض وغير مقبول.[٣] ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة١١ – ١٣]

فإذا قال المؤمنون للمنافقين لا تفسدوا في الأرض بعمل المعصية، قالوا نحن أناس مصلحون نسعى للخير والصلاح فلا يصح مخاطبتنا بذلك.[٤]

---

(١) محمد عثمان نجاتي. القرآن..، مرجع سابق،ص ٢٢٢

(٢) محمد عبد الحليم. مرجع سابق، ص ١٥٧

(٣) محمد نجاتي. القرآن..، مرجع سابق، ص ٢٢٣

(٤) الصابوني. مرجع سابق، ١ / ٣٦

٥ - الإسقاط:

حيله عقلية دفاعية لا شعورية يرمي الفرد غيره بصفاته فيصف الآخرين بما في نفسه من صفات غير محببة إليه[١] ويقصد بالإسقاط إسقاط المرء عيوبه على الآخر، فكثيرا ما نجد البخيل يصف الآخرين بسلوك البخل.

ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون٤].

فالمنافقون يبطنون العداء للمسلمين لذا يظنون أن كل نداء يرادون به، فهم في خوف ووجل من أن يهتك الله سترهم يكشف أسرارهم.[٢]

فالمنافقون يظنون أن المسلمين يريدوا البطش بهم وذلك نتيجة لما يضمرونه من شعور عدائي نحو المسلمين فيقومون بإسقاط الشعور العدائي عليهم.[٣]

ومما يدل على الإسقاط سلوك الغيبة والبهتان الذي حرمه الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات١٢]

فالآية الكريمة فيها حث على تجنب الظن لأنه إثم ويستحق صاحبه العقوبة، ونهى الإسلام عن التجسس والغيبة وذلك بان يذكر إنسان أخر بسوء في غيبه بما يكرهه ويصور هذا الفعل بصورة سيئة وقبيحة بأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان المسلم وهو ميت.[٤]

---

(١) محمد عبد الحليم. مرجع سابق، ص ١٥٨

(٢) الصابوني. مرجع سابق، ٣ / ٢٨٥

(٣) نجاتي. القرآن...، مرجع سابق، ص ٢٢٣

(٤) الصابوني. مرجع سابق، ٣ / ٢٣٦

٦ - تكوين ردّ فعل معاكس

حيلة عقلية دفاعية يتخذ فيها الفرد سلوكا مضادا لسلوك يريد إخفاءه، فيبدي الفرد كثيرا من المجالات والآداب والاهتمام في معاملة أحد الأشخاص كوسيلة دفاعية يخفي كرهه له وشعوره العدائي نحوه.[1]

فإظهار سلوك معاكس للسلوك الباطني صفة من صفات المنافقين بان يبطن الإنسان أمرا ويظهر عكسه.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة٢٠٤]، فالآيات الكريمة تخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتخبره أن هناك فريقا من الناس يعجبك لسانه وقوة بيانه ولكنه كذاب منافق شديد الخصومة يجادل بالباطل ويتظاهر بالدين والصلاح وإذا انصرف عنك عاث في الأرض فسادا[2].

٧ - التقمص

ميل الفرد وبطريقة لا شعورية إلى ادماج شخصيته أو ما جاء كاملا في شخصية فرد أخر وبذلك ينتقل شخصية مَن يحب ويعجب به، وثمة فرق بين التقمص والتقليد فالتقمص يكون بطريقة لا شعورية بينما التقليد يكون بطريقة شعورية بحتة.[3]

فأشار القرآن الكريم إلى التقليد، بحث المؤمنين على تقليد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أفعاله وأقواله لأنه القدوة والمثل الأعلى، وقد تأتي بعد

---

(١) نجاتي. القرآن...، مرجع سابق، ص ٢٢٤

(٢) الصابوني. مرجع سابق، ص ١ / ١٣٣

(٣) الزعبلاوي. مرجع سابق، ص ٢٤٩

هذه المرحلة التقمص. قال تعالى

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]



الفصل الثامن

الشخصية في القرآن الكريم

صراع الشخصية في القرآن الكريم

أنماط الشخصية في القرآن الكريم

بناء الشخصية في القرآن الكريم

صفات الشخصية في القرآن الكريم.

انحراف الشخصية في القرآن الكريم

تمهيد

وصف القرآن الكريم الشخصية الإنسانية وبين سماتها العامة التي تتميز بها عن غيرها من مخلوقات الله تعالى، وبين القرآن الكريم بعض أنماط الشخصية وفصل في كل نمط من الأنماط مبينا سماتها الرئيسية. ونجد في القرآن الكريم أيضا وصفا للشخصية السوية والشخصية غير السوية وصفا لكل من العوامل المكونة لكل من للسواء وعدم السواء في الشخصية. ولا تستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهما واضحا بدون أن نفهم حقيقة جميع العوامل المؤثرة في الشخصية.

فبين القرآن الكريم – كما أشرنا سابقا – مراحل خلق الإنسان وأنه يتكون من مادة وروح .قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩]

وبهذا يتميز الإنسان عن غيره من مخلوقات الله تعالى، فهو يشارك الحيوان في خصائص جسمية مثل حفظ الذات والبقاء ولكنه يتميز عن الحيوان بخصائص روحية ترفعه إلى مستويات عليا من الكمال الإنساني.

فروح الله سبحانه وتعالى تنقل هذا التكوين العضوي إلى ذلك الأفق الإنساني الكريم[١].

والروح كلمة جاءت في القرآن الكريم بعدة معان شرحها ابن القيم في كتابه «الروح» وشرحها عنه بتصرف البهي الخولي في كتابه آدم عليه السلام.[٢]

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٢١٣٨

(٢) البهي الخولي. مرجع سابق، ص ٢١-٢٤

صراع الشخصية في القرآن الكريم

الإنسان يحمل الصفات الطينية الحيوانية المتمثلة بالحاجات البدنية التي يجب إشباعها كما يحمل صفات الملائكة الممثلة بعبادة الله سبحانه وتعالى. وطاعته ومعرفته ويحدث بين هذين الجانبين من شخصية الإنسان صراع، فأحيانا تجذب الإنسان حاجاته إلبدنية وأحيانا أخرى تجذبه أشواقه الروحية، وأكد القرآن الكريم هذا الصراع بين الجانبين المادي والروحي في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

[النازعات: ٣٧ — ٤١]

فالطغيان في الآية الكريمة شامل لكل من تجاوز الحق والهدى ويشمل كل من آثر الحياة الدنيا واختارها على الآخرة فعمل لها وحدها من غير حساب... فاختلت كل الموازين في يده واختلت كل القيم في تقديره بل واختلت عنده قواعد السلوك والشعور في حياته.(١)

بعض صور الصراع الواردة في القران الكريم:

١) قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾

[القصص: ٨٠، ٨١]

فتمنى بعض الناس أن يكون لهم مال مثل مال قارون، ورد عليهم البعض

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٨١٨

أن ما عند الله خير وأبقى، فوقفت طائفة أمام فتنة الحياة موقف المبهور المتهاوي، والطائفة الأخرى تستعلي على هذا للمال بالإيمان والرجاء بما عند الله، وفي الآية الكريمة التقت قيمة المال وقيمة الإيمان بالميزان[١].

٢) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة:١١].

فالآية الكريمة صورت هذا الصراع بانخفاض عدد المسلمين من حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين سمعوا أنباء وصول القافلة.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب الجمعة إذا أقبلت عير من الشام تحمل طعاما فانتقل الناس إليها حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر رجلا أنا فيهم.[٢]

وثمة آيات كثيرة تشير إلى هذا الصراع، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون:٩].

وبعد أن أكد القرآن الكريم حقيقة الصراع في شخصية الإنسان، بين له الطريق الواضح والأمثل في معالجة هذا الصراع، وهو أن يقوم الإنسان بإشباع حاجاته البدنية في حدود الشرع وفي الوقت نفسه يشبع حاجاته الروحية.

قال تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

(١) المرجع السابق. ٥ / ٢٧١٣

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢٨ / ٢٠٤

مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٧].

وحفاظا على الجانب المادي في الإنسان ورعايته فقد حرم الله سبحانه وتعالى كل ما يسبب له الأضرار قال تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣]، ولتنمية الجانب الروحي في الإنسان فرض عليه ما تيسر من العبادات، قال تعالى ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المزمل:٢٠].

فعندما يتحقق التوازن في شخصية الإنسان – بإشباع حاجات الروح والجسد – تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الكاملة والتي تمثلت في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يعبد الله سبحانه وتعالى حق العبادة في صفاء وخشوع، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من البشر يشبع حاجاته البدنية في حدود ما شرع الله سبحانه وتعالى، لذا فشخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمثل شخصية الإنسان الكامل والشخصية النموذجية قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وعليه يمكن القول أن الشخصية السوية في القرآن الكريم هي الشخصية التي توازن بين حاجات البدن والروح وتشمل كل منها في حدود ما رسمه الشارع الكريم.

أنماط الشخصية في القرآن الكريم

صنف القرآن الكريم الشخصية الإنسانية إلى ثلاثة أنماط هي: الشخصية المؤمنة، والشخصية الكافرة والشخصية المنافقة، ومنطلق هذا التصنيف هو العقيدة الإسلامية.

وتحدث القرآن الكريم عن الأنماط الثلاثة في آيات وسور متعددة، فقد افرد لكل نمط سورة؛ سورة المؤمنون، وسورة الكافرون، وسورة المنافقون.

١ - الشخصية المؤمنة

وتتميز الشخصية المؤمنة بعدد من السمات والصفات ولعل من أهمها[1].

أ) الإيمان: وهو التصديق للواقع الناشئ عن دليل وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ب) العبادة: فالمسلم عابد لله سبحانه وتعالى، وخاضع ومنقاد ومستسلم لله وحده لا شريك له. قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١].

ج) الالتزام بالأخلاق الفاضلة: فالقرآن الكريم حث المسلم على الالتزام بالأخلاق الفاضلة والتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

والسمات التي وصفت بها الشخصية المؤمنة كثيرة جدا. والآيات التي تحدثت عن هذه الشخصية متعددة منها:

قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ

(١) محمد محمود. مرجع سابق، ص

لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ — ٩]

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

يقول ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة، ليس المؤمنون الكامل إيمانهم إلا أصحاب هذه الصفات والتي يعرف المتصف بها تحققها فيه من عدمه من عرض نفسه على حقيقة الصفة[1].

وأخيرًا يمكن القول أن هذه الشخصية مستويات، فليس جميع المؤمنين في مستوى واحد من التقوى والالتزام، وذكر القرآن الكريم ثلاث درجات للمؤمنين: الظالمين لانفسهم، والمقتصدين والسابقين بالخيرات. قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

فالظالم لنفسه هو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، والمقتصد هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات ومن المحتمل أن يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، والسابق للخيرات هو الفاعل للواجبات والمستحبات والتارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.[2]

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٩ / ١٥

(٢) ابن كثير. مرجع سابق، ٣ / ٥٥٤ — ٥٥٥

٢ - شخصية المنافق:

وهو من ضعاف الشخصية الذين لم يتخذوا موقف محدد من الإيمان قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨ – ١٠]

وهذا النمط من الشخصية يتمتع بالصفات والسمات الآتية [١]

أ) مرض القلب:قال تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:١٠].

ب) الخداع والرياء في أداء العبادات والتخاذل عنها.قال تعالى ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [البقرة: ٩].

ج) الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٢].

يقول سيد قطب في وصف هؤلاء أنهم لا يقفون عند حد الكذب بل يضيفون إليها السفه والادعاء، وذلك بادعائهم أنهم مصلحون، فهم يقولون هذا لأن الموازين مختلة في أيديهم، ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد اختلت سائر الموازين والقيم، فميزان الخير والصلاح والشر والفساد في

(١) عبد الكريم زيدان. أصول الدعوة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٣م

نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية.(١)

ومن الآيات التي تحدثت عن شخصية المنافق قوله تعالى ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧]، وقوله تعالى ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٤٤

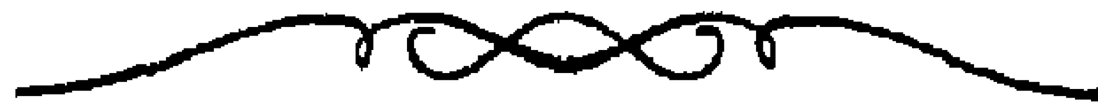
وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨ – ١٤٦].

٣ - شخصية الكافر

فصل القرآن الكريم في بيان شخصية الكافر، وهؤلاء لهم سمات رئيسة تتعلق بهم، فهم يعبدون من دون الله لا يضرهم ولا ينفعهم ويقطعون صلة الأرحام وينقضون العهد والميثاق ويكرهون المؤمنين ويحقدون عليهم بالإضافة إلى جمود التفكير والعجز عن الفهم.

ومن الآيات الكريمة الدالة على صفات الكافرين، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد:١٢].

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٦، ٧]



بناء الشخصية في القرآن الكريم

اعتنى القرآن الكريم ببناء شخصية الإنسان المسلم وتربيته التربية السليمة، وبين الطرائق والأساليب التي تساعد في بناء الشخصية. وضرب له الأمثلة التي تعينه على فهم ذاته وفهم ما حوله.

والقرآن الكريم في بناءه للشخصية، جمع بين التربيتين الدينية والدنيوية، حتى يتمكن الإنسان من ملائمة سلوكه بين الدين والدنيا ويكون هدفه الحياتين الدنيا والآخرة، فيتمتع بالدنيا ويفوز بالآخرة.

وبناء الشخصية من الأمور المكتسبة في الحياة، وان كان أصل وجوهر البناء موجود في القرآن الكريم. قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨].

وقال سبحانه ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٧].

وجاء بناء الشخصية في القرآن الكريم شاملا للبناء الاعتقادي، والعلمي، والروحي والإبداعي وفيما يأتي تفصيل لهذه الاتجاهات[(١)].

١- البناء العقدي للشخصية:

ربط القرآن الكريم العقيدة الإسلامية بسلوك الإنسان، فجعل الإيمان الراسخ هو الموجه للسلوك الإنساني، يقول سبحانه في وصف الذين أمنوا وسلوكهم النابع من الإيمان ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ

---

(١) بمقداد يالجن. مرجع سابق، ص ٢٥١- ٣٥٠

تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٣].

وحتى تبنى الشخصية بناء عقديا سليما، اتبع القرآن الكريم أساليب عدة منها:

أ) تكوين الرغبة في الاعتقاد قبل ذكر أدلة الاعتقاد، وتحدث القرآن الكريم عن أولئك النفر الذين لا يردون الإيمان لا لعدم الأدلة وانما لرغبتهم بعدم الإيمان قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام:١١١].

فالذي ينقص الذين لا يؤمنون ويلجون في الظلال ليس أنه لا توجد أمامهم أدلة وبراهين فالذي ينقصهم الرغبة في الإيمان فعطلوا فطرتهم وانطمس ضميرهم.[١]

ب) استخدم القرآن الكريم الأدلة البدهية للبناء العقدي

مثل الاستدلال بإرسال النبي عليه الصلاة والسلام للناس جميعا وليس لمجموعة خاصة من الناس قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا: ٢٨] ومن الأدلة قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨] فخلق الإنسان من نطفة اعجب من إحيائه وهو اعظم،

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٢ / ١١٧٠

والله سبحانه وتعالى قادر على أن يحيي ما هو اضعف من العظام.[١]

ج - تكوين عاطفة قوية دافعة للإيمان

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٢].

فالله سبحانه وتعالى الذي خلقني وهداني إلى طريق الرشاد، والذي يرزقني الطعام والشراب، وإذا أصابني مرض فانه لا يقدر على شفائي إلا الله تعالى· والذي يميتني إذا شاء ويحييني إذا أراد هو وحده المستحق للعبادة.

٢ - البناء العلمي للشخصية :

حث القرآن الكريم الإنسان على طلب العلم، وقرن طلب العلم بالإيمان، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:١١].

وجعل القرآن الكريم الباعث الحقيقي لطلب العلم هو نشره بين الناس، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

والعلماء لهم منزلة مختلفة عن الآخرين، قال تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢٣ / ٢٧٨

يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزُّمر:٩].

إن تربية الإنسان تربية علمية يحتاج من الأفراد والمؤسسات إلى جهد وبذل وتفكير واعمال عقل، وهذا ما يجب علينا أن تقوم به لمساعدة الأجيال بإكسابهم الشخصية العلمية الإسلامية التي تفكر وتستعمل عقلها في أوامر الله وفيما ينفع الناس.

ويتضمن البناء العلمي للشخصية الإبداع، فالله وصف نفسه بالإبداع قال تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧].

والإبداع هو الإنشاء على غير مثال سابق، فخلق السماوات إبداع وخلق آدم إبداع، وخلق نظام التناسل إبداع.(١)

فالقرآن الكريم يحث الإنسان على الإبداع في كافة المجالات، الجمال، والكلامي، والأخلاقي، والعلمي....

٣ - البناء الروحي (النفسي) للشخصية:

ويقوم البناء الروحي للشخصية على عدة أسس منها، عدم الإشراك بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

ويقوم هذا البناء على الإيمان، فالإيمان تأثير عظيم في النفس البشرية، فهو يزيد ثقة الإنسان بنفسه، ويزيد قوته على الاحتمال الأذى والصبر على تحمل المشاق الحياة، فالإيمان يبعث في النفس الطمأنينة وراحة البال ويشعر الإنسان بالشعور بالسعادة.

---

(١) المرجع السابق، ١ / ٦٦٨

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

ويقوم هذا البناء على تحلية النفس بالفضائل والأخلاق الحميدة، قال تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٣].

ولا بد من تكوين شعور لدى الناشئ بحاجته إلى الله سبحانه وتعالى باستمرار والعمل على ذكره سبحانه وتعالى.

٤- البناء الخلقي للشخصية:

يهدف القرآن الكريم إلى بناء إنسان رفيع الخلق، عف المشاعر نظيف السلوك، ولم يترك القرآن الكريم هذا البناء للمواعظ والنصائح أو عوامل الوراثة والبيئة.

ويقوم منهج البناء على ثلاثة مبادئ هي الإيمان الذي يعد الأساس الرفيع الذي تبني عليه الأخلاق، وهو الحارس للتنفيذ، ومن السور التي تحدثت عن الجانب الأخلاقي سورة النور التي جاءت سلسلة من الأخلاق يجب على المسلمين التزامها، قال تعالى ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور:١].

والمبدأ الثاني في البناء الخلقي للشخصية هو الحق، فكل ما خالف الحق غريب عن منهج الكون قال تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٣].

والمبدأ الثالث هو الثبات، فمنهج القرآن الكريم خالد مساير للزمن صالح للعصور، ولا بد أن يكون فيه عنصر الثبات حتى لا يكون خاضعا للتغير

والتبديل مع الهوى والشهوات.[1]

وقدم القرآن الكريم نموذج أخلاقي للإنسان، وهو شخص الرسول الكريم، قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

فالمتأمل في الآية الكريمة السابقة يدرك أهمية القدوة ودورها في التأثير على النفوس، وبيان ميل النفس البشرية إليها لما لها من تأثير بالغ وواضح في نفوس البشر.

لهذا جعل القرآن الكريم القدوة الدائمة للمسلمين في جميع مجالات حياتهم في شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو قدوة متجددة على مر الأجيال، وعرض القرآن الكريم للقدوة ليس على سبيل الإعجاب والتأمل وانما على سبيل تحققها في أنفسهم بقدر ما يستطيع كل فرد منهم.



(١) محمد شديد. منهج القرآن في التربية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص ١٤٦-١٥٢

صفات الشخصية في القرآن الكريم

وصف القرآن الكريم الشخصية الإنسانية بعدد من الصفات والسمات الإيجابية والسلبية. وهذه الصفات يتفاوت الناس فيها تفاوتا كبيرا. ومن الممكن أن يتصف الإنسان بصفات إيجابية وسلبية في آن واحد.

وعرض القرآن الكريم لصفات الشخصية الإيجابية والسلبية؛ دعوة له من اجل التخلص بقدر الإمكان من الصفات السلبية والعمل بوسع الطاقة لتنمية الصفات الإيجابية.

أ - الصفات الإيجابية في الشخصية الإنسانية

ورد القرآن الكريم مجموعة من الصفات الإيجابية للشخصية، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر.

١ - المساواة في وحدة الأصل:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

إن الحقائق الفطرية كبيرة وعميقة وثقيلة ولو ألقى الناس أسماعهم وقلوبهم لها لكانت كفيلة بإحداث تغيرات ضخمة في حياتهم، فهي تردهم إلى خالقهم الذي أنشأهم من الأرض، وهي توحي بأن البشرية صدرت عن إرادة واحدة.(١)

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٥٧٣ - ٥٧٤

٢ - الاحتفاء الإنسان وجعل الملائكة تسجد له وهو مخلوق مكرم

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩]

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠].

٣ - شخصية ذكية بالفطرة ومفكرة:

وهذا الذكاء يحتاج إلى تنمية لذا بعث الله سبحانه وتعالى الرسل وهذه الفطرة مؤمنة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

ومن أبواب العلم والمعرفة التي منحت للإنسان الحواس، قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨].

وما يدل على أن الإنسان يحمل فطرة مؤمنة قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

٤ - احترام حياة الإنسان وجعله متحملا للمسؤولية

الله سبحانه وتعالى منح الإنسان حصانة مهما كان جنسه ولونه ووصف الاعتداء على حياته بالإفساد في الأرض. قال تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة:٣٢].

وفي الوقت الذي احترم الإسلام حياة الإنسان جعله متحملا للمسؤولية وما يصدر عنه من أعمال، قال تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥].

٥ - قابليته للتعلم واستعداده للبيان

الإنسان عنده القابلية للتعلم قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٣١].

وعنده استعداد للبيان قال تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۞ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ١ – ٧].

فالإنسان ينطق ويعبر ويتفاهم ويتجاوب مع الآخرين... ونسي الإنسان بطول الألفة عظم هذه الهبة.(١)

---

(١) المرجع السابق، ٦ / ٣٤٤٦

ب - الصفات السلبية للشخصية

أورد القرآن الكريم مجموعة من الصفات السلبية للشخصية، حاثا الإنسان على الابتعاد عنها منها:

١ - شخصية متعجلة ومتسرعة

وقد تكون هذه وصفا لحالة تنتاب الإنسان قال تعالى ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

وحث الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عدم التعجل في قراءة القرآن، قال تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]

٢ - شخصية مجادلة

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي توضح هذه الصفة، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٤].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

٣ - شخصية ضعيفة

وهذه الصفة يشعر بها الإنسان في قرارة نفسه، ويشعر بضعفه بشتى مراحل حياته. فالمتأمل في القرآن الكريم يجد حديثا عن ضعف الإنسان من

الميلاد حتى الممات فهو يحتاج إلى من يعاونه في حاجاته ورغباته، وهو ضعيف أمام شهواته.

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٢٧].

٤ - أورد القرآن الكريم العديد من الصفات السلبية الأخرى، فهو كفور وقتور يطغى وهلوع وكنود:

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ — ٧].

وقال ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩ — ٢١].

وقال ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات:٦].



الفصل التاسع

التعلم في القرآن الكريم

تمهيد

مفهوم التعلم وتعلم آدم عليه السلام

أدوات التعلم في القرآن الكريم

طرائق التعلم في القرآن الكريم

مبادئ التعلم في القرآن الكريم

القرآن الكريم ونظريات التعلم

التمهيد

حث القرآن الكريم على التعلم وكرم العلم والعلماء، ووصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأنهم ورثة الأنبياء. قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، وزود الله سبحانه وتعالى الإنسان باستعدادات فطرية للتعلم واكتساب المعارف والعلوم والمهارات، إضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٣١].

فدلالة الآية الكريمة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم آدم اللغة وأسماء الأشياء لما لها من أهمية كبرى في حياته، وهذا هو السر الإلهي الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في الإنسان، وهو يتسلم مقاليد الخلافة. سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات وتسمية الأشياء والأشخاص. وهي ذات قيمة كبرى لحياة الإنسان على الأرض، فندرك أهميتها في حين تجد صعوبة تسمية الأسماء بالمسميات... أنها مشقة هائلة لا نتصور معها حياة، والحياة لا تمضي في طريقها لو لم يودع الله الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات[1].

ومما يدل على أهمية التعلم في القرآن الكريم أن أول الآيات التي نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحث على القراءة، وتشير إلى أن الله تعالى أوجد في طبيعة الإنسان القدرة على التعلم، وتعلم القراءة والكتابة قال تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ

---

(١) المرجع السابق، ١ / ٥٧

ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ – ٥].

وبين القرآن الكريم أن الإنسان يتميز عن غيره من المخلوقات بقدرته على تعلم اللغة واستخدامها[1] قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

ومما يدل على عناية الإسلام بالتعلم، أقر حق التعلم لذوي الاحتياجات الخاصة، ويثبت ذلك قوله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ [عبس١-٤].

بل بين القرآن الكريم أن المولود الذي يأتي إلى الدنيا لا يعلم شيئا، وعلينا القيام بواجب تعليمه قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨].



(١) نجاتي. القرآن...، مرجع سابق، ص ١٤٤

مفهوم التعلم وتعلم آدم عليه السلام

مفهوم التعلم:

التعلم هو القدرة على الإدراك بشرط توافر الدافعية الذاتية، ويمكن القول أن الاستعداد للتعلم أمر فطري، أما التعلم فعملية مكتسبة، تتفاوت من فرد لأخر، وهذا التفاوت يؤدي إلى تفاوت في سرعة التعلم[١].

وينظر إلى التعلم على انه يتفق مع المفهوم العام لحدوث السلوك، فالسلوك الإنساني قد يبدأ من غرائز الإنسان وحاجاته الفطرية آو المكتسبة أو بدافع من مشاعره ووجدانه وضميره ونيته أو بدافع من معتقداته ومبادئه وفلسفته في الحياة، فإذا اتفقت السلوكيات الظاهرة والباطنة للإنسان مع ما أمر به سبحانه وتعالى فتح الله عليه باب التعلم ورزقه خيرات العلم وأبعده عن شروره [٢] قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة:من الآية٢٨٢]

فالأمر بالتقوى لأنها ملاك الخير، وربطها بالعلم تذكير بنعمة الإسلام الذي أخرجهم من الجهل إلى العلم بالشريعة ونظام العالم ووعد بدوام ذلك[٣].

ويرى آخرون أن التعلم هو تطهير للنفس وتنمية لروح الخير وتزويد للعقل بالمعلومات وتأثير في الوجدان واستقامة في السلوك.[٤]

ومن المناسب الإشارة إلى أنواع التعلم والتي تعدد وجهات نظر الباحثين

---

(١) التل. مرجع سابق، ص ٢٠٥

(٢) علي مدكور. مرجع سابق، ص ٦٥

(٣) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢ / ٥٨٢

(٤) إسحاق الفرحان. نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، عمان، جمعية الدراسات والبحوث، ١٩٨٠م، ص ٦٥

في ذكر أنواع التعلم ويرى الباحث تصنيف السمالوطي أفضل التصنيفات لشموله وتكامله، فقد صنف التعلم إلى ستة أنواع[١]:

- **تعلم معرفي:** يستهدف إكساب الفرد مجموعة من المعلومات.
- **تعلم لفظي:** يستهدف إكساب الفرد مهارات لفظية مثل النطق الصحيح للحروف.
- **تعلم حركي:** يستهدف إكساب مجموعة من المهارات الحركية مثل تعلم قيادة السيارة أو السباحة.
- **تعلم اجتماعي:** يستهدف إكساب الفرد المهارات الاجتماعية في تعامله مع الآخرين.
- **تعلم عقلي:** يستهدف إكساب الفرد عادات عقلية مثل التفكير المنطقي السليم والتفكير في مخلوقات الله تعالى.
- **تعلم وجداني:** يستهدف إكساب الفرد العادات الانفعالية والاتجاهات والقيم والعواطف وضبط النفس.

ولحدوث التعلم لا بد من توافر مجموعة من الشروط[٢]

- **النضج:** وهو التغيرات الداخلية للكائن الحي والتي ترجع إلى تكوينه الفسيولوجي.
- **الممارسة:** وهو تكرار نمط سلوكي بدقة متناهية.
- **الدافعية:** وهي الطاقة الكامنة والمستمرة في الكائن الحي، والتي تدفعه ليسلك سلوكا معينا في البيئة التي يعيشها.

---

(١) السمالوطي. مرجع سابق، ص ١٤٠-١٤١

(٢) محمد محمود. مرجع سابق، ص ٢٣٣-٢٣٥

تعلم آدم عليه السلام:

بداية لا بد من تأكيد حقيقة أن أصل المعارف يعود إلى الله سبحانه وتعالى فهو الذي خلق وعلم وان الإنسان بما أعطي من معارف واستعدادات لا يتصرف بهذا وفق هواه، بل هو مخلوق مدين لله سبحانه وتعالى.

والسؤال الذي يطرح ما هي المعارف التي علمها الله تعالى للإنسان، وكيف علمه.... والخلاف ينبعث من فهم قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٣١]

فاختلف المفسرين في معنى الأسماء على أكثر من رأي، فهل المسميات هي الحقائق والصفات الدالة على الحقائق فقط أم أنها أسماء الأشياء فقط.

واعرض هنا بعض أراء المفسرين ثم اذكر خلاصة للآراء جميعها:

يرى صاحب الظلال أن لله سبحانه وتعالى علم آدم اللغة وأسماء الأشياء لما لها من أهمية كبرى في حياته، وهذا هو السر الإلهي الذي أودعه الله سبحانه وتعالى الإنسان.(١)

ويقول صاحب التحرير والتنوير (أن الأسماء التي علمها آدم هي ألفاظ تدل على ذوات الأشياء التي يحتاج الإنسان إلى التعبير عنها لحاجته إلى ندائها أو استحضارها... أن المراد بالأسماء ابتداء أسماء الذوات من الموجودات مثل الأعلام الشخصية وأسماء الأجناس من الحيوان والنبات والحجر والكواكب...)(٢)

ويميل الباحث أن ما تبناه الكردي بان الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٥٧

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ٣٩٥

الأشياء أي أعطاه علما يلزمه على وجه الأرض، ثم عرض مسميات هذه الأسماء على الملائكة ممتحنا لهم لإظهار كرامة وفضل هذا النوع الجديد العابد لله(١).

ونخلص من العرض السابق أن آدم عليه الصلاة والسلام تعلم عدة أمور

١) **تعلم آدم اللغة**، فكان أول ما تعلمه عليه الصلاة والسلام أسماء الأشياء، وتعلم الأسماء يعني تعلم كلمات ترمز إلى مفاهيم أو معان كلية،فالله سبحانه وتعالى علم آدم اللغة التي نسمي بها الأشياء كلها التي ترمز إلى مفاهيم(٢).

٢) **تعلم طرائق وأساليب التعلم**، وهنا نبحث عن كيفية التعلم، أما بالتلقين أو التعلم الضروري أو إيداع القوة الناطقة بالإنسان أو القدرة والاستعداد الفطري، وهذا الأمر حصل لآدم وذريته من بعده(٣).

٣) تعلم اتخاذ القرار، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥]

أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلم آدم وحواء عليهما السلام إرادة الاختيار واتخاذ القرار وتحمل مسؤولية ما يقومان به من الخيارات وما يتخذانه من قرارات وهذا التعلم كان ضروريا لتدريبهما وتهيئتهما لحياتهما في الأرض، فهما سيجابهان المواقف الكثيرة التي تتطلب اتخاذ قرارات.

---

(١) راجح الكردي. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، عمان: دار الفرقان، ٢٠٠٤ / ٣ / ص ٤٥

(٢) نجاتي. القرآن..، مرجع سابق، ص ١٤٣

(٣) الكردي. مرجع سابق، ٣ / ٥٥

أدوات التعلم التي أشار إليها القرآن الكريم

حتى يتمكن الإنسان من أداء رسالته على أتم وجه، كرمه الله سبحانه وتعالى بعدد من أدوات التعلم، وهذه الأدوات تتنوع بتنوع التعلم المطلوب ومنها

١ - الحواس الخمس:

زود الله سبحانه وتعالى الإنسان بحواس خمس هي السمع والبصر والشم واللمس والذوق. وتعدّ كلها أدوات للتعلم. فما يدل على التعلم بالسماع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] وما يدل على التعلم بالبصر قوله تعالى ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات٢١]، وما يدل على التعلم باللمس قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام:٧].

٢ - العقل:

عبر القرآن الكريم عن العقل بمفردات متنوعة، فعبر عنه بالنهى، الحجر واللب، والبصيرة وذم الله سبحانه وتعالى الذين لا يستخدمون العقل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[الأنفال:٢٢]

ولا بد من الإشارة إلى نقطة هامة في بيان دور الحواس والعقل في عملية التعلم: فالقرآن الكريم لا يوافق على اعتبار الحواس طريقا وحيدا للمعرفة، وإنما يعد الحواس والعقل يعملان في حقل المعرفة والتعلم، لذا جعل الله سبحانه وتعالى المشاهد المحسوسة والآيات الكونية المنظورة دليلا على وجوده

ووحدانيته، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

وربط القرآن الكريم بين الحواس والعقل في عملية التعلم وجعل تعطيلها تعطيل لدور العقل في التعلم[١].

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

والحديث عن العقل يقودنا للحديث بالضرورة عن التفكير،فلا بد من التفكير حتى يحدث التعلم قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٠، ١١].

والتفكير «أسلوبا فاعلا في عملية التعلم ويتخذ صورا عدة لعل من أبرزها، التفكير الناقد والتفكير الإبداعي، وهما من الأساليب المعول عليها في عملية التعلم الذاتي، وفي مناهج البحث ثمة تشدد على التزام منهج التفكير العلمي»[٢].

---

(١) المرجع السابق، ٣ / ص.١٠٧ – ١٠٩

(٢) احمد الدغثي. نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢م، ص ٢٧١

وثمة أساليب عقلية عدة وردت في القرآن الكريم لإحداث التعلم المطلوب منها[1]:

أسلوب المحاكمة العقلية:

وهو أسلوب يعتمد على عرض كلام، ثم الردّ المفحم البليغ، فيجد الخصم نفسه محاصرا. ومن الآيات الدالة عليه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ۝ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ – ٥١].

الاستدلال بطريقة الأولى:

القرآن الكريم يقدم نماذج لمخلوقات بديعة وعظيمة، وفيها ما هو أشد لفتا للانتباه والإعجاب من خلق الإنسان، ومن الآيات الدالة قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ [الإسراء:٩٩].

ومما يستفاد من هذا الأسلوب تربويا وتعليميا تقديم ظاهرتين مدروستين في شتى الجوانب والبيان عن طريق المقارنة جوانب العظمة والإبداع.

الاستدلال بآيات الآفاق والأنفس:

والهدف منه استنفار قوى العقل وعملياته العليا كي نصل إلى حقيقة الخالق سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٥ – ٢٥١

رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أسلوب الاستجواب العقلي:

وهو أسلوب يعتمد على طرح السؤال والمسارعة إلى تقديم الجواب، بلسان الخصم ثم استثارة القوى العقلية بأساليب متنوعة.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزُخرف:٩].

أسلوب ضرب الأمثلة:

يضرب القرآن الكريم الأمثلة للمقارنة بين الأضداد وإحداث التعلم المطلوب قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر:٥٨].

أسلوب التمانع العقلي:

وهو أسلوب يعتمد على امتناع تصديق العقل بقبول متناقضين لامتناع ذلك، ومن ذلك استحالة وجود الهين لاستقامة الكون. قال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١].

أسلوب التنبيه:

ولهذا الأسلوب دور مهم في عملية التعلم واكتساب المعرفة وتحصيل العلوم، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

أسلوب الذكرى:

أسلوب نفسي وبسبب نشاطه يثير الانفعالات من اجل حدوث التعلم والاكتساب المطلوب قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزُّمر:٢١].

وثمة أدوات وأساليب اخرى للتعلم منها الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشُّورى:٥١].

وكذلك الإلهام، وهو تنبيه للنفس الإنسانية وإلهامها عن طريق الأفكار والعلاقات يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].



طرائق التعلم الواردة في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم إلى طرائق مختلفة للتعلم، ولعل من أبرز طرائق التعلم الواردة في القرآن الكريم الآتي:

١ - التقليد:

ذكر القرآن الكريم أمثلة تبين أثر التقليد في تعليم الإنسان، ومن الأمثلة التي ذكرت في قصة قتل قابيل أخاه هابيل والذي لم يحسن التصرف، بجثة أخيه، فأرسل الله سبحانه وتعالى غرابا ينبش في الأرض ليدفن غرابا ميتا، فتعلم منه كيف يواري جثة أخيه. قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٣١].

فالغراب قتل غرابا أخر أو وجد غرابا مقتولا ويجعل يحفر في الأرض ليعلم ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه.

وثمة آيات كثيرة في كتاب الله سبحانه وتعالى تدعو المسلم إلى أن يقلد ويقتدي بالرسول عليه الصلاة والسلام، فبتعلم الإنسان العادات الحسنة والأخلاق الكريمة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

فالقدوة وسيلة لتعليم الأخلاق وغرس الفضائل وهذا ما أشار إليه عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب وقال له (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فان أعينهمَ معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت وعلمهم سير الحكماء واخلاق الأدباء وتهددهم بي وادبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء

حتى يعرف الداء، ولا تتكلن على عذر مني فاني قد اتكلت على كفاية منك)[١].

وذم المولى سبحانه وتعالى التقليد الأعمى والتبعية للذين يغيب فيهم أعمال العقل ويقلدون سلوكات آبائهم على ضلالهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

١ - الممارسة العملية:

الممارسة العملية أسلوب فعّال من أساليب التعلم في التربية الإسلامية، فالتدريب العملي والممارسات التطبيقية، ولو مع التكلف في أول الأمر وإجبار النفس على غير ما تهوى من الأمور التي تعلم الإنسان وتكسبه سلوكيات سواء أطال الزمن أم قصر[٢].

وذكر القرآن الكريم أسلوب الممارسة العملية في طلب الخليل إبراهيم عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أن يريه كيف يحيي ويميت وهذا السؤال لا يدل على شك بل على إيمان جازم فالله سبحانه وتعالى جعله يمارس السلوك بنفسه وطلب منه أن يأخذ أربعة طيور ويخلطهن ببعض ثم يفرق الأجزاء على الجبال.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ

---

(١) علوان. مرجع سابق، ص ٤٩٩

(٢) عبد الرحمن الميداني. الأخلاق الإسلامية وأسسها. دمشق: دار العلم، ١٩٧٩م، ص ١ / ١٧٩

ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

ولا بد من التنبيه أن طلب إبراهيم عليه السلام ليس طلبا للبرهان وتقوية الأيمان، إنما هو الشوق الروحي إلى ملامسة السر الإلهي في أثناء وقوعه العملي ومذاب التجربة عند الإنسان غير مذاق الإيمان.(١)

ومن الأمثلة الأخرى التي وردت في القران للدلالة على هذا الأسلوب قصة نوح عليه السلام عندما أمره سبحانه وتعالى بصنع السفينة، فتعلم وعمل وكافح، وكان قومه يسخرون منه ومن عمله ومع ذلك استمر في صناعة السفينة، وهذه الصناعة تطبيق عملي.

قال تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٧ – ٣٨].

فنوح عليه السلام أول من صنع الفلك ولم يكن أمر صناعة السفن معروفا وكان ذلك منذ قرون لا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى(٢).

وتعلم داود عليه السلام بالممارسة العملية صناعة الدروع،قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾

[الأنبياء:٨٠]

فالممارسة العملية مهمة في تعليم الأفراد العلوم المختلفة والسلوكيات والفضائل والآداب وقد أشار القرآن الكريم إلى مبدأ المشاركة الفاعلة في

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٣٢

(٢) ابن عاشور. مرجع سابق، ١١ / ٢٥٥

العمل، فالقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى العمل الصالح وهو التطبيق العملي للأخلاق والفضائل وحب الخير، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٨٢]

ومما يدل على التدريب والتطبيق العملي توزيع التعليم على فترات، وهذا ما نجده في كتاب الله سبحانه وتعالى الذي نزل على فترات متباعدة في مدة قدرها ثلاث وعشرون سنة بهدف تطبيق ما فيه واستيعاب معانية، قال تعالى ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦].

٢ - التعلم بالتفكير:

(التفكير عملية معرفية عقلية معقدة ونشاط داخلي يقتضي معالجة المعلومات التي يتعامل معها المتعلم)[١]، وعن طريق التفكير يستعرض الإنسان حلول المشكلة أو المشكلات المختلفة ويرفض الحلول غير الملائمة ويختار ما هو ملائما وصحيحا.

وحث القرآن الإنسان على التفكير وذم اتباع الهوى، قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦]

---

(١) شادية التل. مرجع سابق، ص ٢٤٧

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم:٢٨].

ونهى عز وجل عن التقليد الأعمى لما فيه من عدم أعمال الفكر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠].

فالآية الكريمة تندد بتلقي شيء من أوامر العقيدة من غير الله تعالى وكذلك تندد بالتقليد والنقل بلا تعقل ولا إدراك.(١)

وتعددت صور وأشكال التفكير، فمنها الحوار والمناقشة التي تساعد على الاهتداء إلى الحق والوصول إلى حلول سليمة فيما يعرض الإنسان من مشكلات، قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى:٣٨].

أما مجالات التفكير التي ذكرت في القرآن الكريم فهي متعددة منها التفكير في آيات الله سبحانه وتعالى في الكون وفي النفس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[آل عمران: ١٩٠ – ١٩١]

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ١٥٥

مبادئ التعلم في القرآن الكريم

والمقصود بمبادئ التعلم (الأسس التي يرتكز عليها المربي من اجل إكساب المتعلم المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم والعادات والسلوك وتثبيتها عنده...)(١).

ومن تلك الأسس التي يركز عليها المربي في إكساب المتعلم المعارف والمهارات المختلفة:

١ - العمومية:

والمقصود بعمومية التعلم في القرآن الكريم أمران **الأول:** إتاحة الفرص أمام كل فرد ليفوز برحمة الله سبحانه وتعالى، لذا انزل القرآن الكريم كافة للناس ليتعلموه ويتدبروه حتى يكون لهم رحمة وهدى،قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢].

الثاني: إتاحة الفرصة أمام كل فرد ليلتقي قدرا من العلم يمكنه من عبادة الله تعالى، وهذه العمومية تحقق التالف بين المسلمين، فتشفي صدورهم من الحقد والكراهية والبغضاء فيما بينهم(٢).

٢ - الهدفية:

ويقصد بالهدفية أن الإنسان محور الحياة في هذا الكون وهو موضع التكريم الرباني اختير ليكون خليفة الله في الأرض، ولم يخلق عبثا دون هدف وغاية.

---

(١) تمام حواري. مبادئ التعلم في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م، ص ١٠

(٢) أمينة حسن. نظرية التربية في القرآن الكريم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥، ص ١٩٠-١٩١

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠].

أما غاية وجود الإنسان في الأرض فهو عبادة الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

والتعلم بجميع أشكاله وصورة يجب أن يحقق هذه الغاية وهذا الهدف.

٣ - الفطرة:

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فالآية الكريمة تدل على أن الله عباده انه خالقهم وهم لا يزالون في عالم الغيب واخذ عليهم الميثاق واعترفوا له بالوجدانية.

وقال سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرُّوم:٣٠].

ففطرة الإنسان تدله على أن هناك قوة كبرى وراء هذا الكون قوة مدبرة وهي قوة الخالق، ويجب أن يكون التعلم منطلقا من هذه الفطرة.

٤ - الدافعية:

للدافع أهمية عظمى وكبرى من أجل حصول التعلم، فتوافر الدافع القوي مع توافر ظروف مناسبة، يدعو المتعلم لان يبذل الجهد الضروري للتعلم.

واستخدم القرآن الكريم أساليب مختلفة من أجل إثارة الدوافع للتعلم منها[1]:

٥ - الترغيب والترهيب

القرآن الكريم لا يعتمد على الترغيب وحده ولا على الترهيب وحده، وإنما يعمل على مزيج بينهما فيمزج بين الخوف من عذاب الله تعالى والرجاء في رحمته وثوابه، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

ومن الآيات التي تمزج بين الترغيب والترهيب قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١، ٨٢]

٦ - إثارة الدافع بالأسلوب القصصي

ذكر القرآن الكريم القصص لإثارة دافعية الإنسان للتعلم وأخذ العظة والعبرة منها، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

وتنوعت أساليب ذكر القصة في القرآن الكريم فمنها ما يركز على الأسلوب العقلي أو العاطفي أو العقلي العاطفي. وقد تبدأ القصة في القرآن

---

(١) لجاتي. القرآن..، مرجع سابق، ص ١٥٢ – ١٥٨

الكريم أولا بذكر الملخص ثم التفصيلات وذكر الملخص قبل التفصيلات يؤدي إلى التشويق وإثارة الانتباه للتعلم.

٧ - الاستفادة من الحوادث الجارية والأحداث الهامة:

.. المتأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى يلخص أنه أستغل الأحداث الجارية والهامة في حياة المسلمين، فالأحداث يكون فيها المتعلم أكثر استعدادا وأكثر قبولا للتعلم. ومن أمثلة استغلال الأحداث الجارية. غزوة حنين عندما أعجب المسلمون بقوتهم وكثرتهم واطمأنوا إليها، نسوا أن النصر إنما يكون بمشيئة الله تعالى وان الكثرة لا تؤدي إلى نصر. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٥].

٨ - استثارة الدافعية بضرب الأمثال

ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال للناس من اجل اخذ العظة والعبرة، قال تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١].

فالأمثال تقرب المعنى إلى الذهن، والأمثال التي ضربت في القرآن الكريم إنما هي وسيلة لتقريب إلى المدارك من الله العليم بطاقات البشر[١]. ومن الأمثلة التي وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٢٥٢٠

زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥].

٩ - التكرار:

تكرار عرض الآراء والأفكار يؤدي إلى سرعة استقرار هذه الآراء والأفكار، وتثبيتها في أفهام الناس، فالقرآن الكريم يكرر بعض الحقائق كالتوحيد، والإيمان بالبعض والحساب والثواب والعقاب.

ومما تكرر في القرآن الكريم ما قاله الأنبياء هود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام إلى أقوالهم بصيغة واحدة قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود:٥٠]

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود:٨٤].

فالتكرار في القرآن الكريم ليس تكرارا كليا وإنما هو تكرار بذكر بعض أحداث القصة التي تتفق مع سياق المعاني الواردة في السور، وإذا ما كرر جزء من قصة فانه عادة يورد شيئا جديدا لم يذكر من قبل.

ومن التكرارات، تكرار ورود قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن:١٣]

وفي سورة القمر تكرر قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨].

يقول صاحب الضلال هذا التعقيب الذي يتكرر عقد مشهد، ويقف عنده القلب البشري يدعوه هادئة إلى التذكر والتدبر(١).

١٠ - التدرج في التعلم

أثبتت الدراسات التي قام بها علماء النفس، أن توزيع التعليم على فترات متباعدة يتخللها راحة يساعد على سرعة التعلم بل ويعمل على تثبيت التعلم في الذاكرة.

واستخدم القرآن الكريم مبدأ التدرج في التعليم بتحريم شرب الخمر، الذي كان من الأمور التي تمارس بشكل معتاد، فبدأ القرآن الكريم بالتهيئة المتدرجة للمتعلم بالآتي:

- التنفير من شرب الخمر بشكل عام قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

---

(١) المرجع السابق، ٦ / ٣٤٣١

- التنفير من شرب الخمر في أوقات معينة وعدم شرب الخمر في أوقات قريبة من أوقات الصلاة وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ﴾ [النساء: من الآية ٤٣].
- الامتناع نهائياً عن شرب الخمر. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

والإسلام بدأ التعليم وإزالة السلوكيات بوسيلتين هما القطع الحاسم الفاصل أو التدرج البطيء، وذلك حسب الموضوع المراد تعليمه، فإذا كان الأمر يتصل بالعقيدة والارتباط المباشر بالله سبحانه وتعالى، كان التحريم قطعياً والتعليم مباشراً. أما إذا كان الأمر يتصل بأحوال اجتماعية واقتصادية فكان التحريم بالتدريج البطيء[1].

١١ - الانتباه:

أرشد القرآن الكريم إلى أهمية الانتباه في استيعاب التعلم فيقول سبحانه وتعالى منبها المؤمنين إلى الاستماع والإنصات والانتباه للقرآن الكريم من أجل فهمه ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الأعراف:٢٠٤]

---

(١) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية، ط١٤، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣م، ص ٢٠٦ - ٢١٤.

وابتداء سور القرآن الكريم بالحروف مثل ﴿ الم ﴾، ﴿المص﴾، ﴿المر﴾، كما قال المفسرون المقصود منها إثارة انتباه الناس لما هو آت.

وأشار القرآن الكريم إلى أهمية الليل في فهم معاني القرآن الكريم، فهو – الليل – يجعله أكثر انتباها للمعاني وأكثر تفهما له. قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل:٦].

وبقيت الإشارة إلى كيفية حدوث التعلم في القرآن الكريم، فالتعلم في القرآن الكريم لا يحدث إلا بتوافر شرطين:

١) إحساس المتعلم (الإنسان) بحاجته إلى الاستعانة بهدى الله سبحانه وتعالى، فإذا ما تكون هذا الشعور، فانه يدفعه إلى التعرف على تفاصيل المنهج الإلهي فيحصل التعلم.(١) قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:من الآية٢٨٢] إن الله سبحانه وتعالى يدعو المؤمنين إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، لأنه هو المتفضل عليهم وهو الذي يعلمهم ويرشدهم، وأن تقوى الله سبحانه وتعالى تفتح قلوبهم للمعرفة وتهيئ أرواحهم للتعلم(٢).

٢) تطبيق الفرد وممارسته لما حفظ وفهم (٣)

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ

---

(١) ماجد الكيلاني. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط٢، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٥م،ص ٥٤–٥٥

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٣٣٧

(٣) مذكور. مرجع سابق، ص ٦٦

وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء:٦٦].

إن البدء في التطبيق يتبعه عون الله تعالى ويتبعه التثبيت في على الطريق. ويتبعه الأجر العظيم.

القرآن الكريم ونظريات التعلم

حاول العلماء تفسير ظاهرة التعلم وكيفية حدوثه ؟، لذا قاموا بإجراء التجارب، حيث توصلوا إلى عدة تفسيرات للتعلم، وقد اختلفت الاتجاهات في اتجاهات رئيسية يمكن تصنيفها في مجموعتين، الأولى: نظرية المثير والاستجابة وتشمل نظريات ثورندايك وجثري، وسكنر، والثانية: نظريات معرفية وتشمل نظرية تولمان والنظرية المجالية.

وطبقا لنظريات المثير والاستجابة فان الارتباط يكون بين مثير واستجابة وان التعلم يمثل ميلا مكتسبا لدى الكائن الحي بطريقة معينة عندما يواجه بمثير معين ومثال ذلك أن يتعلم الطالب رفع يده إذا سال المعلم سؤالا يعرف الإجابة عليه.

أما في الاتجاه الثاني فيكون الارتباط المتعلم يكون بين المثيرات والتعلم يمثل ميلا مكتسبا لدى الكائن الحي لتوقع أحداثا متتالية عندما يظهر مثير في موقف معين.

نظريات التعلم في القرآن الكريم:

حث القرآن الكريم على التعلم وكرم العلماء ووصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم ورثة الأنبياء، فهم في الاحية في مرتبة تلي الأنبياء الذين اختارهم رب العزة ليحملوا رسالته.

فالقرآن الكريم يواجهنا إلى دراسة التعلم ونظرياته لنقف على ما توصل إليه العلماء من ثمار ونأخذ منه ما يناسب عقيدتنا ويرسم لنا معالم المستقبل،

أما ما ينافي ديننا وقيمنا فان معرفتنا به تسهل علينا الابتعاد عنه.[(١)]

وهذا من عمل الخير الذي امرنا الله سبحانه وتعالى به، وأن نعمل لأجله وإن كان مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧]

فإذا ما قومنا نظريات التعلم في حدود ديننا الحنيف وبينا ما فيها من مخالفات شرعية وأخذنا ما فيها من خير لنستغله ونطوره فقد قدمنا خدمة عظمى لأمتنا الإسلامية. قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:١٣]

فالمتأمل في الآيات السابقة يجد حثا مباشرا للإنسان على التعلم وجعلته بعضها في منزلة عالية ولا يستوي مع الذي لا يعلم.

ومن المفيد في هذه العجالة ذكر بعض ما بلغته نظريات التعلم في نظرتها للإنسان[(٢)].

- تتعامل مع الإنسان باعتبار انه ابن الطبيعة وليس الإنسان الذي هو اكرم المخلوقات عند الله تعالى.
- يصعب قبول نظرية من النظريات كأساس في منهج تربوي إسلامي،

---

(١) مقداد يالجن. مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٤

(٢) علي مدكور، مرجع سابق، ص ٦٤-٦٥

فالنظريات تنحصر في إشباع الحاجات العضوية كالحيوان. والإنسان يختلف فهو يمتلك القدرة على التفكير ومعرفة الحقائق ويقوم على العمليات العقلية والمعقدة.

- الإنسان منحه الله تعالى القدرة على التخيل والإرادة وهذا ما ميزه عن قدرات بقية المخلوقات.
- الإنسان مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى لذا وهبه الله حرية الإرادة، فاستجابة الحيوان إليه بحثه لا يملك التصرف فيها، أما الإنسان فانه يملك التحكم بها والكف عنها.



الفصل العاشر
الصحة النفسية في القرآن الكريم

مفهوم الصحة النفسية في القرآن الكريم

الأسس التي تقوم عليها الصحة النفسية في القرآن الكريم

إستراتيجية الصحة النفسية في القرآن الكريم

الأسباب التي تؤدي إلى الأضرار بالصحة النفسية

أساليب تحقيق الصحة النفسية في القرآن الكريم

علاج بعض الأمراض النفسية في القرآن الكريم

(الوسواس القهري، القلق، الكبر، الغضب، الاكتئاب)

مفهوم الصحة النفسية في القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم لهداية الناس إلى الطريق الحق، ودعاهم إلى عقيدة التوحيد، بل علمهم قيما وطرائق جديدة في التفكير والحياة، وأرشدهم إلى السلوك السوي المستقيم، وأرشدهم نحو طرائق تربية النفس وتنشئتها تنشئة سليمة، ففي القرآن الكريم طاقة روحية هائلة ذات تأثير في الإنسان تهز وجدانه وتصقل روحه وتوقد إدراكه وتفكيره.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

فالآية تدل على مضمون الصحة النفسية الذي يتحدث عنها علماء النفس ووصفوا لها النظريات والأساليب والطرائق المختلفة، وتباينت نظرة العلماء إلى مفهوم الصحة النفسية، فمنهم من قال أنها حالة نفسية يشعر فيها الإنسان بالأمن والطمأنينة، وذلك عندما يحقق الإنسان التوازن بين قوى نفسه الداخلة ومطالب جسمه[١].

أو هي تحصيل السعادة هي مجموعة المشاعر السارة التي يستدل عليها من تقرير الشخص نفسه واعترافه بسعادته أو تعبيرات الفرح والسرور التي تلحظ عليه.[٢]

أو تحقيق الذات عندما يفهم الإنسان نفسه وينميها ويرضى عنها ويصل بها إلى أقصى وسع لها فيشعر باتساق حاجاته وتكامل دوافعه فيثق في نفسه

---

(١) كمال إبراهيم موسى. تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، في المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية في الطيب زين العابدين (محررا)، ج٣، المعهد العالي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة الامريكية ١٩٩٢م، ص ٢١٤

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص ٢٢٧

ويعتمد عليها.[١]

وكذلك تعرف بأنها حالة الاتزان العقلي والجسمي والسلوكي لدى الشخص بما يتوافق مع ما هو مألوف لدى غالبية الناس والتعامل مع الحياة ومكوناتها بشكل سوي.[٢]

وينظر إليها على أنها حالة من التوافق النفسي الذي يهدف إلى تماسك الشخصية ووحدتها وتقبل الفرد لذاته وتقبل الآخرين له، بحيث يؤدي ذلك كله إلى شعور الفرد بالسعادة والراحة النفسية.[٣]

والمتأمل في التعريفات السابقة لمفهوم الصحة النفسية يخلص أن التعبير الملائم لها في الإسلام حسن الخلق، والذي هو حالة يشعر فيها الإنسان بالرضا والارتياح عندما يكون حسن الخلق.[٤]

فحسن الخلق يشعر الإنسان بالصحة النفسية والاطمئنان القلبي ومن علامات حسن الخلق.[٥]

- الخلو من التوترات الزائدة والانحرافات الكبيرة، فلا يحقد ولا يحسد ولا يغش، فقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خير الناس، قال ﴿ كل مؤمن مخموم القلب،قيل وما مخموم القلب؟ قال: هو التقي، لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد﴾

---

(١) المرجع السابق. ص ٢٣١

(٢) إحسان المحاسنة. البيئة والصحة العامة، ط٢، عمان: دار الشروق، ١٩٩٤م، ص ١١٧

(٣) مصطفى فهمي. الإنسان وصحته النفسية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٢٤٢

(٤) كمال إبراهيم موسى.، مرجع سابق، ص ٢٣٧

(٥) المرجع السابق، ص ٢٤٢-٢٤٣

- الاعتدال في تحصيل حاجات النفس والجسم والروح وتحقيق مصالح الفرد والجماعة، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٣١]
- حسن التوافق مع الآخرين، فالمؤمن هين لين، لا يحسد ولا يخاصم يألف ويؤلف بضع حبه في قلوب الناس، قال صلى الله عليه وآله وسلم «من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا» (الترمذي ج٤ / ص ٣٦٥، حديث ٢٠٠٨)
- الرضا عن النفس، فالمسلم قانع بما وهبه الله تعالى من قدرات جسمية ونفسية متقبل للواقع وشاكر لأنعم الله سبحانه وتعالى في السراء والضراء.
- الاكتفاء بالله سبحانه وتعالى عن الناس، فهو لا يكتفي بنفسه عن الناس، بل يكتفي بالله تعالى عن الناس.
- الاجتهاد في تنمية القدرات والمواهب، قال صلى الله عليه وآله وسلم «المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

والعلامات التي تدل على حسن الخلق والصحة النفسية للإنسان كثيرة جدا ليس هذا مجال حصرها.

الأسس التي تقوم عليها الصحة النفسية في القرآن الكريم

أوضح القرآن الكريم الأسس التي تقوم عليها الصحة النفسية للإنسان المسلم ومن هذه الأسس

١ – عدم الشرك بالله سبحانه وتعالى

يقول سبحانه وتعالى على لسان لقمان الحكيم ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فلو يعي الإنسان هذه النصيحة لعاش مع

الله سبحانه وتعالى بطمأنينة قلبية وأمن نفسي لا تساويها طمأنينة أخرى، فأشارت الآية الكريمة إلى أن أعظم أنواع الظلم هو ظلم الإنسان لنفسه وهذا الظلم يبدأ من الشرك بالله تعالى، وينتهي به، فتصبح النفس بائسة قانطة تعبث بها شياطين الإنس والجن،أما النفس التي تتمسك بلا اله إلا الله تكون مطمئنة في طريقها تذكر الله سبحانه وتعالى فلا يقرب منها شياطين الإنس والجن ولا وتفتنها زينة الحياة الدنيا ومباهجها.(١)

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن الأمر بعدم الشرك جاء في صورة نصيحة من والد لولده، ونصيحة الوالد لولده مبرأه من كل شبه ويبعده عن كل ظنه، الحقيقة التي تجري على لسان من أتاه الله الحكمة من الناس يرى بالنصيحة الخير المحض وهذا هو المؤثر النفسي المقصود.(٢)

وأشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر باللبس، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

والإلباس هو الإيهام والخلط بين الأشياء، فالذين آمنوا واخلصوا أنفسهم لله سبحانه وتعالى لا يخلطون بهذا الإيمان شركا في عبادة ولا طاعة.... (٣)

وأشار القرآن الكريم إلى اللبس في موطن آخر، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٩].

---

(١) حسن الشرقاوي. «التربية في المنهج الإسلامي» في دعوة الحق، مكة المكرمة، العدد ٣٥، ١٩٨٤م، ص ٢٠

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ٥ / ٢٧٨٨

(٣) المرجع السابق، ٢ / ص ١١٤٢

٢ - الخلق

تقوم الصحة النفسية في القرآن الكريم على مبدأ الخلق، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] وبين النبي عليه الصلاة والسلام انه جاء بمكارم الأخلاق، قال صلى الله عليه وآله وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فالقرآن الكريم يهدف إلى بناء إنسان رفيع الخلق، عف المشاعر، نظيف السلوك ولم يقم الإنسان بناء على مجموعة من المواعظ والنصائح ولم يترك الجانب الخلقي لعوامل الوراثة والبيئة ومؤثرات التقليد إنما جاء بمنهج خلقي يشمل كل ما يتصل بالحياة.

ومنهج الأخلاق في الإسلام يقوم على ثلاثة مبادئ الأول هو الإيمان بالله تعالى الذي يعدّ الأساس الرفيع الذي تبنى عليه الأخلاق، وهو الحارس للتنفيذ، فسورة النور بينت سلسلة من الأخلاق يجب على المسلمين التزامها، قال تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ١]

والمبدأ الثاني هو الحق، فكل ما خالف الحق غريب عن منهج الكون، قال تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٣]

والمبدأ الثالث هو الثبات، فمنهج القرآن الكريم خالد مساير للزمن صالح للعصور فلا بد من أن يكون فيه عنصر الثبات، حتى لا يكون خاضعا للتغير والتبديل مع الهوى والشهوات[1].

(١) محمد شديد. منهج القرآن في التربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص ١٤٦-١٥٢

٣ - القدوة

القدوة معلم بلا لسان، ومرشد من غير بيان وهي مدرسة الإنسان العلمية التي يرسخ تأثيرها في النفوس والناس مائلون لها لما لها من تأثير بالغ في النفوس.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل القدوة الدائمة للمسلمين في شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو قدوة متجددة على مر الأجيال، والقرآن الكريم عندما يعرض القدوة ليس على سبيل الإعجاب والتأمل وانما يعرضها حتى تتحقق في أنفسهم بقدر ما يستطيع كل فرد منهم.

فالقدوة أساس في غرس الآداب والفضائل الإسلامية الحميدة في النفس البشرية، ويكون تأثيرها بشكلين، الأول تأثير عفوي غير مقصود يعتمد على مدى اتصاف القدوة بصفات تدفع الآخرين إلى تقليده.

والثاني تأثير مقصود يكون قصد المربي فيه تعليم طلابه أو الآخرين أفعالا وسلوكات محدده وان يلفت نظرهم إلى الاقتداء به.[١]

٤ - تهيئة الظروف

القرآن الكريم عالج أوضاع الإنسان المختلفة، وما يحيط به من ظروف، وهذا يجعل الإنسان مطمئن إذا ما تغيرت الظروف، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي. أصول التربية الإسلامية، ط٣، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م، ص ٢٦٢

عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾ [محمد: ٢].

فإصلاح البال نعمة كبرى من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، ومرتبطة بالإيمان وهي تعني الطمأنينة والراحة والثقة والرضا والسلام، ومتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير واطمأن القلب وارتاحت المشاعر والأعصاب ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام.(١)

فالأجواء والمناخات التي يعيشها الإنسان له تأثير بالغ في صحته النفسية، فمن المناخات والأجواء التي يعيشها الإنسان اللهو والبطر.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [لقمان:٦].

فلهو الحديث كل كلام يلهي القلب، ويأكل الوقت، ولا يأتي بخير ومن الناس من يشتري هذا الكلام بماله ووقته وحياته، وهو بهذا يضل نفسه ويضل غيره(٢).

فالإنسان الذي يعيش في أجواء ومناخات يذكر فيها الله سبحانه وتعالى ويقضي الوقت في الطاعة وطلب العلم، صحته النفسية ومشاعره مختلفة اختلافا كليا عن شخص يحرص على كل ما يلهي قلبه ويأكل وقته.

فاللهو غير المباح يثير الغرائز الإنسانية حتى تسيطر على الإنسان وتتحكم به، فيبتعد عن التفكير الرصين، فتظهر عليه الانفعالات وما يصاحبها من سلوك شائن.

وكذلك البطر والذي هو حالة نفسية تعتري الإنسان بحيث يقوم بالتصرف بالنعم التي أنعم الله بها على الإنسان دونما اعتدال أو اتزان والتهرب من القيام بحقها.

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٢٨١

(٢) المرجع السابق، ٥ / ٢٧٨٤

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص:٥٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال:٤٧].

إستراتيجية الصحة النفسية في القرآن الكريم

تقوم الصحة النفسية في القرآن الكريم على الجوانب الآتية

١ - الجانب الوقائي

ويتم التركيز فيه على وقاية الأفراد من الاضطراب والقلق وشتى الأمراض النفسية، وتحصينهم ضد الانحراف، وذلك عن طريق توجيههم للقيم المحددة للسلوك الإنساني، مثل الأمر بالصلاة وإيتاء الزكاة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البيِّنة: ٥].

وكذلك الأمر بغض البصر وحفظ الفرج، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور:٣٠].

ويشمل الجانب الوقائي وقاية الجسد من مختلف الأمراض، بأمر الإنسان باللباس وستر العورة قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ

يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٦].

والحث على الأكل من الطيبات: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [النحل: من الآية ١٤].

وتحريم الخبائث من الطعام والشراب، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١١٥].

وكذلك يشمل الجانب الوقائي، وقاية الإنسان من الأمراض الجنسية، بحث الإنسان على الزواج قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل:٧٢]، وحرم الزنا قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢].

وكذلك يشمل الجانب الوقائي وقاية الإنسان من مداخل الشيطان، فقد أمر سبحانه وتعالى بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

٢ - الجانب الإنمائي .

ويتم بهذا الجانب التركيز على شخصية الإنسان واستغلال أقصى طاقاته وقدراته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء:٥٨].

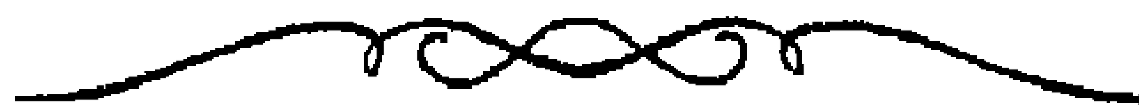
٣ - الجانب العلاجي

ويتم التركيز على تحرير الفرد من التوتر والقلق ومساعدته على حل المشكلات التي تواجهه. فالجانب العلاجي، يتمثل بحث الإنسان على الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢].

وحث الإنسان على التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥]

فالعلاج النفسي يمتاز بأنه علاج إيماني يعتمد على ترسيخ الإيمان في نفس الفرد وهو علاج خلقي يحترم كرامة الإنسان ويصونها في الوقاية والشفاء، وهو علاج امتثالي يدعو الفرد لامتثال القيم والمبادئ والمثل العليا والأعراف السائدة في المجتمع. وهو علاج تعضيدي يقدم العون والمساعدة والتأييد والتشجيع للمريض، وكذلك هو علاج شمولي يتناول الفرد بكافة جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والاجتماعية وهو علاج واقعي لا يعتمد على الأمور الفلسفية أو الخيالية[١].



(١) عبد الرحمن النحلاوي. الإسلام والعلاج النفسي، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ص ٤٦- ٤٧

الأسباب التي تؤدي إلى الإضرار بالصحة النفسية للمسلم

ثمة أسباب عدة تؤدي إلى الأضرار بالصحة النفسية للمسلم، ومن الأمور التي تؤدي إلى الإضرار بالصحة النفسية.

١ - الذنوب

الذنب هو مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى وإتباع النفس الأمارة بالسوء، والذنب لا يصدر إلا عن حال ضعف من الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٠]

سواء أكان الذنب ظاهرا أو خفيا فالله سبحانه وتعالى سيجزيهم عليه، يقول عليه الصلاة والسلام في بيان الإثم «الإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس»[١].

٢ - الضلال

ومن الضلال اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص:من الآية ٥٠].

ومن الضلال كذلك اتباع الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦].

ومن الضلال الغفلة، قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

---

(١) ابن كثير. مرجع سابق، ٢ / ١٦٠

ومن الضلال، أمراض الشك والشبة والشهوة، فهذه أمراض تؤدي إلى اختلال العقيدة الإيمانية وتحول فطرته الخيرة إلى البهيمة التي لا تعرف كيف تضبط غرائزها، ولا كيف تشبع حاجاتها قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:١٠].

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٣١].

٣ - الصراع

واخطر أنواع الصراع، الصراع بين الخير والشر، والحلال والحرام، وقد ينشأ الصراع بين النفس اللوامة والنفس الأمارة بالسوء.قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف:٥٣]

فالنفس الأمارة تدفع صاحبها إلى طريق الشر والإلحاد والكفر وارتكاب المعاصي كالقتل والرياء واكل مال اليتيم...

وقال سبحانه: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ١، ٢]

فالنفس اللوامة تلومَ صاحبها لوما شديدا بدفعه للانتقام من نفسه عما ارتكب من أفعال وتخوفه حتى يفقد الأمل ويعيش معذبا.

٤ - اختلال معايير السواء والانحراف

فالإسلام دين الفطرة وجاءت الآيات القرآنية تجعل الدين والفطرة شيئا واحدا، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرُّوم:٣٠].

يقول صاحب الظلال في تفسير الآية الكريمة... وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله؛ وكلاهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر طبيعته واتجاهه والله الذي خلق القلب البشري هو الذي انزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف، وهو اعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير والفطرة ثابتة والدين ثابت... فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة، لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة فطرة البشر وفطرة الوجود[١].

فالفطرة إسلام مجمل تفصله الشريعة، فيكون الحسن الذي حسنه الشرع هو الحسن الذي حسنه العقل والفطرة والقبح الذي قبحه الشرع وهو الذي قبحه العقل والفطرة. فالفطرة لا تتبدل لأنها تتصل بجوهر الإنسان والشريعة لا تتبدل، وعليه فان المعيار الإسلامي في السواء والانحراف لا يتغير في أصوله العامة وينسجم مع بقية المعايير[٢].

أما معايير علم النفس فقد تعددت، فهناك المعيار الذاتي، الذي يحكم به الشخص على نفسه وفق ثقافته الخاصة به أو المعيار الإحصائي ويحكم به من خلال تكرار وشيوع المرض في المجتمع، والمعيار الاجتماعي وذلك وفق اتفاقه

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٥ / ٢٧٦٧

(٢) محمد عز الدين توفيق. مرجع سابق، ص ٣٤٤

مع المفاهيم والمبادئ السائدة في المجتمع.[(١)]

ويقترح الدكتور محمد عثمان نجاتي المؤشرات الآتية للدلالة على الصحة النفسية[(٢)].

- .علاقة الفرد بربه من حيث الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالملائكة وكتبه ورسله...
- علاقة الفرد بنفسه، بمعرفة الفرد إمكانياته وطموحاته... وتحكمه في انفعالاته وعواطفه...
- علاقة الفرد بالناس، وذلك بان تسود علاقة طيبة تسودها المحبة والمعاملة الحسنى...
- علاقة الفرد بالكون، وان الله تعالى كرمة على سائر المخلوقات وهو خليفة الله تعالى...
- واختار الدكتور محمد عوده، العوامل الآتية والتي يراها تمثل مؤشرات للصحة النفسية.[(٣)]
- الجانب الروحي وهو الإيمان بالله تعالى وأداء العبادات وإشباع الحاجات بالحلال.
- الجانب النفسي مثل قبول الذات وسلامة الصدر
- الجانب الاجتماعي مثل حب الوالدين وحب الزوجة والأولاد.
- الجانب الفسيولوجي مثل سلامة الجسم من الأمراض

---

(١) جمال الخطيب. تعديل السلوك، ط٣، ١٩٩٤م

(٢) محمد عثمان نجاتي. الحديث النبوي وعلم النفس، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٧م، ص ٣٠٢-٣٠٤

(٣) محمد عوده. الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، ط٢، الكويت، دار القلم،١٩٨٦م، ص ٦٠

أساليب تحقيق الصحة النفسية في القرآن الكريم

حتى يتحقق التوافق النفسي للفرد، ويصل إلى حالة من الاتزان العقلي والسلوكي، بحيث يترتب على هذا شعوره بالسعادة والراحة النفسية، وجه القرآن الكريم الإنسان إلى مجموعة من الأساليب والطرائق في ممارسته لها تتحقق عنده الصحة النفسية، ومن هذه الأساليب والطرائق.

١ - الإيمان

الحديث عن الإيمان هو الحديث عنه بكافة صوره وأشكاله، الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الأخر والملائكة والقدر...

فللإيمان تأثير عظيم في نفس الإنسان فهو يزيد ثقته بنسفه ويزيد قوة احتماله على الصبر ويبعث في النفس الطمأنينة وراحة البال ويغمر الإنسان بالسعادة والسرور، وإذا ما بث المجتمع هذا الإيمان بالفرد من الصغر فانه يكسب الفرد مناعة ووقاية ضد الأمراض النفسية.(١)

فالقراءة في أخر الأبحاث العلمية والطبية والنفسية حول العلاقة بين السلوك الإنساني السوي وغير السوي، والحالة الصحية والمرضية والمنظور الإسلامي للوقاية والعلاج لحالات القلق والاكتئاب... والعلاقة بين الإيمان بالله تعالى والصحة النفسية... يلحظ سبق الإسلام في إيجاد الحل والمخرج من غالبية ما نواجه من مشكلات وأزمات نفسية في حياتنا، بل أن الإيمان بالله تعالى سلاح فعال للوقاية والعلاج وهو طريق للاحتفاظ بحالة دائمة من الصحة النفسية(٢).

---

(١) نجاتي. القرآن...، مرجع سابق، ص ٢٤٠ — ٢٤٢

(٢) خليل شومان. الطب الوقائي في القرآن، اربد: دار الكتاب،٢٠٠٤م،ص ٢٢٥ نقلا عن لطفي الشربيني. «الإيمان بالله هو الطريق إلى النفس المطمئنة» في النفس المطمئنة، عدد ٥٨، الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، القاهرة،١٩٩٩م،ص ١٠-١١

القرآن الكريم يوجه النفوس إلى ما فيه الصلاح والاستقامة، فالقرآن يخاطب الإيمان الذي بداخل النفس، ويحث على تزكية هذا الإيمان ومراقبته، لذا وجه سبحانه وتعالى إلى إحاطة هذا الإيمان بمختلف العبادات من ذكر وصلاة وصوم وحج... فالقيام بالعبادات بكسب الإنسان شخصية سوية تتوافر فيها مقومات الصحة النفسية السليمة، كما تتوفر له حماية من الأمراض النفسية التي يعاني منها من لا يلزمون بأداء العبادات.

٢ - العبادات

شرع الإسلام مجموعة من العبادات المادية والروحية تهدف في مجملها إلى تحقيق الصحة النفسية للفرد، وتبعد الإنسان عن القلق والاضطراب وفيما يأتي عرض موجز لأهم العبادات وأثرها في الصحة النفسية للفرد

أ - ذكر الله تعالى

تعددت الآيات التي تحث المسلم على ذكر الله سبحانه وتعالى، لما في هذا الذكر من طمأنينة نفسية وسكون للنفس ففيه مناجاة العبد لربه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] وقال ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فبذكر الله سبحانه وتعالى تأنس القلوب وتسكن النفوس، فلا يشعر الإنسان بالقلق والاضطراب على عكس الذين لا يذكرون الله تعالى.(١)

(١) محمد الصابوني. مرجع سابق، ٢ / ٨٢.

ب - قراءة القرآن والاستماع له

القرآن الكريم نبه المسلم إلى أمر في غاية الأهمية وهو الاستماع إلى قراءة القرآن في حال تم البدء بالقراءة وعلة الاستماع كما ورد في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] إن قراءة الكتاب الكريم والاستماع له مرتلا له أثر ملحوظ في النفس والجسد، القرآن الكريم له تأثير على الجسم والمشاعر والأحاسيس وهذه حقيقة مشاهده لا تحتاج إلى برهان من اجل قبولها.

وقد أجرى أحد الباحثين دراسة لمعرفة أثر القرآن على الإنسان، وبعد عدة تجارب أثبتت الدراسات أن للقرآن أثرا إيجابيا مؤكدا لتهدئة التوتر وإحداث تغيرات فسيولوجية ونفسية في الفرد.(١)

ويمكن أن يعزى تأثير القران على النفس البشرية إلى عاملين، الأول: صوت الألفاظ القرآنية. باللغة العربية سواء أكان المستمع قد فهمها أم لا، والثاني: فهم معنى الآيات القرآنية.(٢)

وعلية فإننا ندرك نهي القرآن الكريم عن الصوت العالي، قال تعالى ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]

فالضجة والصوت العالي يحدثان اضطرابا في مشاعر الإنسان وصحته النفسية والجسدية.

---

(١) احمد القاضي. تأثير القرآن على وظائف الجسم البشري، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف الشؤون والمقدسات الاسلامية الأردنية،العدد العاشر، ١٩٨٧م، ص ٤٠ – ٤٢

(٢) شومان. مرجع سابق،ص ٢٦١

وأخيرا يقول صلى الله عليه وآله وسلم «إن القرآن مأدبة الله فاقبلوا على مأدبته ما استطعتم، أن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاء لمن اتبعه ولا يزيغ فستعصب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ أتلوه فان الله يأجركم على تلاوة كل حرف عشر حسنات».

ج - الصلاة

الصلاة غذاء الروح يناجي العبد فيها ربه، فينشرح صدره ويقف بين يدي الله سبحانه وتعالى بلا حجاب، يناجيه قريبا غير بعيد يستعين به، ففي الصلاة يبث المسلم شكواه واحزانه فيشعر بالسكينة والطمأنينة.

فالصلاة تبث في النفس الهدوء والطمأنينة، وتخلص الإنسان من الشعور بالذنب والصلاة تقضي على الخوف والقلق وتمد الإنسان بطاقة روحية هائلة وقوة نفسية طائلة، فهي تساعد على شفاء الإنسان من أمراضه المختلفة وتزود الإنسان بالحيوية والنشاط وتمكنه من القيام بالأعمال الجليلة[1] والصلاة الحقيقة تمد المسلم بقوة روحية ونفسية تعين الإنسان على متاعب الحياة. قال تعالى ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

[البقرة: ٤٥]

وينقل صاحب كتاب (دع القلق) عن الدكتور توماس عن فضل الصلاة في التخلص من القلق فيقول (إن أحد افضل العوامل المنتجة للنوم والذي اتضح لي على امتداد سنواتي العملية هو (الصلاة) وأنني كرجل طب أقول بامانه – لان عملية الصلاة تعتبر لدى الذين يؤدونها باستمرار – أفضل وسيلة

---

(١) سميح الزين. مرجع سابق، ٢ / ٢٩٩

من مناسبة وطبيعية للعقل والأعصاب)[١]

د - الصوم والحج

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

الصوم يعود على الصبر والجوع والعطش ويعود على تحمل المشاق والآلام فتقوي لديه العزيمة والثقة بالنفس وصلابة الارداة وكل هذا يعود بالصحة النفسية على الفرد.

فالصوم يضبط الاندفاعات النفسية الخاطئة في اضطر مظاهرها وهي شهوة الفرج والبطن والحج يترك آثارا نفسية في حياة المسلم، فيشعر بالسعادة بعد أداء فريضة الحج وهذا يدفع عن الإنسان الشعور بالحزن والاكتئاب، كما يبعده عن هموم الحياة ومشاقها ويعوده تحمل التعب والإرهاق في سبيل الله تعالى.

ومن الناحية النفسية الصرفة يشعر المسلم بعد أداء الحج انه تطهر من ذنوبه وآثامه وتحرر من مشاعر الذنب والاثم الذي يقود إلى المرض كما أن في الحج ضبط للنفس وانفعالاتها وشهواتها، والمسلم عن الجدال والخصام. [٢]

هـ - الزكاة

قال تعالى ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: من الآية١٠٣] الزكاة طهارة للنفس، فتطهر النفس من الشح والبخل، وطهارة لنفس الفقير من الحسد فهي تنمي عنده حب الآخرين ويبعد عنه قلق التفاوت

---

(١) ديل كارنيجي. دع القلق وأبدا الحياة، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠١م،ص ١٧٦

(٢) عبد الرحمن عيسوي. علم النفس الأسري وفقا للتصور الإسلامي العلمي، بيروت: دار النهضة، ١٩٩٣م،ص ٢٧٥- ٢٧٦

الطبقي والتمايز المجتمعي. بل وطهارة للمجتمع من عوامل التفرقة. والعبادات كثيرة ومتنوعة ليس هذا مجال حصرها.

فمن أهداف العبادات في الإسلام تقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى، وهي صفة هامة في بناء الشخصية المسلمة، خاصة في المراحل الأولى لحياة الإنسان حتى ينشأ بعيدا عن القلق والاضطراب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما يدل على هذا «يا غلام أني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فأسال الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

فالصلة بالله سبحانه وتعالى تزداد قوة بالتزام الإنسان المسلم أداء ما فرضه الله سبحانه وتعالى عليه من عبادات مختلفة من صلاة وصوم وزكاة وحج والمحافظة ما استطاع على أداء النوافل من أذكار وأدعية وصلاة تطوع.

فالإيمان بالله سبحانه وتعالى يبث في قلب المسلم الطمأنينة والثبات ويبعد المسلم عن القلق والاضطراب قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

فإنزال السكينة إيقاع في العقل والقلب، وعبر عن السكينة بالإنزال تشريفا للوجدان الذي هو في مكان مرتفع فالقي في قلوب الناس، والسكينة سبب نزول ما يلقيه الشيطان في نفوس الناس، والسكينة إذا حصلت في القلوب رسخ الإيمان في القلوب وزاد.[١]

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٦ / ١٢٦

فالإيمان بالله وتوحيده وعبادته، يحرر الإنسان من الخوف على الأشياء التي يخاف منها الناس فلا يخاف المؤمن المرض ولا الفقر ولا الناس، ويصاحب الإيمان الصادق تقوى الله تعالى والتي هي أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن المعاصي والتزام منهج الله تعالى والتقوى تدعو الإنسان أن يتوقى دائما في أفعاله الحق والعدل والصدق، ويعامل الناس بالحسنى ويتجنب العدوان، والتقوى توجه السلوك نو الأفضل والأحسن ونحو الذات ورقيها وهي من العوامل الرئيسة هي نضوج الشخصية وتكاملها وبلوغ الكمال الإنساني وتحقيق السعادة والصحة النفسية.

٣ - الاعتراف بالذنب والتوبة

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فالتوبة سبيل للخلاص من الذنوب، وهي إحدى سبل النجاة من الأمراض النفسية فتخلص النفوس من التوتر والقلق لان الشعور بالقلق والتوتر قد يهلك الإنسان، لان من شانه أن يدفع النفس الضعيفة إلى الانحدار. والتوبة من شانها أن تعالج القلوب المريضة فهي لا تقف عند حد الكلمات، بل إخلاص في النية واقلاع فوري عن المعاصي.(١)

فالإسلام لا يغلق الباب أمام هذا المخلوق الضعيف حتى لا يبقى حائرا منبوذا ولا يدعه مضطردا خائفا، أنه يدله على المغفرة ويدله على الطريق ويأخذ بيديه وينير له الطريق إلى الحمى والأمن والطمأنينة.(٢)

---

(١) سميح الزبن. مرجع سابق، ٢ / ٢٦٦

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٤٧٦

والاعتراف بالذنب أهم ما يعتمد عليه العلاج النفسي الحديث فهو يعيد إلى النفس المضطربة طمأنينتها ويشع فيها السكينة والوقار ويساعد النفس على التخلص من أمراضها وعللها الكثيرة كالغم والحزن والوسواس والقلق والاضطراب.(١)

فاعتراف المسلم بذنبه يصاحبه ندم على الأفعال غير المقبولة عند الله تعالى مما يدفع الإنسان إلى التوبة والعودة إلى الطريق الصحيح السوي.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: من الآية ٨] وحث القرآن الكريم المسلم على اعترافه بذنبه أمام الله تعالى، قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣].

ولا بد أن يصاحب التوبة الاستغفار، قال تعالى

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ [هود: من الآية٣].

فالاستغفار يشعر المسلم بعودته الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى، وانه بدا بداية جديدة في حياته وان ذنوبه غفرت له، فالاستغفار فيه العودة إلى الله تعالى من الشرك والمعصية إلى التوحيد والطاعة.(٢)

ويقول سبحانه ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣].

يقول الطبري (وهذا خبر من الله جل ثناؤه على آدم وحواء فيما أجاباه

---

(١) أحمد ضياء الدين. التربية الوقائية في الإسلام، عمان: دار الفرقان، ٢٠٠٥م، ص ١٧٤

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ١٨٥٢

به، واعترافهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة، خلاف جواب اللعين إبليس إياه، ومعنى قوله ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ قال آدم وحواء لربهما: يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف، وبطاعتنا عدونا وعدوك، فيما لم يكن أنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا ﴾ يقول: وان أنت لن تستر علينا ذنوبنا فتغطيه علينا ونترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه، وتركك أخذنا به ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ يعني لنكونن من الهالكين.(١)

٤- مواجهة الواقع بمرونة

إن من أهم أسباب القلق والاضطراب النفسي الذي يحصل للإنسان، عدم النظر إلى الواقع بمرونة كافية، فالنظر إلى الواقع بمرونة يجعل الإنسان بعيدا عن القلق والاضطراب وشتى الأمراض النفسية.

قال تعالى ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: من الآية٢١٦].

فالآية الكريمة تفتح للنفس نافذة تهب منها ريح طيبة عندما تحيط بالإنسان الكروب وتشق عليه الأمور، فمن يدري فلعل وراء هذا المكروه خيرا ووراء هذا المحبوب شرا... فالله سبحانه وتعالى عليم بالغايات البعيدة وهو الذي يعلم في حين أن الناس لا يعلمون عن الحقيقة شيء.(٢)

وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم نأخذ في الأمر، فقال صلى الله

---

(١) محمد بن جرير الطبري. ت ٣١٠هـ. جامع البيان عن تأويل القرآن، ط٢، ١ / ص ١٤٤.

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ٢٢٣

عليه وآله وسلم «عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له».

٥ - التوافق مع الآخرين

-حياة المسلم قائمة على التعاون على البر والتقوى والمودة والبعد عن البغضاء وكظم الغيظ والعفو عن الناس، وإذا التزم المسلم بما سبق من صفات توافق مع الآخرين ومع نفسه. قال تعالى ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥] قيل أن الآية الكريمة نزلت في أبي سفيان الذي كان عدوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلمفي الجاهلية فصار وليا وحليفا وناصرا، ويرى ابن عاشور أن الآية نزلت عامة في اكتساب المودة بالإحسان(١).

٦ - التحلي بصفتي الصبر والتفاؤل

الصبر والتفاؤل لهما دور بارز في الصحة النفسية للإنسان، فالتربية الإسلامية تربي المسلم على الصبر في كل المواطن، قال تعالى ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: من الآية١٧٧] يقول صاحب الظلال أنها تربية للنفوس وإعداد كي لا تغير شعاعا مع كل نازلة ولا تذهب حسرة مع كل فاجعة، ولا تنهار جزعا أمام الشدة انه التجمل والتماسك والثبات، حتى تنقشع الغاشية وترحل النازلة ويجعل الله بعد عسر يسرا، انه الرجاء في الله والثقة بالله والاعتماد على الله(٢).

أما التفاؤل فهي من الصفات الأساسية في شخصية الإنسان المسلم فلا

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢٥ / ٥٩.

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ١ / ١٦١.

يتطرق اليأس إلى نفسه قال تعالى ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

[يوسف:٨٧]

فالمسلم متفائل أن الله سبحانه وتعالى يستجيب له إذا توجه له بقلب صادق، مخلص، قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾

[البقرة:١٨٦]

أنها آية عجيبة تسكب في قلب المؤمن النداوة والحلاوة والثقة واليقين ويعيش المؤمن في جانب رضي وملاذ آمين وقرار مكين وفي ظل هذا الأنس يوجه الله عباده إلى الاستجابة له والإيمان به لعل هذا يقود إلى الرشد والهداية والصلاح[١].

٧ - استخدام الأدوية

الإسلام ليس ضد استخدام الأدوية والعقاقير أسلوبا في العلاج، ولكنه ضد استخدام الأدوية والعقاقير أسلوبا وحيدا في العلاج النفسي، والإسلام مع الاستخدام المتفق مع أخلاقيات المهنة وهو الاجتهاد لمصلحة المريض بان لا يكون في تركيب الأدوية مواد محرمة لعموم الأحاديث التي تنهى عن التداوي في المحرم.[٢]

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «إن الله لم يجعل شفاؤكم فيما حرم عليكم».

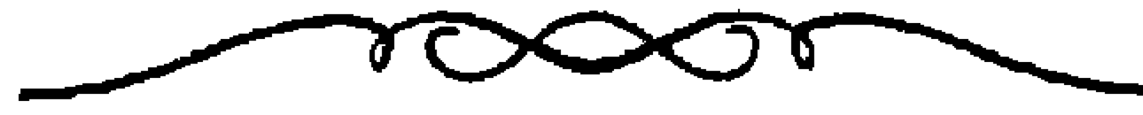
---

(١) المرجع السابق. ١ / ١٧٣

(٢) محمد عز الدين توفيق. مرجع سابق، ص ٣٠٥

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» إن الله انزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتدا ودا ولا تداو بالمحرم.

وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال «ولكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بأذن الله عز وجل» (صحيح مسلم / ج٤ / ص ١٧٢٩، حديث ٢٢٠٤)



علاج بعض الأمراض النفسية في القرآن الكريم

أولاً : الوسواس القهري

تعددت أراء العلماء في تفسير وتعريف هذا المرض النفسي الذي يعاني منه عدد لا باس به من الناس

التعريف

حالة مرضية تصيب الإنسان وتعكر صفاء ذهنه وتجعله قلقا مشدودا متوترا[١] ومنهم من قال أن الوسواس هو (الانشغال بفكره تافهة ظاهرا لكنها مستولية على صاحبها بحيث يعجز عن مقاومتها أو إبعادها وهي تقتحم تفكيره حتى تعطل اهتمامه بغيرها)[٢].

ويرى توفيق أن الوسواس القهري (أفكار غير معقولة تلازم الموسوس، والقهر هو أفعال تتركز في حياة الشخص إلى حد غير معقول، فالوسواس أفكار، والقهر أفعال)[٣].

والمتأمل في التعريفات السابقة يخلص إلى أن الوسواس القهري عبارة عن أفكار تسيطر على ذهن الشخص بحيث تجعله غير قادر على التفكير في أمور غيرها لذا سمي قهري.

فقد تتركز الوساوس وتدور حول الشك في الغيب وارتكاب جريمة أو الإصابة بمرض معين وهي متنوعة مثل غسل اليدين عشرات المرات، أو التأكد من إغلاق الباب حتى يصل درجة الإرهاق أو إعادة الوضوء والصلاة عشرات المرات. والموسوس يعرف أن ما يفعله تافه ولكنه مدفوع للتفكير فيها وتكرارها

---

(١) عبد الرحمن العيسوي. مرجع سابق، ص ٣١٩

(٢) عبد الستار أبو غده. بحوث في الفقه الطبي، القاهرة: دار الأقصى، ١٩٩١م، ص ١٣٩

(٣) محمد عز الدين توفيق. مرجع سابق، ص ٤٠٩

ومرغم على ذلك.

أسباب المرض

اختلف العلماء في تحديد أسباب هذا المرض، فتذهب بعض النظريات إلى وجود علاقة بين الوسواس القهري وطريقة التربية في مراحل سابقة في الحياة، وذهب آخرون إلى أن السبب وجود بؤرة كهربائية نشطة في لحاء الدماغ وهذه البؤرة تسبب فكرة أو حركة أو اندفاعا [١]. ويمكن إضافة ما يلقيه الشيطان من أفكار وخواطر في النفس الإنسانية مما يسبب وسواس في اكثر من مجال بدءا من الطهارة والعبادات والمعاملات المالية وانتهاء بالعقيدة وما يخالج النفس من خواطر لا تمت إلى ما في النفس من يقين.[٢]

وقد عانى بعض الصحابة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوساوس فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه: انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: أوجدتموه؟ (قالوا نعم قال: ذلك صريح الإيمان)

العلاج

يمكن اتباع الخطوات الآتية للتخلص من الوسواس القهري

١) أن يعلم المريض أن ما يصيبه من وسوسة هو من الشيطان وان الشيطان ضعيف يقهره بالعلم ومعرفة الرخص الشرعية. فمن تكرر وضوئه أو كرر صلاته أو كرر اغتساله فهو مطالب شرعا بعدم التكرار.

٢) يدفع المسلم الوسوسة بتلاوة قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ

(١) المرجع السابق، ص ٤٠٩

(٢) عبد الستار أبو غده. مرجع سابق، ص ١٣٩

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».

وفي حديث أخر عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقرآتي يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ذلك شيطان يقال له خزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتغل عن يسارك «فقلت فأذهبه الله عني» (مسند أحمد / ج٤/ ص ٢١٦، حديث، ١٧٩٢٨)

٣) التزام قول الرسول عليه الصلاة والسلام «من وجد من هذا الوسواس شيئا فليقل آمنا بالله وبرسوله ثلاثا فان ذلك يذهب عنه».

٤) يتلو الموسوس المعوذات

قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

فالإنسان عاجز عن دفع وسوسة الشيطان، ولكن الله سبحانه وتعالى دل الإنسان على سلاحه وعدته في المعركة فوصف الشيطان بالخناس ليدل على تخفيه حيث يجد فرصة سانحة فيوسوس وهو ضعيف أمام من يستيقظ لمكره ويحمى مداخل صدره، فالمعركة طويلة لا تنتهي إلى يوم القيامة فالشيطان قابع

وخانس مرتعب للغفلة والحرب سجال إلى يوم القيامة.[١]

٥) يشغل المريض نفسه أثناء الفراغ بأعمال عديدة مثل معرفة الرياضة ومعرفة مثيرات الوسوسة ومحاولة تجنبها.

٦) يتناول المريض العقاقير والأدوية بالشروط الشرعية السابقة الذكر.

ثانيا: القلق

يسمى في لغة التراث النفسي (الحصر والحصار) وهو الشعور بالخوف الزائد من شر متوقع والإحساس بالعجز عن مواجهته.

والقلق في الغالب يكون مما يمكن أن يقع أو مما كان وقع، وسمي بالحصر ليذكر بحالة نفسية لبعض الفئات الضعيفة التي تلوذ بالحياد بدلا من الانتماء، لذا قال سبحانه وتعال عن هؤلاء ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾ [النساء: من الآية٩٠].

ويسمى القلق بتسميات أخرى مثل (الحزن) إذا كان الخوف لشر متوقع وله حقيقة، وإذا كان الشر قد وقع فان أثره يسمى (الهم) [٢]، لذا يقول عليه الصلاة والسلام «اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن».

فالقلق من أكثر الأمراض شيوعا بين الناس وقد اتفقت آراء علماء النفس على ذلك ولكنهم اختلفوا في تحديد أسباب القَلق[٣].

وتتفق مدارس علم النفس عل أن العلاج النفسي هو التخلص من القلق ويثبت الشعور بالأمن في نفس الإنسان.[٤]

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٤٠١١

(٢) عبد الستار أبو غده. مرجع سابق، ص ١٣٦ - ١٣٧

(٣) شومان. مرجع سابق، ص ٢٢٧

(٤) نجاتي. القرآن..، مرجع سابق، ص ٢٤١

وقد اختلفت أساليب المدارس النفسية في علاج القلق ولكنها لم تنجح في تحقيق الشفاء التام من هذا المرض، وفي القرن الكريم يمكن استخلاص الخطوات الآتية للتخلص من القلق.

خطوات التخلص من القلق في القرآن الكريم

١- الإيمان

ثبت أن الإيمان بالله يحقق الشعور بالأمن والطمأنينة ويقي النفس من الأمراض النفسية فالإيمان إذا ما بعث في نفس الفرد وهو صغير فانه يكسبه مناعة ووقاية من الأمراض النفسية ومنها القلق.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].□

وبهذا الإيمان لا يخاف المسلم على أي شيء في الحياة لانه يعلم أن الأمور كلها بمشيئة الله تعالى ولا يمكن لأي قوة في الدنيا أن تلحق به ضررا أو تمنع عنه خيرا قال تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢].

أي يدخل الجنة من استسلم وخضع واخلص نفسه وهو مؤمن مصدق متبع لرسول صلى الله عليه وآله وسلموله ثواب عمله في الآخرة ولا يعتريه حزن أو كدر(١).

يقول صاحب كتاب دع القلق على لسان أحدهم (... فأنا أومن بقدرة الله على إدارة شؤون الكون وبأنه ليس بحاجة إلى نصيحة متي، فإذا وضعت الله نصيب عيني فانني اعتقد بان أي شيء سينتهي إلى افضل حال... وهكذا لم اقلق

---

(١) الصابوني. مرجع سابق، ١ / ٨٨

من شيء أبدا)[١]

وفي موطن آخر (والآن... لماذا لا تغلق هذا الكتاب على الفور واغلق عليك باب غرفتك وصلي وافرغ ما في قلبك من هموم إلى الله)[٢].

٢-ذكر الله

الذكر وسيلة ليستشعر بها المؤمن قربه من الله تعالى فيطمئن، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]

فالطمأنينة والسكينة التي تحصل للمؤمن نتيجة ذكر الله تعالى، تبعد المسلم عن القلق والاضطراب ولا بد أن يكون هذا الذكر لله سبحانه وتعالى كثيرا، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] ولن يعذر أحد بترك ذكر الله سبحانه وتعالى لانه مطلوب في جميع الأحوال والأوقات.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء:١٠٣] فالذكر مطلوب من الإنسان في اشد حالات انشغاله وهو في مواجهة الأعداء قال تعالى ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [لأنفال: من الآية٤٥].

---

(١) ديل كارنيجي. مرجع سابق، ص ١٤٠

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٤

٣ - اليقين.

أن أكثر ما يسبب القلق في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، الخوف من انقطاع الرزق فالأصل في المسلم أن يعلم أن الله قسم الأرزاق بين الناس وقدرها حسب عمله قال تعالى ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال سبحانه ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

فالمتأمل في الآيات الكريمة يخلص إلى أن سبحانه وتعالى قسم الأرزاق بين الناس، فالمسلم لا يخاف على رزقه ولا يخاف الفقر، يرضى بما قسم الله له أن كان كثيرا أو قليلا.

٤ - التسليم بقضاء الله تعالى وقدره

في كثير من الأحيان يكون سبب القلق الخوف من الموت أو الخوف من مصائب الدهر وغوائل الأيام، فمن التسليم بقضاء الله وقدره عدم قلق المسلم من الموت، فهو بنظر إليه بواقعية، ويراه حقيقة لا مفر منها، ولكل إنسان اجل فهو في الدنيا عابر سبيل ومنها ينتقل إلى الحياة الدائمة، فهو على استعداد دائم لهذا الانتقال.

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨] والمسلم لا يخاف الأمراض والحوادث والكوارث، ولا يخاف من الأشياء التي يخاف منها الناس، فهو ذو قدرة على تحمل المصائب لأنه يسلم بقضاء الله وقدره.

قال تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢].

٥ - التطلع إلى المستقبل

المسلم لا يتطلع إلى الماضي ولا يجتر الأحزان ويجعلها أمام عينيه، بل ينظر إلى المستقبل ويعمل بجد، ويترك الماضي مع اخذ العظات والعبر قال تعالى ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد:٢٣].

٦ - الإيجابية في التعامل مع الذنب والمعصية

المسلم يشعر بالقلق الذي لا يؤدي إلى المرض النفسي إذا ارتكب الذنب ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

الأول: المسلم تربى منذ الصغر تربية إسلامية صحيحة بعيدة عند الذنوب والمعاصي قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: من الآية٦].

الثاني: المسلم إذا اخطأ يعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويقبل التوبة قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] وقال سبحانه ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

إن اعتراف المسلم بذنبه واستغفاره الله سبحانه وتعالى يحول دون سيطرة فكرة الذنب على ذهنه، فالتوبة والاستغفار يعملان على وقاية الإنسان من الكبت اللاشعوري للإحساس بالذنب وهو ما يسبب القلق والاضطراب.(١)

---

(١) نجاتي. القرآن...، مرجع سابق، ص ٢٤٧

ثالثا: الكبر

ثمة آيات عديدة في كتاب الله سبحانه وتعالى تتحدث عن الكبر واسبابه وعلاجه، والكبر مذموم في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾ [غافر: من الآية٥٦] فهذا المخلوق الإنساني ينسى نفسه في كثير من الأوقات، انه صغير ضعيف يستمد قوته من اتصاله بالمصدر الأول للقوة، من الله سبحانه وتعالى، فيقطع اتصاله بالله سبحانه وتعالى ويروح يتشامخ ويتعالى ويحبك في صدره الكبر، يستمد الكبر من الشيطان الذي هلك بهذا الكبر ثم سلط على الإنسان ليضله ويبعده عن طريق الصواب.[1]

وقال سبحانه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] فالذين يستكبرون عن التوجه إلى الله سبحانه، جزاؤهم أن يوجهوا أذلاء صاغرين لجهنم وهذه هي نهاية الكبر الذي يملا القلوب والصدور في الأرض الصغيرة، التي نسيت عظمة الخالق سبحانه وتعالى.[2]

تعريف الكبر

الكبر شعور خادع بالاستعلاء مصحوب باحتقار الناس والترفع عنهم، فهو انفعالات داخليه للإنسان.[3]

وبين الرسول عليه الصلاة والسلام معنى الكبر فقال «الكبر بطر الحق وغمط الناس» (كنز العمال / ٧٧٢٨) وهو خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته فتظهر على الجوارح فهذا الخلق، رؤية النفس على المتكبر عليه يعني يرى

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٥ / ٣٠٨٩

(٢) المرجع السابق، ٥ / ٣٠٩١

(٣) محمد عز الدين توفيق. مرجع سابق، ص ٣٧٤

نفسه فوق الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا[1].

أنواع الكبر

أشار القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع من الكبر هي:

١) .التكبر على الله سبحانه وتعالى بعدم عبادته وهذا اقبح أنواع الكبر، قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] التكبر على الرسول عليه الصلاة والسلام وعدم الانقياد له، قال تعالى ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ [المؤمنون: من الآية٤٧] التكبر على عباد الله سبحانه وتعالى بالترفع عنهم واحتقارهم، قال تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: من الآية٣٧].

أسباب الكبر

الكبر قد يكون ناجما عن شعور بالنقص أو شعور بالكمال وكلتا الحالتين خداع للذات، فقد يكون من أسبابه المال والجمال والقوة وكثرة الاتباع، وقد يتكبر الإنسان بالحسب والنسب وفي الحقيقة أن هذه الأمور ليست سببا في الكبر وفي حقيقتها نعم من الله سبحانه وتعالى فهي في أيدي بعض الناس سببا للتواضع وفي أيدي آخرين سببا للكبر.

فإذا كانت سببا للكبر فيظهر على المتكبر خصالا منها حب قيام الناس له، وان لا يمشي مع أحد إلا أن يكون خلفه، ولا يزور أحد تكبرا على الناس ويستنكف عن الجلوس مع أحد ولا يتعاطى في يده ثقلا ولا يحمل لنفسه متاعا[2].

---

(١) احمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي. مختصر منهاج القاصدين. بيروت: دار الكتب الثقافية، ص ٣٦٥

(٢) ابن قدامه المقدسي. مرجع سابق، ص ٢٦٩

علاج الكبر

- يبدأ العلاج بالوعي بضرورة تعديل هذا الخلق الذميم وانه من عمل الشيطان وان الشيطان لا يأمر إلا بالسوء، قال تعالى ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر:١٦].
- الوعي بحقيقة الكبر وحكم الإسلام فيه، فالآيات والأحاديث الشريفة تبين حرمة الكبر قال تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (مسلم / ج١/ ص٩٣/ حديث ٩١) ويقول عليه الصلاة والسلام «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب اليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر» (مسلم / ج١ / ص ١٠٣، حديث / ١٠٧)
- معرفة الإنسان أصل وجوده، فإذا عرف الإنسان نفسه علم انه أذل من كل ذليل وانه لا يليق به إلا التواضع، وإذا عرف ربه علم انه لا يليق به إلا العظمة والكبرياء[1].

ومن معرفة الإنسان لنفسه أن يعرف مبدأ خلقه، قال تعالى ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٧-٢٢].

ففي الآيات الكريمة تعجب من أمر الإنسان الذي يعرض عن الهدى

(١) محمد بن محمد الغزالي أبي حامد (٥٠٥هـ). إحياء علوم الدين، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٤٤٢

ويستعلي على الدعوة ولا يذكر مصدر وجوده ولا أصل نشأته، فأصل نشأته متواضع زهيد يستمد قيمته من فضل الله ونعمته، من النطفة التي لا قيمة لها، والأصل الذي لا قوام له، ولكن خالقه منحة قدرا وقيمة فجعله خلقا سويا ومهد له سبل الحياة بما أودع فيه من خصائص واستعدادات.(١)

يعرف الإنسان ربه

فينظر إلى أثار قدرته سبحانه وتعالى في الكون، وعجائب صنعة سبحانه وتعالى، فتلوح له العظمة الإلهية، فإذا عرف ربه علم انه لا يليق بأحد العظمة والكبرياء إلا له سبحانه وتعالى.

ففي الحديث، قال صلى الله عليه وآله وسلم عن رب العزة قوله الكبرياء إزاري والعظمة ردائي فمن ينازعني شيئا منهما قصمته ولا أبالي.

معرفة مصير المتكبرين

فوردت أحاديث كثيرة تبين مصير المتكبرين يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر بطؤهم الناس لهو أنهم على الله عز وجل» (التواضع والخمول/ ج١ / ص ٢٧١، حديث ٢٢٤)

معرفة أسباب الكبر ومعالجتها(٢)

فأسباب الكبر كثيرة منها النسب، فمن تكبر بالنسب فقد تكبر بكمال غيره، ثم لينظر نسبه الحقيقي في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٦ / ٣٨٣١

(٢) الغزالي. مرجع سابق، ٢ / ٤٤٥

وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧] فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في جملة إحسان كل شيء، وخاصة بعد أن لم يكن شيئا مذكورا واخرج أصله من تراب كون فيه نظام النسل من ماء مهين لا يعبأ به أحد والغرض من الوصف الاعتبار(١).

وإذا كان التكبر بسبب الجمال، فعليه أن ينظر إلى باطنه، فالبول في المثانة، والمخاط في الأنف والدم في العروق يغسل الغائط بيده.

وإذا كان التكبر بالقوة البدنية فلينظر إلى نفسه إذا توجع منه عرق، صار عاجز وذليل وإذا كان السبب المال فان خلقا من اليهود والنصارى أغنى منه مالا فما هذا الشرف الذي يسبق إليه اليهود ولربما ذهب المال في لحظة سواء أكان في سرقة أم خسارة...

رابعا: الغضب

يعرف الغضب بأنه انفعال تصحبه تغيرات فسيولوجية مثل احمرار الوجه وارتجاف الأطراف واضطراب في الحركة والكلام، وقد يرافق الغضب سلوكات خارجية مثل: السب والضرب والقتل(٢) وحقيقة الغضب انه غليان في دم القلب لطلب الانتقام، فيغلي دم القلب وينتشر في العروق لذا يحمر الوجه والعين والبشرة(٣).

وأوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة بعدم الغضب، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي قال له أوصني قال له: «لا تغضب» فرد عليه مرارا قال «لا تغضب».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٢١ / ص ١٤٩ – ١٥١

(٢) محمد عز الدين. مرجع سابق، ص ٣٧٨

(٣) ابن قدامة المقدسي. مرجع سابق، ص ٢٠٩

وسلم «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

يقول ابن عاشور (كظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر... ولا شك أن أقوى القوى تأثيرا على النفس القوة الغاضبة، فتشتهي إظهار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها مع الامتلاء منها دل على ذلك عزيمة راسخة في النفس وقهر الإرادة للشهوة وهذا من اكبر قوى الأخلاق الفاضلة)[١].

أسباب الغضب

أشار الإمام أبو حامد الغزالي إلى الأسباب المهيجة للغضب بأنها العجب والمزاح والهزل... وشدة الحرص على فضول المال وهذه أخلاق رديئة تهيج الغضب ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب باضدادها، فيزيل العجب بمعرفة النفس، والمزاح بالاشتغال بالمهام العليا التي تستوعب العمر والهزل بالجد في الأمر، والتعبير بالحذر من القول القبيح وشدة الحرص على الدنيا بالقناعة[٢].

علاج الغضب

يعالج الغضب بأسلوبين، أسلوب فكري وأسلوب عملي، أو كما عبر عنه أبو حامد الغزالي بأفكار وأعمال.

الأفكار

ذكر الإمام أبو حامد الغزالي ستة أفكار للغاضب عليه أن يلتزم بها حتى يحافظ على توازنه الانفعالي وتبقى تصرفاته تحت سيطرة عقله إلى أن تهدأ العاصفة.

---

(١) ابن عاشور. مرجع سابق، ٣ / ٢٢٢

(٢) الغزالي. مرجع سابق، ٢ / ٢١٦

١) التفكير في النصوص الواردة في العفو وكظم الغيظ.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣] وقال سبحانه ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩] انه العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والصحبة وعدم طلب الكمال منهم والعفو عن أخطائهم وضعفهم ونقصهم... فهي شريعة يكون فيها التقاضي والتسامح في الأخذ والعطاء والصحبة والجوار فالتقاضي عن الضعف البشري واجب الكبار الأقوياء نحو الصغار والضعفاء[1].

٢) تذكر غضب الله سبحانه وتعالى إذا مضى غضبه بغير حق، فاستعمل قلبه في الحقد ولسانه في السب واللعن وأعضاءه في الضرب.والجرح.[2]

٣) يحذر نفسه عاقبة العداوة وتشمير العدو في الانتقام منه، فمضاعفات الغضب ونتائجه كثيرة فعلى الإنسان أن يوازن بين المكاسب والمخاسر إذا كظم غيظه.

٤) يتفكر في قبيح صورته عند الغضب وانه جانب أخلاق الأنبياء والعلماء الذين تميل النفس إلى الاقتداء بهم.

٥) يتفكر في الأسباب التي تدعوه للغضب، وعليه أن يكظم غيظه فذلك يعظمه عند الله تعالى. فيحب أن يكون هو القائم يوم القيامة إذا نودي ليقم من وقع أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا.[3]

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٣ / ١٤١٩

(٢) محمد عز الدين. مرجع سابق، ص ٣٨١

(٣) ابن قدامه المقدسي. مرجع سابق، ص ٢١١

٦) الاستعانة بالقضاء والقدر لتهدئة النفس ويقول هذا مراد الله وقضاؤه ليرضى ويسكن.

الأعمال

ارشد الإسلام الإنسان الغاضب إلى مجموعة من الأعمال التي يجب عليه القيام بها.

١) شغل اللسان بذكر الله سبحانه وتعالى والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل أحدهما يغضب ويحمر وتنفخ أوداجه، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال «اني اعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقام الرجل ممن سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال هل تدري ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آنفا قال: لا، قال: أني اعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال الرجل: أمجنون تراني؟

٢) شغل الجوارح بأعمال مثل الجلوس من قيام، أو الاضطجاع من قعود، أو الوضوء والاغتسال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» وقال «إذا غضب أحدكم فليتوضأ فإنما الغضب من النار»

خامسا: الاكتئاب

من الأمراض النفسية الوظيفية بمعنى انه لا يرجع إلى علة في جسم الإنسان وإنما ينشأ من تعرض الفرد لمواقف الفشل والإحباط والكبت والقمع والحرمان والقسوة والإهمال والنبذ وانعدام الرعاية والتوجيه والإشراف.[1]

ويعرف بأنه (حالة انفعالية تكون فيها الفاعلية النفسية الجسدية منخفضة

---

(١) عبد الرحمن العيسوي. مرجع سابق، ص ٣١٥

وغير سارة وقد تكون سوية أو مرضية، وتشير المرضية منها إلى اليأس والشعور الساحق بالتفاهة)[١].

ويعني هذا انه فقدان الاهتمام بالأشياء والعجز عن التركيز وفي بعض الحالات يميل الشخص إلى التخلص من الحياة وإذا زاد تحول إلى اضطراب عقلي.

وينظر إليه على انه حالة مرضية لانفعال الحزن، أي عندما يتحول الحزن إلى حالة مزمنة من البؤس والتشاؤم والعجز والقلق.[٢]

فهو إحساس يسيطر على الفرد وشعور بالخجل وخيبة الأمل، ويظهر على الإنسان العبوس والعزوف عن بذل أي نشاط حيوي.

ونتيجة الاكتئاب يظهر على الإنسان الصداع والأرق بالإضافة إلى الأحلام المزعجة ويتراجع الفكر وينتهي الفراغ الحاصل بشل الدماغ والخلايا العصبية.

مظاهر الاكتئاب الواردة في القرآن الكريم

في ضوء العرض السابق تستطيع أن نخلص إلى بعض المظاهر الدالة على الاكتئاب ومنها

الحزن وضيق الصدر

قال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: من الآية١٢٧] ويقول سبحانه ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: من الآية١٢٥] يقول صاحب الظلال

(١) عبد الستار أبو غده. مرجع سابق، ص ١٣٧

(٢) محمد عز الدين توفيق. مرجع سابق، ص ٣٩٦

في تفسيره قوله ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: من الآية١٢٧] إن الآية الكريمة فيها توجيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يأخذه الحزن إذا رأى الناس لا يؤمنون وان لا يضيق صدره بمكرهم فإنما هو داعية الله فالله سبحانه وتعالى هو الحافظ [1] فالحزن أحد مظاهر الكائبة النفسية وله انعكاس يرتسم على عضلات الوجه والعيون ولو بدون بكاء.

وأشار القرآن الكريم إلى هذه الكائبة بقوله تعالى ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:١٠].

العلاج القرآني للاكتئاب

قبل البدء بعرض أساليب القرآن الكريم في علاج الاكتئاب لا بد من التأكيد على الحقائق الآتية[2]

- العلاج القرآني ليس علاجا سلبيا بل هو علاج إيجابي للفرد دون الإعلان عن وجود مرض.
- إن قسوة وشدة الاكتئاب يحدث عن الفرد الانتحار، وهذا ما حرمه الإسلام والانتحار غالبا يكون عن الأفراد الذين لا إيمان لهم بالله واليوم الآخر وعليه فتختلف درجات الاكتئاب باختلاف درجات الإيمان.

وارشد القرآن الكريم إلى عدد من العلاجات النفسية لهذا المرض منها

(٢) سيد قطب. مرجع سابق، ٤ / ٢٢٠٣

(١) محمد عز الدين توفيق. مرجع سابق، ص ٣٩٦

٧ - **تقوى الله سبحانه وتعالى**

قال تعالى ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١] وقال ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [لأعراف: من الآية ٣٥] فالتقوى تنأى بالمسلمين عن الفواحش والآثام وتقود إلى الطيبات والأعمال الصالحة والطاعات وتنتهي إلى الأمن من الخوف والرضا عن المصير.(١)

والتقوى تقود إلى الاستقامة بقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣] فالاستقامة منهج كامل للحياة يشمل كل نشاط وحركه وهي مميزات للتفكير والشعور وهي الثبات على النهج فلا تأرجح ولا اضطراب ولا شك.(٢)

ومن متطلبات الاستقامة إعلان الولاية لله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] يقول صاحب التحرير والتنوير (... فالكلام يفيد أن الله ضمن لأوليائه أن لا يحصل لهم ما يخافونه وان لا يحل بهم ما يحزنهم وكأن ما يخاف منه من شانه أن يحزن من يصبه وكان نفي الحزن عنهم مؤكدا لمعنى نفي خوف فائق عليهم)(٣).

فالآيات الكريمة تبين أن الاستقامة والعمل الصالح، يرفعان حالة الاكتئاب عن الإنسان ويزيدان في حالة الاطمئنان النفسي عند الإنسان ومن الأعمال الصالحة التي يقوم بها المسلم.

---

(١) سيد قطب. مرجع سابق، ٣ / ١٢٨٨

(٢) المرجع السابق، ٦ / ٣٢٥٩

(٣) ابن عاشور. مرجع سابق، ١١ / ١٢٤

التسبيح

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر٩٧-٩٩] فالآية الكريمة تشير إشارة واضحة إلى أن الإنسان وهو في حالة ضيق نفسي ما عليه إلا أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالتسبيح والتهليل والدعاء.

تلاوة القرآن الكريم

قال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فالمتأمل في الآية الكريمة يجد أنها تخبر أن القرآن الكريم شفاء من الأمراض سواء أكانت جسمية أم نفسية.

أداء العبادات

وهنا أتحدث عن أداء فريضة الحج، فالحج يترك أثرا نفسيا عظيما في حياة المسلم فيشعر بالسعادة بعد أداء فريضة الحج، وهذا يدفع عن الإنسان الشعور بالحزن والاكتئاب ومن الناحية النفسية يشعر المسلم بعد أداء الحج بأنه تطهر من ذنوبه وتحرر من مشاعر الذنب والاثم التي تقود إلى المرض النفسي.

٢ - الدعاء

الدعاء أسلوب في متناول الجميع، يقوم به المسلم بالليل والنهار، في الإقامة والسفر، في كل أوقاته ولا بد للمسلم في الدعاء من الخشوع والاستغراق، وان يقوله بقلبه وعقله وكل جوارحه مع وجوب تكراره والاستمرار فيه وان يدعو له ولغيره مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: من الآية١٠] ومن

أمثلة الدعاء الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: من الآية١٩] يقول سبحانه وتعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح: من الآية٢٨] وأرشدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مجموعة من الأدعية عن الحزن والغم والكرب، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند الكرب «لا اله إلا الله العظيم الحليم، لا اله إلا الله رب العرش الكريم».

وكان يقول «يا حي يا قيوم برحمتك استغيث».

والدعاء يشبه منهج علماء النفس في الوقت الحاضر بما يطلقون عليه (الإيحاء الذاتي) وبهذا العلاج يردد المريض كلمات يشجع بها نفسه بأنه أكثر قوة وصحة وانه يشفى من علته تدريجيا، وبهذا تتحسن حالته الصحية[1].

والفرق بين هذا العلاج والدعاء أن المريض يلجا في الدعاء إلى قوة عظيمة وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ - التحلي بالقوة

القرآن الكريم يربي الإنسان على عدم الالتفات إلى ما مضى من الأعمال ويدعوهم إلى التحلي بالقوة لأن المسلم ليستمد عونه من الله سبحانه وتعالى والذي أمر المسلم أن يكون قويا ولا يتلفت إلى ما مضى من الاعمال.

يقول صلى الله عليه وآله وسلم «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا

(١) عبد الرحمن العيسوي. مرجع سابق، ص ٣١٨

شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» [صحيح مسلم، ١٣/ ١٤٢].

فهذا الحديث في صلب علاج الاكتئاب النفسي، فنعلم أن أحد أسباب الاكتئاب هو الفشل والإحباط وعدم الحصول على شيء معين، فلو التزم المريض هذا الحديث لوقى نفسه ما هو فيه.

٤ - الصبر

القرآن الكريم يحرص على غرس سمة الصبر في نفس المسلم ووجدانه، فالصبر يحمي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض العقلية ويجعله اكثر قدرة على الجلد والتحمل [(١)] قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة ١٥٥-١٥٧] فالصبر من الصفات الحميدة التي تفيد في تربية النفس وتقوية الإرادة وصقل الشخصية بل ينمي قدرة الشخص على الجلد والتحمل وتقبل صعاب الحياة.

قال تعالى ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]

وقال سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] فالصبر سمة تظهر في كافة جوانب الحياة وفي سلوك الإنسان العقلي والنفسي والحركي كما في أفكاره وآرائه وانفعالاته.[(٢)]



(١) المرجع السابق، ص ٣١٩

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٦

ملخص الكتاب

أولاً: علم النفس الحديث يهتم اهتماما واضحا بالسلوك الإنساني والنفس الإنسانية، وتجد هذا الاهتمام واضحا في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة واجتهادات علماء المسلمين.

ثانيًا: السلوك في القرآن الكريم يعبر عنه بمصطلح العمل، ويتأثر بعاملي الوراثة والبيئة وله عدة أقسام، السلوك الفطري والسلوك العقلي....

ثالثاً: تميز القرآن عن نظريات علم النفس بالحديث عن مراحل خلق آدم عليه السلام ويمكن تقسيم مراحل خلق الإنسان، بمرحلة ما قبل الولادة ومرحلة ما بعد الولادة – الطفولة ثم الشباب والشيخوخة والكهولة.

رابعًا: الدوافع في القرآن الكريم هي القوى الكامنة داخل الإنسان وتحضه على العمل وهي أنواع، دوافع فسيولوجية ودوافع إيمانية ودوافع مكتسبة، والقرآن الكريم عني بتربية الدوافع حتى يسير الإنسان بالسلوك الصحيح.

خامسًا: الفروق الفردية هي اختلاف الأفراد والمجوعات بعضهم عن بعض وأشار القرآن الكريم إلى العوامل المؤثرة في الفروق الفردية والمجالات التي تظهر فيها الفروق الفردية.

سادسًا: أشار القرآن الكريم إلى الدوافع والانفعالات والعادات، وبعض المظاهر الدالة عليها مثل البهجة والسرور والحزن، والتغيرات المصاحبة للبدن.

سابعًا: أشار القرآن الكريم إلى التذكر والنسيان والحيل الشعورية، مثل التبرير والإسقاط وتكوين ردّ الفعل المعاكس والتقمص.

ثامنًا: أشار القرآن إلى الشخصية وبعض صور صراع الشخصية، بالإضافة إلى انماط الشخصية (المؤمن،الكافر،المنافق) وكيفية بناء الشخصية البناء الروحي والنفسي واهم صفات الشخصية.

تاسعًا: أشار القرآن إلى مفهوم التعلم، وأدواته وطرائقه واهم مبادئ التعلم في القرآن الكريم.

عاشرًا: أشار القرآن الكريم إلى الأسس التي تقوم عليها الصحة النفسية، والأسباب التي تؤدي إلى الأضرار بالصحة النفسية كما يمكن استنتاج علاج بعض الأمراض النفسية.



المراجع

١) إحسان المحاسنة. البيئة والصحة العامة، ط٢، عمان: دار الشروق، ١٩٩٤م

٢) أحمد بن حنبل (أبو عبد الله الشيباني) ت ٢٤١هـ. المسند، مؤسسة قرطبة.

٣) إسحاق الفرحان. نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، عمان، جمعية الدراسات والبحوث، ١٩٨٠م

٤) أمينة حسن. نظرية التربية في القرآن الكريم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥

٥) ابن كثير. إسماعيل بن كثير القرشي أبو الفداء.تفسير القرآن العظيم، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م

٦) احمد الدغشي. نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢م

٧) احمد القاضي. تأثير القرآن على وظائف الجسم البشري، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف الشؤون والمقدسات الإسلامية الأردنية،العدد العاشر، ١٩٨٧م

٨) احمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي. مختصر منهاج القاصدين. بيروت: دار الكتب الثقافية

٩) احمد ضياء الدين. التربية الوقائية في الإسلام، عمان: دار الفرقان، ٢٠٠٥م

١٠) انتصار يونس، السلوك الإنساني، مصر: دار المعارف، ١٩٧٤

١١) البهي الخولي. آدم عليه السلام «فلسفة تقويم الإنسان وخلافته»، ط٣، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٤م

١٢) تمام حواري. مبادئ التعلم في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م

١٣) جمال الخطيب. تعديل السلوك، ط٣، ١٩٩٤م

١٤) حامد زهران، علم نفس النمو، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧

١٥) مسلم بن الحجاج (أبو الحسن القشري) ت ٢٦١هـ. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

١٦) حسن الشرقاوي. «التربية في المنهج الإسلامي» في دعوة الحق، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، العدد ٣٥، ١٩٨٤م

١٧) الحسين جلو. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، دمشق. دار العلوم الإنسانية، ١٩٩٤م

١٨) حنان عبد الحميد العناني. تربية الطفل في الإسلام، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م

١٩) حنان عطية الجهني. الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، الرياض: المنتدى الإسلامي، ٢٠٠١م

٢٠) خليل شومان. الطب الوقائي في القرآن، اربد: دار الكتاب،٢٠٠٤م،

٢١) ديل كارنيجي. دع القلق وأبدا الحياة، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع،٢٠٠١م

٢٢) راجح الكردي. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، عمان: دار الفرقان، ٢٠٠٤ م

٢٣) رمضان القذافي، علم النفس الإسلامي، صحيفة الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٠م

٢٤) الزبير بشير طه، علم النفس في التراث العربي الإسلامي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧

٢٥) زكريا احمد الشربيني وأخر. السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية

٢٦) سلافة الشرايرة. الفروق الفردية في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك،١٩٩٣م
٢٧) سميح عاطف الزين. معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٩١م
٢٨) السيد عاشور. الإنسان في القران الكريم، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٨م
٢٩) سيد عبد الحميد مرسى. ونفس.... وما سواها، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٢م
٣٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٢٥، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٦م
٣١) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، عمان: دار النفائس، ٢٠٠٥م
٣٢) صالح الداهري وآخر، علم النفس العام، إربد، مؤسسة حمادة للخدمات. د.ت
٣٣) صالح الصنيع، دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٥
٣٤) الطاهر بن عاشور. تفسيرالتحرير والتنوير، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م
٣٥) الطيب زين العابدين (محرر)، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢م
٣٦) عابد الهاشمي، مدخل إلى التصور الإسلامي والحياة، عمان: دار الفرقان، ١٩٨٢م
٣٧) عبد الحميد الهاشمي. الفروق الفردية، دراسة تحليل، ط٣، بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م
٣٨) عبد الرحمن الميداني. الأخلاق الإسلامية وأسسها. دمشق: دار العلم، ١٩٧٩م

٣٩) عبد الرحمن النحلاوي. أصول التربية الإسلامية، ط٣، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م

٤٠) ـــــــــــــــــــ. الإســـلام والعـــلاج النفســـي، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي

٤١) عبد الرحمن صالح (محرر). المرجع في تدريس علوم الشريعة، الأردن

٤٢) عبد الرحمن عيسوي. علم النفس الأسري وفقا للتصور الإسلامي العلمـي، بيروت: دار النهضة، ١٩٩٣م

٤٣) عبد الستار أبو غده. بحوث في الفقه الطبي، القاهرة: دار الأقصى،١٩٩١م

٤٤) عبد الكريم العثمان. الدراسـات النفسـية عنـد المسـلمين والغزالـي بوجـه خاص، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٨١

٤٥) عبد الكريم زيدان. أصول الدعوة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٣م

٤٦) عبد الله بن عبد الرحمن (أبو محمد الدارمي) ت ٢٥٥هـ. سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ

٤٧) عبد الله عبد الحي موسى، المدخل إلى علم النفس، القاهرة: مكتبة الخـانجي، ١٩٨٦

٤٨) عبـد الله ناصـح علـوان. تربيـة الأولاد في الإسـلام. ط ٣١، القـاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٩٧م

٤٩) علي احمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسـلامي، القـاهرة: دار الفكـر العربي، ٢٠٠٢ م

٥٠) علي عبد العظيم، فلسلفة المعرفة في القران الكريم، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٣

٥١) عماد السعدي. دراسة في تعديل أنماط من السلوك الصفي، رسالة دكتـوراه (غير منشورة) جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس، ١٩٨٨م

٥٢) عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ٢٠٠٢م

٥٣) عمر الشيباني. من أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، المنشأ الشعبية للنشر والتوزيع: ليبيا

٥٤) فؤاد أبو حطب، نحو وجهة إسلامية لعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر، عدد ٣، ١٤١٢ هـ

٥٥) ------------، نحو وجهه إسلامية لعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر، عدد ٦٤، ١٤١٢ هـ

٥٦) كمال إبراهيم مرسى، محاضرات في المدخل لتوجيه الإسلامي لعلم النفس، (مذكرة غير منشورة) ١٤١١ هـ

٥٧) ماجد الكيلاني. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط٢، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٥م

٥٨) محمد السيد الزعبلاوي. تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الرياض: الكتب الثقافية، ١٩٩٤م

٥٩) محمد بن إسماعيل البخاري (أبو عبد الله البخاري) ت ٢٥٦هـ. صحيح البخاري، ط٣، اليمامة: دار ابن كثير، تحقيق مصطفى البغا

٦٠) محمد بن جرير الطبري. ت ٣١٠هـ. جامع البيان عن تأويل القرآن، ط٢

٦١) محمد بن حيان (أبو حاتم التمي). صحيح ابن حيان، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، تحقيق شعيب الارناووط.

٦٢) محمد بن عيسى (أبو عيسى الترمذي) ت ٢٧٩هـ. الجامع الصحيح لسنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر وأخرون

٦٣) محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد ت ٥٠٥هـ). إحياء علوم الدين، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٩٨م

٦٤) محمد بن يزيد (أبو عبد الله القزويني ت ٢٧٥هـ). سنن ابن ماجة، دار الفكر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

٦٥) محمد شديد. منهج القرآن في التربية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م

٦٦) محمد عثمان نجاتي. الحديث النبوي وعلم النفس، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٧م

٦٧) ------------------. القرآن وعلم النفس، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٥م

٦٨) ------------------، منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر، عدد ٥٧، ١٤١١هـ

٦٩) ------------------، علم النفس في حياتنا اليومية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦

٧٠) محمد عز الدين توفيق. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، القاهرة: دار السلام، ١٩٩٨م

٧١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت: دار الفكر، ١٣٣٧هـ

٧٢) محمد عوده. الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، ط٢، الكويت، دار القلم، ١٩٨٦م

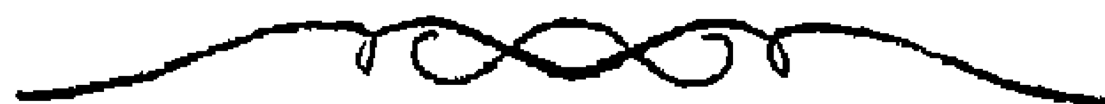
٧٣) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية، ط ١٤، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م

٧٤) محمد محروس الشناوي. الإرشاد من منظور إسلامي

٧٥) محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، جدة: دار الشروق، ١٩٨٤

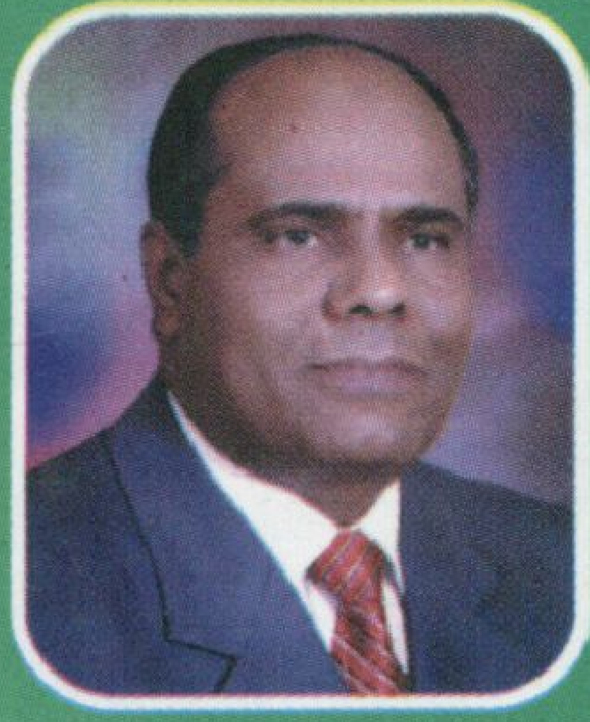
٧٦) محمد محمود الشريعة. المتطلبات التربوية لمراحل النمو الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك كلية الشريعة، ١٩٩٧م

٧٧) محمد نعيم ياسين، الإيمان: حقيقته ونواقصه، ط ٥، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٥م
٧٨) محمود عبد الحليم حامد. قراءات في علم النفس، جدة: دار الشروق، ١٩٨٢م
٧٩) مصطفى رجب، الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥
٨٠) ---------------، نحو ثقافة إسلامية، القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات، ١٩٩٨
٨١) ---------------،، البحث في الإعجاز التربوي في القرآن، دسوق: دار العلم والإيمان للطبع والنشر،٢٠٠٨
٨٢) ---------------، أطفالنا ومشكلاتهم التربوية والنفسية، القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات، ١٩٩٨
٨٣) مصطفى فهمي. الإنسان وصحته النفسية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية
٨٤) معروف زريق، علم النفس الإسلامي، دمشق: دار المعرفة، ١٩٨٩
٨٥) مقداد يالجن. علم النفس التربوي في الإسلام، ط ٢، الرياض: دار الكتب، ١٩٩٧م
٨٦) نبيل السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، جدة: دار الشروق، ١٩٨٠
٨٧) نصر العلي. حل المشكلات باستخدام منحنى تعديل السلوك، اليونسكو، دائرة التربية والتعليم، معهد التربية
٨٨) يوسف خطار محمد. التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية، دمشق: دار التقوى ٢٠٠٣م



فهرس المحتويات

تم بحمد الله تعالى



د. مصطفى رجب

أستاذ التربية الإسلامية

أستاذ ورئيس قسم أصول التربية بجامعة سوهاج

دكتوراة في أصول التربية

دكتوراة في أصول الفقه

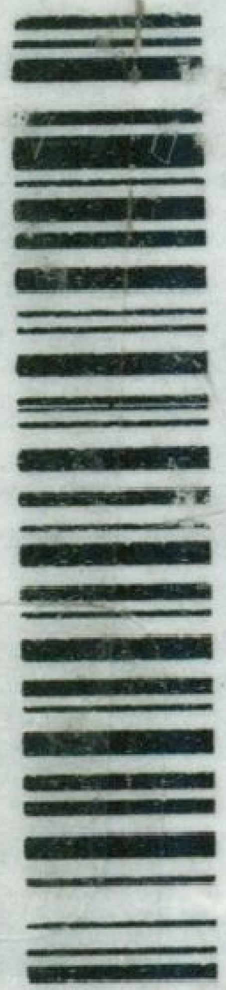
عمل عميدا لكلية التربية بسوهاج (١٩٩٥-٢٠٠١)

عميدا للمعهد العالي للدراسات الإسلامية بسلطنة عمان (١٩٩٠-١٩٩٢)

عمل أستاذاَ زائراَ للدراسات العليا بكلية الشريعة جامعة اليرموك الأردن.

الكتاب

محاولة لسبر أغوار ما في القرآن الكريم من إعجاز نفسي . لأن القران الكريم وضع أسس حياة الإنسان التي تضمن له مسيرة طيبة في الحياة ووضع له منهجا متكاملا شاملا لجميع نواحي حياته بهدف بناء الإنسان بناء سويًا متوازنا في كل سلوك وتصرف . فالقرآن الكريم يعنى بنمو الإنسان وسلوكه وعواطفه وانفعالاته وصحته النفسية حتى يكون عنصرا إيجابيا في بناء المجتمع قادرا على تحمل تكاليف الحياة .





فالناظر في كتاب الله سبحانه وتعالى يجد الكم الهائل من المعلومات والأفكار والآراء حول السلوك الإنساني والنفس الإنسانية وهل علم النفس في نهاية المطاف إلا بحث في السلوك الإنساني والنفس الإنسانية ؟

ولكن هذه الأفكار مبثوثة بطرق غير مباشرة مما يدعو الباحث المسلم للعمل من اجل تجميع النصوص وبلورتها وتحليلها.



دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع